أبو حامد الأندلسي الغرناطي



تحفة الألباب و نخبة الإعجاب

تحقيق: اسماعيل العربي

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب

تصنيف

أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي الغرناطي

تحقيق

الدكتور إسماعيل العربي



منشورات دار الآفاق الجديدة
المغرب

الطبعة الأولى 1413 ــ 1993

إلى الدكتور إحسان عباس :
تقديرا لعلمه وفضله على التراث الأندلسي

أبـو حـامـد

محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع بن محمد بن علي بن عبد الصمد[1] المازني القيسي الأندلسي الاقليشي الغرناطي القيرواني الأصل، أبو حامد، وأبو عبد الله وأبو محمد وأبو بكر، ولد في غرناطة في سنة 473 هجرية.

ونحن نعرف ما ذكره أبو حامد نفسه في «التحفة» أنه أندلسي غرناطي وأنه أقام في مدينة أقليش[2]، وأن جده الرابع كان يقيم بالقيروان[3] قبل أن ترحل الأسرة إلى الأندلس، وأنه ينتمي إلى القيسية، وهم قبيل ظهرت قوته على المسرح السياسي بوضوح في الأندلس، ولا سيما في بداية الخلافة الأموية ولدى مقدم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس[4].

بدأ أبـو حامـد رحلتـه إلى مصر في سنـة 508 هجـرية حين نزل بالأسكندرية، وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، وسمع بمصر (القاهرة) من

---

(1) كذا في الوافي بالوفيات للصفدي الذي لا يذكر نسبته إلى المازني (طبعة هيلموث ريتز بفيسبادن 1961، ترجمة 1261 ـ 3/245 ـ 246). قارن نفح الطيب للمقري تحقيق إحسان عباس (دار صادر بيروت، 1968 ـ 2/235) وانظر معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس (1/299).

(2) أقليش : Ucles ، كذا ضبطها ياقوت، مدينة وبليدة بالأندلس من أعمال طليطلة. نسب إليها ياقوت خلقا كثيرا ولكنه لم يذكر من بينهم أبا حامد. أنظر عن اقليش معجم البلدان (1/237) وكون أبي حامد ولد في غرناطة جعل بعض المحدثين يتشككون في نسبته إلى اقليش. انظر مثلاً : Frahn (M) Ibn Faszlan Is und andrer araber Berichte etc. (1823 . p. 228)

(3) التحفة (ورقة 91 وجه وظهر).

(4) القيسية شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد غلب اسم قيس على سائر قبائل العدنانية حتى جعل في مقابل عرب اليمن قاطبة. انظر : الصحاح للجوهري (1/472) القاموس للفيروزابادي (2/244) لسان العرب لابن منظور (طبعة الخياط (3/200 ـ 201) تاريخ العبر (طبعة بولاق 2/305) الأنباء على قبائل الرواة لابن عبد البر (ص 81/ ـ 82) تاريخ الطبري (في عدة مواضع من الأجزاء : الخامس والسادس والسابع والتاسع والعاشر).

أبي صادق مرشد بن يحيى المديني، وأبي الحسن الفراء الموصلي، وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلا النحوي وغيرهم[5].

وبعـد هذه الـرحلة التي يبـدو أنـه كان القصـد الأول منهـا التعلم والاستفـادة، عاد إلى وطنه الأندلس، ولكنه لم يمكث فيه طويلا حيث أخذ عصا الترحال من جديد في عام 511 هـ، بنية الرجوع إليه مرة ثانية.

وفي غضـون هذه الرحلة الثانية مر أبو حامد بجزيرة سردانيا وصقلية ليحط رحله بالاسكندرية ثم بالقاهرة.

وفي سنة 516 هـ نلتقي به في بغداد حيث سمع أبا الغز، أحمد بن عبيد الله بن كادش وغيره[6].

وهناك أقام أربع سنوات متمتعا بعطف الوزير يحيى بن هبيرة[7] المشهور بحبه للعلم وبرعايته للعلماء والأدباء.

وفي سنة 524 هـ يخبرنا أبو حامد أنه نزل بأبهر، المدينة الايرانية، وفي العام التالي عبر بحر قزوين ليصل إلى مصب نهر الفولجا، في الأراضي الروسية.

وفي غضـون الفترة التالية قام بثلاث رحلات إلى خوارزم[8] وفي سنة 530 هـ، دخل بلغار حيث مات أحد أبنائه، وبعد ذلك بخمس عشرة سنة

---

(5) رواية المقري (المصدر المذكور وهي تنفرد بذكر بعض شيوخ أبي حامد وتصطدم برواية الصفدي) المصدر المذكور، فيما يتعلق بأبي صادق بن مرشد (الذي يذكر أن أبا حامد حدث عنه في بغداد كما حدث عن الرازي في نفس المدينة) وكان أبو حامد شيخا فاضلا أديبا صنف كتابا في العجائب التي شاهدها بالمغرب (ص. 246).

(6) انفرد بذكره الصفدي. نفس المصدر.

(7) يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، من كبار وزراء الدولة العباسية، ولد في سنة 499هـ في قرية من أعمال دجيل بالعراق، ودخل بغداد حيث تلقى العلم، واتصل بالمقتفي لامر الله فولاه بعض الاعمال قبل أن يستوزره في سنة 544هـ. ولما توفي المقتفي وبويع المستنجد أقره في الوزارة واستمر يشغل هذا المنصب حتى توفي في بغداد في سنة 560هـ كان يجمع إلى حصافته وبراعته السياسية علما بالأدب والفقه، وله نظم وصف بأنه جيد، انظر أخباره في وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس (دار الثقافة، بيروت 1968 ـ 6/230 ـ 244) العبر (3/524) شذرات الذهب لابن العماد (طبعة بيروت ـ 4/191) النجوم الزاهرة لابن تغربيردي (طبعة القاهرة ـ 5/369) مرآة الزمان لسبط بن الجوزي (طبعة حيدر آباد 1370هـ 8/255) مرآة الجنان لليافعي (إعادة الطبع ـ بيروت 1970 ـ 3/344).

(8) قارن : (1) Brock (Gal. II/161 واكرا تشكوفسكي تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم (طبع جامعة الدول العربية 1957 ـ 2/295) وقد ورد في الترجمة غلطاً : ابن خبير).

نجده في باشغرد (أو باشقرد[9])، أي في هنغاريا حيث كان يمتلك منزلا. وفي هذه المدينة تزوج ابنه حامد بسيدتين من تلك البلاد وأقام هنالك بصفة دائمة[10].

وفي سنة 554 هـ، عاد إلى بغداد حيث نزل مرة أخرى في ضيافة الوزير ابن هبيرة. وفي غضون هذه الإقامة ألف للوزير كتابه المعنون «المغرب عن عجائب المغرب»[11].

وفي سنة 557 هـ، استقر به المقام في الموصل، حيث نزل عند أحد علماء هذه المدينة، واسمه الشيخ معين الدين، أبو حفص عمر بن الخضر الازدبيلي[12]، وهو مؤلف كتاب بعنوان «وسيلة المتعبدين». وإلى جانب الضيافة، وجد أبو حامد تشجيعا لدى هذا الشيخ لتسجيل مشاهداته وما صادفه من العجائب والغرائب أثناء رحلاته. وفي ذلك يقول مؤلفنا:

«ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين ونزلت في جناب الشيخ الإمام الزاهد الماجد معين المسلمين ومحيي سنن سيد المرسلين وخاتم المرسلين، بتأليفه «وسيلة المتعبدين» أبو حفص عمر بن محمد، مستوحياً بتآليفه رضي الله تعالى، «وشفاعة نبيه المصطفى» فشهدت من إكرامه وتواضعه وبره بجميع المسلمين... جازاه الله عني أفضل الجزاء. ولم يزل، أبقاه الله، ومن المكاره وقاه يحثني كلما كنت ألقاه أن أجمع ما رأيته في الأسفار من عجائب البلاد والبحار، وما صح عندي من نقلة الأخبار، فأجبته إلى ذلك ورأيت أن أسمي هذا المجموع «تحفة الألباب ونخبة الاعجاب[13]» ومن العراق انتقل إلى الشام

---

(9) انظر الهامش على النص.

(10) قارن: Jacob (G) Studien in Arabishen Geographen (Heft I-IV. Berlin (1891-1892); Ievichi(T), Wegry I Muzulma-nie Wegierscy W Swietle relacji Podrozniko arabskiego ZXWIIW ; Abu Hamid al Andalusi al Garnatigo RO, XIII (1937) Lwow 1938, p. 106-122.

(11) سماه إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين «المجموع المغرب عن عجائب المغرب»، وقال إنه فرغ من تأليفه في سنة 555هـ. قارن هدية العارفين (طبعة استانبول 1951 ـ 2/94) وفيه ورد اسمه: محمد بن عبد الرحمان الأندلسي. قارن الصفدي المصدر المذكور.

(12) قارن عن هذا الشخص Brock (Gal. SBI.P. 783 ـ 784) وهو يسميه أبو جعفر عمر بن محمد الأربيلي، وكتاب الروضتين لأبي شامة (طبعة القاهرة 1/189).

(13) التحفة (ورقة 4 ظ ـ 95).

في فترة تالية وأقام بحلب بضع سنوات ثم سافر إلى خراسان حيث أقام بعض الوقت، قبل أن يعود إلى دمشق حيث توفي في سنة 565 هجرية[14].

كتاب تحفة الألباب :

كان لكتاب «تحفة الألباب» تأثير واضح في الأجيال التي جاءت بعد أبي حامد، وذلك على مستوى الجمهور وعلى مستوى الكتاب من الجغرافيين والكوزموغرافيين والمؤرخين على السواء. فأما الجمهور فقد جذبه إلى الكاتب أسلوبه الرفيع (وهو لهذا ولغيره، يمكن اعتباره تحفة أدبية) وما يقصه ويرويه من مشاهداته الشخصية المسلية وما ينقله عن الغير مما يزكيه ويثق بنقله من العجائب والغرائب، وهذا شيء تشهد به كثرة النسخ الموجودة في مختلف أقطار العالم من كتاب «التحفة». وأما الكتاب فقد استهوتهم في الكتاب تلك الروح العلمية التي تدفع الكاتب إلى تحقيق ما يرويه وإسناده بعناية إلى من ينقله عنه، وكون القصص والحكايات التي يقدمها، إذا كانت مسلية ومثيرة، فهي في أغلب الحالات تكتسي طابعا من الحقيقة، وكذلك يمكن بحق اعتبار أبي حامد مؤسسا لمدرسة تقف على الحدود بين أدب الرحلة والجغرافيا. والكتاب الذين تأثروا بهذا الأدب موزعون بين مختلف العصور والبلدان. وهم طائفتان : طائفة اتخذته مصدرا للاستشهاد بأقواله وللاقتباس من رواياته، وطائفة اقتدت بمنهجه وقلدت منهجه وعمدت إلى اقتباس شذرات مهمة من التحفة.

وأهم الكتاب الذين تعرضوا لتأثير أبي حامد واستشهدوا بأقواله واقتبسوا شذرات من التحفة هم حسب الترتيب الزمني :

القزويني (605 ـ 682 هـ) في كلا كتابيه : «عجائب المخلوقات» و«آثار البلاد وأخبار العباد» (انظر مقتبساته في الملحق) وابن الوردي (691 ـ 749 هـ) في كتابه «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» (انظر الملحق)، والدميري

(14) رواية الصفدي في الوافي (3/246) والمقري في النفح (2/235) وأما صاحب هدية العارفين (2/94) فقد ذكر أنه مات في سنة 658هـ.

(742 ـ 808 هـ) في كتابه «حياة الحيوان الكبرى»، والقلقشندي (756 ـ 821 هـ) في كتاب «صبح الأعشى» (انظر الملحق)، وتقي الدين المقريزي (766 ـ 845 هـ) في كتاب «الواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، والابشهي (790 ـ 852 هـ) في «المستطرف من كل فن مستظرف» وابن إياس (852 ـ 930 هـ) في كتاب «نشق الأزهار في عجائب الأمصار».

فهؤلاء جميعا استشهدوا بأقوال أبي حامد ورواياته، واقتبسوا من «التحفة»، فمنهم من يذكره باسم أبي حامد، أو أبي حامد الأندلسي، ومنهم من يذكره باسم «مؤلف تحفة الألباب»، ومنهم (مثل القلقشندي، وابن إياس) من يقتصر على الإشارة إليه باسم «الاقليشي». وأما المقريزي فيكتفي بالاحالة إلى كتاب «تحفة الألباب».

ونسبة الاقليشي وكونها تنطبق على أبي حامد، ظلت (كما سبقت الإشارة إلى ذلك) محل نزاع بين الباحثين حتى اثبتها العالم الروسي، دورن (Dorn) نهائيا في سنة 1872[15]. وقد سانده في هذا الرأي جاسطون فييت (G. Viet) في طبعته لخطط المقريزي[16]. ومن جهة أخرى، لاحظ دورن أن نسبة «الأندلسي» التي وردت في كتاب «مناهج الفكر ومباهج العبر»[17] لجمال الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بالوطواط تنطبق أيضا على أبي حامد[18]، والمؤلف الوحيد الذي احترم عددا من الأسماء والنسب الكثيرة التي عرف بها أبو حامد، فيما نعرف، هو ابن فضل الله العمري (700 ـ 749 هـ) عندما نقل عنه فقرة في كتابه «مسالك الأبصار وممالك الأمصار»[19] الذي ذكره باسم محمد بن عبد الرحيم «الاقليشي الغرناطي».

---

(15) Mélanges Asiatiques (VI/685 note 3).

(16) مطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة 1922 (3/136 هامش 4).

(17) توجد نسخة خطية منه في مكتبة جوته (Gotha) (رقم 3/98) واخرى في مكتبة أكسفورد تحت رقم Uri 907 اقتبس منه فانيان الصفحات التي تتعلق بالمغرب وترجمها إلى اللغة الفرنسية (Fagnan, Extraits Inédits (Alger, 1924, pp. 41-68)

(18) أنظر Mélanges Asiatiques (VII/685, note 3).

(19) النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة البودليان تحت رقم 900، وهذا النص نشره Quatremer في Notices et Extraits (XIII, 1838, p. 167)

التحفة في البحث الجغرافي الأوروبي :

أول من تحدث عن «تحفة الألباب» من الباحثين الأوروبيين، فيما نعرف، هو السائح والمستعرب الفرنسي، «هربلو» (Herbelot) في «المكتبة الشرقية»[20] وقد ذكره بعنوانه الصحيح «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب».

وفي سنة 1798، خصص «لانجليز» (Langlès) للتحفة تعليقا وترجم منه قطعة في طبعته لكتاب لويس نوردن المعنون «رحلة إلى مصر وبلاد النوبة»[21]. وقد ذكر في هذا التعليق أن أبا حامد يواصل سرده للأحداث حتى سنة 530 هـ، وهو تقرير غير صحيح، حيث أن كتاب التحفة قد حرر، كما رأينا في سنة 557 هـ.

وفي سنة 1846، خصص «كورتن» (Cureton) واضع فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني (والفهرس مكتوب باللاتينية)[22] وقد وصفه بأنه عبارة عن رسالة صغيرة في الكوزموغرافيا لا قيمة لها».

وقد تحدث عنه رينو في مقدمته المشهورة للترجمة الفرنسية التي قام بها لكتاب «تقويم البلدان» لأبي الفدا[23] فأبدى هو أيضا تحفظا ملحوظا في رأيه في قيمة «تحفة الألباب». فهو يرى أن المؤلف «كان بوسعه أن يقدم خدمات كبرى في محيط الجغرافيا والتاريخ الطبيعي، لو أنه جمع إلى طبيعته المتشوقة إلى المعرفة نصيبا من الإطلاع وروح النقد»[24].

وبعد رينو ببضع سنوات وضع «مهران» (Meheren) نبذة عن سيرة أبي حامد الغرناطي، اعتمادا على مخطوطة كوبنهاجن[25].

---

(20) La bibliothéques Orientale (باريس 1776 رقم 884).

(21) Norden (F.L.) Voyage d'Egypte et de Nubre (Paris 1798, III/244).

(22) لندن 1846 (440/2).

(23) Reinaud (J). La Géographie d'Aboul Feda, I, Introduction général à la géographie des Orientaux, (Paris, 1848).

(24) Ibid. (CXII — CXI/I) وانظر كذلك ص CCCLXXXXV.

(25) نشرها في Annaler for Nordisk Oldkyndighed og. Historie (copenhagen, 1857).

وكـذلـك تشتمـل قوائم المخـطوطات العربية التي وضعت بعد ذلك لمكتبـات باريس ولندن وكوبنهاجن وبرلين وسانت بيتر سبورج والجزائر، على ملاحظات ومعلومات قيمة عن «تحفة الألباب».

وأما المستشرق الروسي «دورن» (Dorn) فقد اطلع على النسخ المحفوظة في بيتر سبـورج وكـوبنهـاجن وبـاريس من «التحفـة» ودرسها بعناية قبل أن يستخلص منهـا النص الذي ترجمه إلى اللغة الألمانية[26]. وقد كان أول من أنصف أبا حامد ونوه بقيمة كتابه، حيث وصفه بأنه «عمل في غاية الأهمية. . . وإنه ليمكن استخلاص حقائق جديدة وقيمة من بين العجائب والغرائب التي ينطوي عليها الكتاب. . .».

وهذا الرأي يتعارض تماما مع الحكم القاسي الذي كان سيلفاستر دو ساسي قد أصدره على «التحفة» منذ أوائل القرن التاسع عشر، ودون أن يكلف نفسه عناء درس الكتاب، وذلك بوصفه إياه بأنه «غير ذي قيمة كبيرة»[27].

وكذلك لفت الأنظار إلى «التحفة» منذ أوائل العقد التاسع من القرن الماضي «مارسيل دفيك» (Marcel Devic) في مقال نشره في مجلة الجمعية الجغرافية اللنجدوسية ونوه فيه بقيمة الكتاب[28].

وفي 1892 نشر المستشرق الألماني جورج يعقـوب (G. Jacob) دراسة تحليلية متعمقة لكتاب «التحفة» ركز فيها اهتمامه خصوصا على القسم الذي خصصه المؤلف لمصر والسودان وللأراضي الأسيوية الداخلية، وقد أعلن هذا البـاحث تقديره لمساهمة أبي حامد بالمعلومات التي يقدمها عن هذه المناطق، فكان رأيه فيها ممتازا، ويفوق حتى حسن رأي «دورن»[29] وقد أثبت يعقوب

---

(26) Mélanges Asiatiques (VI/686 note 3).

(27) Silvaster de sacy, relation d'Egypte par Abd Allatif. Médecin arabe de Bagdad etc. (Paris, 1810, p. 218).

(28) Bull soc. Langdocienne de Géographie, (1882, tirage apart p. 25-26).

(29) Jacob (G), des spanish arabischen Reisenden Abu Hamid Kosmographie «tuhfat Al Albab» und ihre Vissenchaft lichen Ausbeute. Studien in arabishen géographen, (Berlin 1892, p. 69-94).

في هذه الدراسة أن كثيرا من روايات أبي حامد التي كانت من قبل تعتبر في نظر الباحثين مجرد أساطير وخرافات، تقوم على أسس واقعية وتدل على دقة ملاحظات الكاتب.

وكذلك عني فانيان بنقل الشذرات التي تتعلق بالمغرب من «التحفة» إلى الفرنسية وضمنها المقتبسات التي نشرها بعنوان[م29] (Extraits Inédits).

وهذا الكاتب وصف التحفة بأنها «مجموعة من العجائب لا قيمة لها، لأبي حامد[30].

على أنه من الغريب حقا أن نجد أن الكاتب قد اعتمد لاقتباس شذراته لا على واحدة من نسخ باريس والجزائر التي كانت تحت تصرفه، بل هو فضل عليها نسخة جامعة أكسفورد التي وصفها هو نفسه بأنها «لا يمكن أن تكون إلا مزيفة (Apocryphe)»[31] وهي بالفعل، مزيفة كما سنرى في الفقرة التالية التي نخصصها لوصف النسخ التي اعتمدنا عليها لتحقيق التحفة.

وبعد العالمين يعقوب «ودورن» اللذين اكتشف كل واحد منهما الأهمية التي تكتسيها «التحفة» في الناحية التي كان أول من رد إلى أبي حامد وكتابه اعتباره الكامل، وأعطاه المكانة التي بخل بها الكثيرون عليه، هو المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»[32] حيث خصص لبحث مساهمة أبي حامد مكانا لا يقل عن المكان الذي حبا به الادريسي.

صحيح أن «كراتشكوفسكي» ينتقد المؤلف بأنه لا يبرز من مصادره إلى جانب القرآن إلا عدداً ضئيلاً جدا من المؤلفات... وكأنما نسي هذا الكاتب الكبير أن أبا حامد كان رحالة مستكشفا وأنه مؤسس «مدرسة العجائب» والأول في بابه، وأن من يستحق أن يشير إليه، مثل ابن فضلان والمسعودي والجاحظ

(م29) Fagnan (E), Extraits Inédits Relatif au Maghreb (Alger, 1924, p. 27-40)

(30) نفس المصدر (ص 2 هامش 2).

(31) نفس المصدر (ص 27).

(32) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (نشر الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ـ جزآن 1957).

قد أشار إليه فعلا، كما سجل أسماء الذين أخذ عنهم بطريق الرواية الشفهية.

وأيّاما كان الأمر، فإن المؤلف الروسي يصرح، بدون تردد، بأنه من المستحيل تجاهل الغرناطي في تاريخ الأدب الجغرافي، فهو قد اكتسب شهرة عريضة لدى جمهور القراء، وقد راق كثيرا للأجيال القادمة(33).

وبعدما يقول: «إن ميله إلى الغرائب واضح ملموس بحيث لا يمكن إنكاره»، يستدرك مؤرخ الأدب الجغرافي العربي. ينقل رأي كرامرز الذي يقول إن عرضه يتميز بالحيوية والتفنن، ويمكن بعد تمحيصه تمحيصا دقيقا، استخراج نتائج طيبة منه في مختلف النواحي(34).

ويمضي كراتشكوفسكي في تحليل «تحفة الألباب»، فيقول: «ويورد أبو حامد أسماء رواته بدقة، ويتحدث عن نفسه بضمير المتكلم، ولهذا يمكن التفريق بسهولة بين مصادر مادته، وكثير مما يورده على لسان الغير لا يمثل في الواقع أهمية ما، وذلك لسهولة تصديقه للعجائب، واعتقاده فيها. ولكنه، على أية حال، يبذل دائما قصارى جهده لتوسيع نطاق معلوماته. ففي القاهرة، مثلا يتجاذب الحديث مع أهل الحجاز عن عجائب الهند والصين، حيث أمضى ذلك الرجل أربعين سنة من عمره. وفي بغداد يستفهم أحد مسلمي صقلية عن ثوران بركان أتنا. وفي هنغاريا يجمع أخبارا مفصلة من أهل البلاد عن القسطنطينية والمشاكل السياسية فيها. وتنال أهمية خاصة روايته لما رآه بعيني رأسه، وهو يمثل ثلث الكتاب تقريبا. واهتمامه بالأبنية والمعالم المختلفة قد خلف لنا مقدارا ملحوظا من المعطيات الطريفة. فهو قد رأى أعمدة هرقل عند مضيق جبل طارق، وذلك قبل فترة قصيرة من انهيارها عام 1145م. وكان واحدا من بين الآخرين ممن رأوا فنار الاسكندرية في صورته التامة، وآخر من ذكره كان الادريسي. وبعين شمس، قرب القاهرة رأى المسلة التي سقطت عام 1160 م. كما نفذ إلى داخل هرم خوفو ويعلق يعقوب على هذا بقوله إن هذه

(33) نفس المصدر (ص 296).
(34) نفس المصدر (ص 296).

ليست هي الحالة الوحيدة التي قد تثير اهتمام علماء الدراسات المصرية القديمة (Egyptology) في كتابه، ويصدق هذا القول على مجالات أخرى كثيرة. وإذا حدث أن وجد لديه علماء الطبيعة مادة، إلا أن معلوماته ذات قيمة كبرى فيما يتعلق باستفادة الانسان من ثمار الطبيعة العضوية منها وغير العضوية وليس من المستطاع، بطبيعة الحال، مقارنة معلوماته عن أوروبا، من ناحية الكم، بما أورده غيره من الجغرافيين، ولكن، رغما من ذلك، نجد من بينها معطيات قيمة[35].

وفي سنة 1925 قام جبريال فران (G. Ferrand) بنشر «تحفة الألباب» في الجريدة الآسيوية (J. Asiatique) في عدد يوليو ـ سبتمبر، معتمداً نسختي باريس رقم 2167، 2168. وقد وصلته نسخة الجزائر بعد ما انتهى من العمل في المخطوطة، وتمكن خصوصا من اقتباس الفصل الذي تنفرد به هذه المخطوطة، ووضعه في آخر الكتاب في شكل ملحق (وهو نص أدرجناه في مكانه الطبيعي في مخطوطتنا وقد نبهنا إلى ذلك). والنص المطبوع يحتوي على كثير من الأغلاط بعضها يرجع إلى الطبع، والبعض الآخر إلى حرص المؤلف على الإبقاء عليه كما ورد في المخطوطة، وهذه هي الحالة خصوصا فيما يتعلق باغلاط النحو والصرف وقد عمدنا إلى تصحيحها دون التنبيه إلى ذلك.

مساهمة أبي حامد في الجغرافيا :

لم يترك لنا القدماء شيئا يعتمد عليه في محاولة تقدير قيمة التحفة. والحق أن ذلك يبدو عبر القرون أمرا صعبا للغاية. فإذا كان المتأخرون الذين توفرت لديهم المكتبة الجغرافية العربية كاملة أو شبه كاملة، مع مصادر أخرى للبحث والمقارنة قد عجزوا عن تحديد أبعاد مساهمة أبي حامد وقيمة «التحفة» فإن مهمة المتقدمين الذين لم تكن لديهم سوى فكرة غامضة عن الشعوب والأصقاع التي يتحدث عنها أصعب في ذلك وأشق، ولا سيما، وأن وصفه تختلط فيه الأساطير

(35) المصدر المذكور (ص 296) استند المؤلف على عدد من المصادر في هذه الفقرة لم نثبتها وعلى الراغب في الاطلاع عليها الرجوع إلى الكتاب.

وحكايات العجائب والغرائب. ومن هنا، فلا غرو أن تتسم أقوال الذي ذكروا أبا حامد والتحفة بالاقتضاب وكثير من التحفظ.

يقول الصفدي[36] إنه تكلم فيه الحافظ بن عساكر، قلت: أظن كلامه من قبيل الحكايات التي يوردها عن عجائب رآها:

وذكر المقري[37] أنه رأى عجائب في بلاد شتى، ونسبه بعض الناس، بسبب ذلك إلى ما لا يليق، وصنف في ذلك كتابا سماه «تحفة الألباب»، وكان حافظا عالما أديباً، وتكلم فيه الحافظ بن عساكر، وزنه بالكذب، وقال النجار: ما علمته إلا أمينا.

والشيء الأول الذي نلاحظه، هو أننا إذا عزلنا مصر عن المغرب فإن المساهمة التي تقدمها «التحفة» عن أقطار الشمال الافريقي لا تكاد تذكر، ولكن الشيء الذي يدعو إلى الاستغراب هو ضآلة المادة التي يقدمها أبو حامد عن الأندلس، وطنه الذي لابد وأن يكون قد عرفه جيدا حيث أنه فارقه وهو يقترب من الثلاثين. ونحن إذا استثنينا مغارة أهل الكهف وكنيسة الغراب، لا نكاد نجد شيئا في روايته عن هذه المنطقة يستحق الاهتمام. والتحفة خالية من أية معلومات تذكر عن أوروبا الغربية والجزر البريطانية التي تناولها بالوصف كبار الجغرافيين العرب الذي جاءوا بعد أبي حامد، وأما رومية التي وصفها فنحن نجزم يقينا بأن المقصود بها ليست رومة، بل القسطنطينية التي كانت هي أيضا عاصمة للامبراطورية الرومانية (الشرقية) وأبو حامد دقيق في قوله بأنها لا تبعد كثيرا عن باشغرد حيث كان يقيم، وأنه كان ينوي زيارة رومية ولم تمنعه من ذلك إلا أسباب سياسية. ونظرة على الخريطة تقنعنا بأن المسافة بين روما وباشغرد التي تقع في هنغاريا أضعاف المسافة بينها وبين القسطنطينية. ولكنه في هذه الحالة يجب أن نفترض أن رومية اسم يطلق على روما التي وصفها الادريسي وغيره وعلى القسطنطينية التي يتحدث عنها أبو حامد[38].

(36) المصدر المذكور (3/246).

(37) المصدر المذكور (2/235).

(38) انظر نقد زيبولد (Seybold) للتحفة Abi Hamid da Grenada. La descrizion di Roma Deutsche Literaturzeitung (XXVIII, 1907, p. 1716) وفيه ذهب الكاتب إلى أن رومية أبي حامد هي رومة، قارن كراتشكوفسكي المصدر المذكور (ص 296).

وكـذلـك نجـد أن المعلومـات التي يقدمها مؤلف «التحفة» عن الهند والصـين معلومـات ضئيلة القيمة وفقيرة المادة بحكم كون روايته تعتمد على السماع، بل هو لم يستفـد حتى مما كتبه من سبقه عن هذه الاصقاع، مثل المسعودي وسليمان التاجر والأصطخري.

وفي مقـابـل ذلـك، نجد أن المعطيات التي تشتمل عليها عن أوروبا الشرقية وشواطىء بحر قزوين، وبضفة أخص حوض الفولجا الأوسط والأدنى وعن شعوب القوقاز ذات أهمية قصوى(39) فمن المعطيات الأساسية التي تحتوي عليها التحفة والتي لم يسبق إليها أبا حامد أحد ذكره بلاد الألمان باسم نامس (أو نامش في بعض النسخ) (النمسا) وهو الإسم الذي كان يطلقه الصقالبة على الشعوب الجرمانية. وأبو حامد أيضا هو أول كاتب عربي يتحدث عن تجارة في عظام البشر. وربـما كانت عظام العمالقة التي نشطت بين سكان ضفاف الفولجا ومنطقة خوارزم. وقد أثبت سارطون أن هذه العظام قد ورد ذكرها عند مؤلفي العالم القديم(40) وكذلك يقدم أبو حامد معلومات هامة وتفاصيل ينفرد بها عن أصحـاب الـزرد (زريه كاران) الـذين يقـطنـون قرب دربنـد (باب الأبواب)، وهـم الشعب الذي يسمى حاليا الكبجي (Kubachi)(41).

ومن هذا القبيل أيضا ما ذكره عن سكان هنغاريا، وهي المعطيات التي استعـان بها العـالم البولندي «ليوكي» (Lewicki) منذ عهد قريب لالقاء ضوء جديد على أصل المسلمين الهنغاريين ووضعهم في تلك البلاد(42).

والمنطقة التي درست بعناية خاصة من المناطق التي تعالجها «التحفة» هي روسيا والمناطق القديمة المجاورة لها، ويرجع الفضل الأول في ذلك إلى العلامة «دورن» الذي بذل لذلك مجهودا متواصلا وكان من أول من اشتغلوا بإبراز أثر

---

(39) كراتشكوفسكي، المصدر المذكور (ص 297).

(40) Sarton (G), Introduction to the History of Science from Homer to Omar Khiam (Baltimore, 1946-I/313).

(41) جاء في وصف طقوس اعداد عظام موتاهم في التحفة يخرجون عظام الموتى ويجعلون عظامهم في أكياس: الأغنياء والسادة أكياسهم من الديباج المذهب الرومي، والعبيد والإماء في الخام وشبهها من الثياب ويعلقونها في البيت ويكتبون على كل كيس اسم صاحبه (ورقة 61 الوجه وظهر).

(42) المصدر المذكور (ص 830).

أبي حامد الغرناطي ومساهمته في الجغرافيا، وذلك على الرغم من أن علماء آخرين، وفي مقدمتهم «فرين» (Frähn) [43] «وشارموا» (Charmoy) [44] قد سبقوه في الاهتمام بأبي حامد.

وكذلك استرعت اهتمام الباحثين، وفي مقدمتهم العالم الهولندي، دوخويه[45] التفاصيل التي أوردها أبو حامد في «التحفة» عن سيف مسلمة بن عبد الملك[46] وهي تحمل في الظاهر طابعا أسطورياً، ولكن أبا حامد شاهد بعينيه المبنى الأثري الذي أقيم لهذا السيف قبله بنحو ثلاثة قرون. فإن مسلمة لما أراد الرجوع إلى الجزيرة حيث كانت مهام أخرى تنتظره في الجهاد، اجتمع عليه أهل الطبّرسلان (أو بعبارة أدق الطبرسران) من المسلمين وقالوا له : «أيها الأمير، إننا نخاف إذا انصرفت عنا أن ترتد هذه الأمم ونشقى بجوارها».

- فأخرج مسلمة سيف نفسه وقال :

- «سيفي بينكم، اتركوه ها هنا؛ فما دام بينكم لا يرتد من هذه الأمم أحد».

ويمضي أبو حامد ويقول إنهم جعلوا لسيفه كالمحراب من الصخر وأقاموه على التل، حيث كان نازلا «وهو الآن باق في تلك الأرض يزوره الناس الخ»[47].

وفي سياق معالجة أبي حامد للاصقاع الروسية يقول كراتشكوفسكي :

«وأبو حامد أحد الذين تظفر روايتهم بأهمية خاصة بالنسبة لتاريخ

---

(43) Frahn, Ibn Foszlan Und ander Berichte Uber die Russen Altrer Seit (St. Petersbourg, 1823, Px, 211. 216, 229).

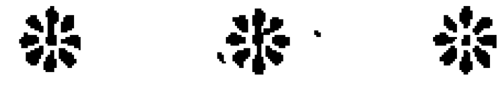
(44) Charmoy, Relation de Masoùdy et d'autres musulmans sur les anciens slave. في Mémoires de l'Académie Imp. des Sciences de St Peresbourg, VIe serie 1834 (2/342) وقد أورد فيه اقتباسا من تحفة الألباب نقله عن القزويني في كتابه عجائب المخلوقات.

(45) De Goeje (M), Einige Mededeelingen Over de Arabische Geografen door M.J., De Goeje (Leiden 1874, notes, p. 190-199, n°5, 1875)

(46) انظر الهامش أسفله عن مسلمة بن عبد الملك.

(47) التحفة (ورقة 58).

شعوب اتحادنا السوفياتي، ولا تزال مادته في هذا الشأن تنتظر بحثا خاصا يأخذ في حسابه المادة التي تجمعت منذ عهد «دورن»[48].



من الصعب تصنيف أبي حامد بين الجغرافيين العرب، ولو أنه يقدم إلينا معطيات جغرافية، وقد يكون في بعض الأحيان المصدر الوحيد لها، كما أنه ليس من الممكن وضعه في شكل الكتاب الذين يطلق عليهم اسم «الكوزموغرافيين» من نوع القزويني والدمشقي وابن الوردي. وهو في نفس الوقت ليس من طراز الرحالة الذين يسجلون ما يصادفهم في طريقهم في الذاكرة أو على القرطاس، ولو أنه تجول هو أيضا وقص علينا بعض مشاهداته الغريبة والمثيرة ببساطة وأمانة، وعفوية تقرب من السذاجة. وهذا الإعتبار هو الذي جعل بعض المحدثين يصفه بضعف روح النقد وقلة التمحيص لما يجمعه من الحكايات.

لقد صادف أن تجول أبو حامد في مناطق لم يطرقها أحد من العرب قبله، وجمع ما استرعى انتباهه فيها من القصص التي أثارت شعور الدهشة والاستغراب في نفسه، وهو لم يدع قط أنه يكتب التاريخ أو يصف الممالك. ومع ذلك، فهو يبذل قصارى الجهد لتحقيق ما يبلغ مسامعه، وتلك خصلة في علماء المسلمين في جميع الأجيال وفي رواة الحديث بصفة خاصة (ألم يحدث أبو حامد في دمشق ؟)، ومشاهداته الشخصية قد تبدو سطحية في الظاهر ولا تبعث في نفوسنا إلا ابتسامة عابرة، بدلا من الدهشة والاستغراب الذي يتوقعه المؤلف لأن نفوسنا فقدت الاحساس بالغريب والعجيب بسبب تخمتها مما تقصة الشاشة الكبيرة والصغيرة يوميا من العجائب. ولكن تلك القصة والحكاية البسيطة التي يعرضها علينا قد تحجب في طياتها حقيقة تاريخية مهمة.

خذ مثلا قصة السوار الذهبي التي شاهد أحداثها في سخسين[49].

(48) المصدر المذكور (ص 297).

(49) سقسين عند ابن سعيد وابن الفدا والقزويني وهي مدينة كازان الحالية تقع على نهر الفولجا انظر الهامش أسفله.

يقول أبو حامد إنه اجتمع إليه بعض أهل العلم من سكان هذه المدينة في سنة 525 هـ، وكان من بينهم رجل ضعيف الحال فسأله ماذا يصنع بسوار من ذهب كبير الوزن وجده في جوف سمكة وعجز عن العثور على صاحبه بعدما جد في البحث عنه في المساجد والأسواق، فنصحه مؤلفنا بأن يأكله لأنه مال حلال. ولكن الرجل غضب لهذه النصيحة قائلا إنه لا يحتاج إليه لأنه يمارس حرفة يجني منها عيشه. فقال له أبو حامد : إذاً فلتفد به أسرى، ثم أردف قائلا :

«وليس هنا من أهل العلم من يأمرك بمثل هذا» ؟

فأجاب الرجل قائلا :

«هنا من أهل العلم من يقول : إعطنا إياه ونحن نعرف ماذا نصنع به !».

وهكذا، فإن هذه المشكلة التي تدور حول سوار في جوف حوتة وضمير مسلم حي، إذا أخذناها حرفيا نستخلص منها أنه كان يوجد في هذه المدينة رجل تقي يرفض حتى المال الحلال إذا لم يكن مما كسبه، ولكننا بتحليل بسيط للقصة نستخلص منها أن سخسين كانت مركز إشعاع ثقافي إسلامي مهم عامر بالمساجد والأسواق وتعج بالعلماء والفقهاء الخ.

وهذا الطابع الاسلامي الذي سجله أبو حامد لمدينة سخسين في النصف الأول من القرن السادس الهجري، قدر أن يستمر عدة قرون بعد ذلك، حيث أن عبد الرشيد بن صالح المعروف بالباكوي (من النصف الأول من القرن التاسع الهجري) يخبرنا بأن أغلبية سكان المدينة من المسلمين[50].

والمساهمة الأخرى التي قدمها أبو حامد في المنطقة تتصل بالطريق التجارية التي يسلكها التجار البلغار من (ويسوى) ليحملوا معهم السيوف غير المصقولة المصنوعة في أذربيجان ليبيعوها لهؤلاء الكفار ويشتروا في مقابلها فرو القندز[51] ثم يحملها أهل (ويسوى) إلى ولاية قريبة من بحر الظلمات فيبيعونها

(50) Mélanges Asiatiques (VI/710, note 46).

(51) Gastor.

لسكان تلك المناطق بجلود السمور[52]. وبهذه الوثيقة الهامة ثبت لدينا وجود علاقات تجارية لا نعرف مدى اتساعها بين سكان جبال الأورال الجنوبية من المملكة الاسلامية، عن طريق بلغار وعبر سخسين، وبين حافة بحر القطب الشمالي.



والمعلومات التي يقدمها إلينا أبو حامد عن الصحراء المغربية الجنوبية هي أيضا ذات فائدة كبيرة، ولو أنها لم تدرس ولم تستغل حتى الآن. ونحن نجد في رواية أبي حامد عن بلاد السودان معلومات عن التجارة، ولاسيما تجارة الملح الذي يباع في غانة بوزنه ذهبا (أو ربما باعوه بوزنين أو أكثر) وعن قوافل التجار التي تستغرق أسفارها حتى ستة أشهر. وكذلك نستخلص من «التحفة» معطيات عن أجناس السودان وأسلحتهم وعن الحيات التي تعيش في بلادهم. وعن حيوان اللمط وحمار الوحش والكركدن وأنواع الطير الخ، كما يعرض المؤلف لأسماء المراكز الثقافية والتجارية الكبرى، مثل غدامس وسجلماسة وغانة.

صحيح أن وصفه لبعض شعوب السودان، مثل التكرور ومالي وكوكو، وصف سطحي ويشوبه الغموض، ولكن عذر أبي حامد في ذلك هو أنه لم يتجول فيها يبدو، في هذه الأصقاع (فهو مثلا، يعترف بأنه إنما رأى سهام السودان وقسيهم في المغرب)، ومع ذلك، فإن معلوماته في مجموعها دقيقة وصحيحة في نفس الوقت، وقد يبدو من الغريب أن أحدا من الباحثين الذين كتبوا عن إفريقيا الواقعة خلف الصحراء لم يعمل لاستغلال هذه المعلومات التي هي من أقدم ما وصل إلينا، ولكن ذلك هو الواقع.

ومن جهة أخرى، شاهد أبو حامد بنفسه كثيرا من الآثار والمباني التي تحدث عنها، ولاسيما في مصر (وفي مقدمة ما شهده منارة الاسكندرية ومسجد عفان)، وهذه الآثار تهدمت واختفت بعده كلية.

---

(52) Zebeline.

وكذلك يجب أن لا ننسى المعلومات التي يقدمها أبو حامد عن بعض جزر المحيط الهندي وعن سكانها وأنواع من حيواناتها وما فيها من العجائب والغرائب، وذلك قبل ابن بطوطة بعدة قرون. ونحن يكفي أن نذكر هنا بأن العالم الفرنسي. «كزانوفا (Casanova) قد عبر عن رأيه بأن أبا حامد هو أول جغرافي رحالة عربي تحدث عن طائر الرخ الضخم[53] وذلك قبل أن يقدم لنا ابن سعيد وماركو بولو وصفها له بعدة قرون.

النسخ المعتمدة للتحقيق:

1 ـ اعتمدت كأصل لتحقيق هذا الكتاب مخطوطة المتحف البريطاني التي تحمل في فهرس المخطوطات العربية رقم ADD 18.535. وهذه أقدم نسخ الكتاب المعروفة لدينا، حيث أنها كتبت بإملاء المؤلف (انظر خاتمة الكتاب)، مقاسها 17 × 13 مسطرتها: 9 أسطر في الصفحة. وهي مكتوبة بخط مغربي جميل، ولكنها مبتورة في عدة مواضع نبهت إليها في أماكنها، وكملتها اعتمادا على نسخة الجزائر. ورد اسم المؤلف في عنوان هذه النسخة غلطا: «تصنيف أبي حامد عبد الرحيم ابن سليمان بن الربيع القيسي الأندلسي الغرناطي» وهذه النسخة ناقصة البداية ببضعة أسطر، وتحتوي على 122 ورقة.

2 ـ نسخة المكتبة الوطنية بالجزائر وتحمل في فهرس فانيان رقم 1549. مقاسها: 21 × 15، مسطرتها: 23 سطرا في الصفحة مكتوبة بخط مغربي (مغلق) حسن؛ وتحتوي على 42 ورقة. وهي كالسابقة مبتورة البداية ببضعة أسطر. وهذه النسخة متفرعة عن الأصل وتساير نسخة المتحف تماما عدا أماكن قليلة حين تنفرد بكلمة أو زيادة. وهي تحتوي على زيادة بنحو 13 صفحة اثبتناها في مكانها. ولولا أنها كتبت في وقت متأخر (عام 1227 هـ) لكانت أولى النسخ بأن تكون أصلا، ولكنني لهذا السبب اعتبرتها في المرتبة الثانية بعد الأصل من حيث الأهمية، ورمزت إليها بحرف (و).

(53) انظر مقالة في Bull de l'Institut français d'Archéologie du Caire (1919, XX 113).

3 ـ نسخة مكتبة تشيستربيتي في دبلن (إيرلاندة الجنوبية) رقم الفهرس 3630. مقاسها : 26 × 20. مسطرتها : 25 سطرا في الصفحة، تحتوي على 172 ورقة. رمزت لها بحرف (ش). وقد ورد فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف كما يلي : «عجائب المخلوقات لأبي حامد (أبو عبد الله) محمد بن عبد الرحيم (أبو عبد الرحمان) (بن سليمان المازني القيسي) انظر : 878 : 1 ـ 5. 478. 1 Brock) وهذه في الحقيقة ليست نسخة من التحفة، ولكنها تاليف مستقل يكثر صاحبه من الاستشهاد بأبي حامد، ولذلك لم اعتمدها إلا قليلا ولم أرجع إليها إلا عندما أواجه إشكالا غير عادي، في قراءة النص. وهذه النسخة على قلة جدواها، لاقيت عناءا كبيرا في الحصول عليها. حيث أن الوقت لم يتسع أمامي لتصويرها أثناء زيارتي لمكتبة تشيستربيتي، فطلبت من المسؤول على قسم الاسلاميات فيها أن يزودني بصورة منها بعدما دفعت تكاليف التصوير مسبقا وظلت الادارة تماطل وتسوف عامين كاملين مما أحوجني إلى الالتجاء إلى أحد الأصدقاء الانجليز وحصلت على هذه النسخة التي كنت، في الحقيقة في غنى عنها.

4 ـ نسخة البودليان (جامعة اكسفورد، رقم الفهرس Uri 965. مقاسها : 28 × 18. مسطرتها : 18 سطرا في الصفحة، وهي تحمل عنوان «كتاب عجائب المخلوقات» ولم يرد اسم المؤلف فيها بالعربية بل هي مكتوبة بالأحرف اللاتينية على الورقة الواقية. وهذه النسخة مزورة بالتأكيد، ولا صلة لها بتحفة الألباب، وذلك على الرغم من أننا نعثر فيها في حالات نادرة على فقرة مقتبسة من التحفة. وقد كان رينو (المصدر المذكور 1/111 ـ 113) قد تشكك فيها كما وصفها فانيان (المصدر المذكور ـ ص 27) بأنها «مزيفة على الأرجح»، وصاحب هذه المخطوطة يقتبس كثيرا من كتاب الفلاحة لابن العوام، والمخطوطتان مدرجتان في سفر واحد بشكل مختصر كتاب الفلاحة القسم الثاني فيه، أشرت إليها مرة أو مرتين برمز حرف (ك) ولكنني في الحقيقة لم أستفد منها.

5 ـ نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم فهرس دوسلان : 2167. مقاسها : 180 × 125. مسطرتها : 11 سطرا في الصفحة وهذه المخطوطة كانت ضمن مكتبة كولبير، وعليها كتابة بالعربية تفيد أنها كانت ملكا لسيدة تسمى نعمت عبد الله، وتاريخ نسختها 1030 هجرية. مكتوبة بخط نسخي جميل وثلاثة أرباعها مشكول ولكنها تحتوي على أغلاط كثيرة. عدد أوراقها 104 رمزت إليها بحرف (ب).

6 ـ نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم فهرس دوسلان : 2168. مقاسها 215 × 155، مسطرتها : 21 سطرا في الصفحة. وهي تحمل عنوان : «كتاب ثمر الألباب وزهر الآداب»، ولكن كلمة ثمر تشف تحتها كلمات «كتاب تحفة الألباب». على أن عنوان الكتاب يبرز كاملا في النص في الورقة 3 : «ورأيت أن اسم هذا الكتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب. تحتوي على 46 ورقة. رمزت لهذه النسخة بحرف (ج).

7 ـ نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم فهرس دوسلان 2170. مقاسها : 215 × 150. مسطرتها : 13 سطرا في الصفحة. تحتوي على 93 ورقة وتاريخ نسخها 1140 هجرية. ورد عنوان الكتاب كما يلي : «هذا كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب على صفة الدنيا وسكانها والبلدان والتجار وما يخرج من القير والقار وعجائب وغرائب»، ولكن اسم المؤلف لم يرد فيها، وهي مكتوبة بخط مقروء ومشكول. وهذه النسخة تتفق إلى أقصى حد مع الأصل، ولابد وأن تكون فرعا منه، ولذلك اعتبرتها في المرتبة الثالثة من الأهمية بعد نسخة الجزائر ورمزت لها بحرف (م).

8 ـ نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم فهرس دوسلان 2171. مقاسها : 225 × 160. مسطرتها : 19 سطرا في الصفحة، وهي تحتوي على 59 ورقة. ورد عنوان الكتاب فيها : «كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب» واسم المؤلف غلطا : «ابن عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن الربيع القيسي الغرناطي». رمزت لهذه النسخة بحرف (ت).

9 ـ نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم فهرس دوسلان : 2169. مقاسها : 205 × 150. مسطرتها بين 21 و23 سطرا في الصفحة. تحتوي على 56 ورقة. في آخرها تاريخ النسخ : 1032 هجرية. رمزت لها بحرف (ح).

هذا وقد سبق أن أشرت إلى نسخة محفوظة في المكتبة الملكية في كوبنهاجن (الدانمارك) وأخرى في مكتبة سانت بيترسبورج لينينجراد حاليا استعملها بعض الباحثين ووصفوها في الدراسات المحال إليها.

16 مايو 1982

إسماعيل العربي

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب

لأبي حامد الغرناطي

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ الحمد لله الذي أبدع العالم علما على توحيده، فشهد كل موجود بوجوده، ودلت كل نعمة على كرمه وجوده وسخر السموات بأصناف جنوده، وأمرهم بتسبيحه وتقديسه وتمجيده، وأسكن الأرض من شاء من عباده، وقسمهم بين شقيه وغويه، وجعل المغرب قبلة المشرق في ركوعه وسجوده، فكل محدث مقهور بقدرته معبوده، وأظهر في الآفاق من عجائب المخلوقات ما تكل الأفهام عن إحصائه وتقديره وتكييفه (أ) ووكل بالتماسه من خصه بتأييده وتسديده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف الالهية ووحدانيته [وربوبيته] (ب) علم يقين دون تقليده، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أفضل أنبيائه ورسله وأوليائه وشهوده، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وأنصاره أئمة دينه وصناديده، [صلاة دائمة بدوامه، باقية ببقائه، خالدة بخلوده، وسلم وكرم وشرف] (ج) [وعظم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون] (د).

أما بعد، فإن الله تعالى جلت قدرته، وشملت رحمته قد منَّ على جميع العباد نعماً ما لها من نفاذ، وخص منهم بالفضائل من اصطفاه وجعلهم مصابيح دينه ودنياه وأجرى على أيديهم صنوف الخيرات، والزمهم بأنواع الكرامات، ليعين بهم الضعيف، ويغيث بهم اللهيف، ويعلم بهم الجاهل وينبه بهم

(أ) هذه الفقرة من الديباجة مأخوذة من نسخة (ب) والأصل مبتور حيث يبدأ بكلمة وتحديده الخ. والجدير بالذكر أن الديباجة تختلف بين نسخة وأخرى من النسخ التي اعتمدناها. النسخة (ش) تبدأ بكلمة قال أبو حامد وبدون ديباجة، والنسخة (ر) هي أيضا مبتورة الديباجة، وتبدأ بكلمة «فشاهدت ومن كرمه إكرامه (الخ)».

(ب) ما بين القوسين المربعين زيادة في (م).

(ج) ما بين القوسين المربعين ورد في الأصل في الهامش خارج إطار الصفحة.

(د) ما بين القوسين المربعين زيادة في (م).

الخامل، ويغني الفقير، ويكبر (أ) بهم الصغير ويعضد بهم الذليل؛ ويكثر بهم القليل، وينصر بهم المظلوم ويقهر بهم الظلوم، ويتمم بهم النعم، ويصرف بهم النقم، ويظهر بهم الكرم، وينقذ بهم من العذاب الأليم، ويقود بهم إلى جنان النعيم. ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. وقد أمر الله تعالى، أيها الناس، بشكر من أجرى إحسانه على يديه إليك بقوله عز وجل: ﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾. وجميع الاحسان في الدنيا والآخرة. [من الله، عز وجل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وقال عليه الصلاة والسلام: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة] (ب). قيل في معنى هذا الخبر إن الله عز وجل يشفع المحسن يوم القيامة في كل من أحسن إليه ليتمم نعمته عليه. ويشهد لصحة هذا التأويل أن الله عز وجل، أنعم على العالم بمحمد، سيد المرسلين، بقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وجعل إليه الشفاعة يوم الدين في المذنبين الموحدين، والحمد لله رب العالمين.

ومنذ أن اغتربت عن المغرب الأقصى، شاهدت من الأئمة الكرام، مالا يعد ولا يحصى، وأولاني الله، عز وجل، على أيديهم من أنواع النعم والإحسان، ما لا يقدر على إحصائها لسان إنسان، جزاهم الله عني أفضل الجزاء، إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء.

ولما وصلت إلى الموصل، سنة سبع وخمسين [وخمسمائة] (ج) ونزلت في جناب الشيخ الامام الزاهد الماجد، معين المسلمين (د) ومحيي سنن سيد المرسلين، وخاتم النبيئين بتأليفه وسيلة المتعبدين، أبي حفص عمر بن محمد، متوخيا بتأليفه رضي الله تعالى وشفاعة نبيه المصطفى محمد، ﷺ.

(أ) في الأصل: ويكثر وهو تحريف.

(ب) ما بين القوسين المربعين زيادة في (ب).

(ج) سقطت كلمة خمسمائة في الأصل وكذا في (م).

(د) كذا في الأصل وفي (م) في (ب) المومنين.

[كامــل]

جمع الوسيلـة مشبـه الفـاروقـي — وسميــه فسـمى عـلى العيوقي
باها بها فلك البروج فأصبحت — كالشمــس لا تخفى بكل طريق
حوت النبـوة والشـريعـة كلها — وأصــول علـم الفقه بالتحقيق
اللـه أيـده عـلى تآليـفـهـــا — وحبـــاه بالارشــاد والتوفيــق
ختمــت تواليــف العلوم كما بها — ختـم النبـوة أحمد (أ) الصديقي

فشهدت من كرمه وإكرامه وتواضعه، وإنعامه وبره بجميع المسلمين، وإطعـامه للقاصدين منهم والقاطنين، وتقشفه في لباسه، على زي الصحابة والتابعين، والاقتداء بالأئمة الصالحين العاملين، كأنه ملك في زي مسكين، فهو في العصر معدوم القرين، جازاه الله عني وعن جميع المؤمنين أفضل لجزاء المحسنين: ولم يزل أبقاه الله، ومن المكاره وقاه يحثني كلما كنت ألقاه أن أجمع ما رأيته في الأسفار من عجائب البلاد والبحار، وما صح عندي من نقلة الأخبار الثقات الأخيار، فأجبته إلى ذلك، لعزوب الفطن وضيق العطن، وبعد الأهل والوطن، وتشتت الأحوال، وركوب الأهوال، وطول الاغتراب، والبعد عن الأحباب ومساورة العذاب (ب) وأنا أسأل الكريم المجيب أن يمن علي بالفرج القريب، ويرحم الله عبدا قال آمين. ورأيت أن اسمي هذا المجموع «تحفة الألبـاب ونخبـة الاعجاب» (ج)، وأرتبه على مقدمة وأربعة أبواب، المقدمة للبيان والتمهيد، والأبواب لتتمة المقصود :

الباب الأول : في صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها.

الباب الثانـي : في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان.

الباب الثالث : في صفة البحار وعجائب حيواناتها، وما يخرج منها من العنبر والقار، وما في جزائرها من أنواع النفط والنار.

(أ) كذا في (ب)، و(م) في الأصل ثاني.

(ب) كذا في (ب) و(م) و(و) في الأصل بتحريف الأحباب.

(ج) كذا في الأصل وقد سقطت كلمة ونخبة الإعجاب في بقية النسخ.

الباب الرابع : في صفات الحفائر والقبور، وما تضمنت (أ) من عظام العظام إلى يوم النسور، ليكون ذلك سببا للاعتبار، وداعيا إلى الفرار من دار البوار إلى دار القرار. جعلنا الله وإياكم من الفائزين، وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

(أ) كذا في الأصل وفي (ب) في (م) وما ضمنت، وفي (و) وما ضمته.

المقدمة

اعلموا رحمكم الله أن الله تعالى فرق بين العالمين في العقول ومنحهم منه من شاء من كثير وقليل، وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق وسعة المال، كذلك فضل بعضهم على بعض في العقل. فعقول الملائكة والأنبياء أكثر من عقول جميع العلماء، وعقول العلماء أكثر من عقول جميع العوام في الدنيا، وعقول جميع العوام أكثر من عقول النساء، وعقول النساء أكثر من عقول الصبيان. وبقدر هذا التفاوت يكون الانكار لأكثر الحقائق من أكثر الناس، لنقصان العقول (أ) لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعرف أن كل مقدور بالإضافة إلى قدرة الله قليل، فالعاقل إذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله ولا هجنه، والجاهل إذا سمع ما لم يشاهد، قطع بتكذيب وتزييف ناقله، وذلك لقلة بضاعة عقله، وضيق باع فضله. وقد وصف الله تعالى الجهال بعدم العقول، بقوله تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾. وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات، كما قال تعالى: ﴿وكأي من آية في السموات والأرض يمرون عليها هم عنها معرضون﴾ وقد ندب إلى النظر في عجائب الدنيا بقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾. وقد قيل [شعر].

[كامل]

وفي الأرض آيات فلا تك منكر — فعجائب الأشياء (ب) من آياته

[متقارب]

وفي كل شيء له شاهد — دليل على أنه واحد

(أ) كذا في الأصل وفي (م) وفي (د) (ب) العقل.

(ب) كذا في الأصل وفي (د) في (ب) و(م): الأنبياء.

[وقبل هذا البيت] :

أيا عجبا كيف يعصى الاله ... وكيف يجحد الجاحد (أ)

ومن شهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد، وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد، ويكسره الرصاص، ويثقب الياقوت والفولاذ، ولا يقدر على ثقب الرصاص، يعلم أن الذي أودعه هذا السر، قادر على كل شيء. وكذلك خرزة الباه وخرزة الفتح (ب) قد [أودع الله عز وجل فيهما خواصا تدل على حكمة الله تعالى، فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته، فإن الله عز وجل قال : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتيهم تأويله﴾ فهذا ما أردنا تقديمه خشية أن يسارع الانسان إلى تكذيب ما لم يشاهد، فيلحقه الذم لعدم الفهم، والله الموفق للصواب.

(أ) ورد ما بين القوسين المربعين في (ب) و(م) وسقط في الأصل وفي (م).

(ب) نقل صاحب المستطرف (طبع القاهرة 1330 هـ) هذه الفقرة من أولها إلى آخرها.

الباب الأول

في صفة الدنيا وسكانها إنسها وجانها

(أ) إعلم، وفقك الله أن الدنيا عبارة كما في فلك القمر من الهواء والبحار والأرض، وما عليها وما تحتها وما يحيط بها، والمعمور من الأرض فيما يقال (ب) مسيره مائة عام[54] من ناحية الشمال، مع ما يقاربه من المشرق والمغرب، وما سواه من الأرض ليس فيه أدمي لقرب الشمس وميلها على ما سوى الشمال وشدة سلطانها على ما سوى الشمال (ج) فإن الشمال بارد يابس، ومغربه بارد رطب، ومشرقه حار يابس، فقابلت حرارة المشرق ببرودة الشمال وبرودة المغرب ورطوبته، فكان أعدل مواضع الأرض للحيوانات والنباتات، فأسكن الله عز وجل فيه بني آدم، رحمة منه وفضلا، ثم جعل ياجوج وماجوج، وهما من أولاد آدم من ولد يافث ابن نوح، عليه السلام، وجعل مواضعهم ومساكنهم في آخر بلاد الشمال أرضا متصلة ببحر الظلمات طولها ثمانون سنة. وبين ولد سام وبينهم

(أ) هنا تبدأ نسخة (ش).

(ب) كذا في (م) و(و) في (ب) بتحريف، والمعمورة فيها وفي (ش) : والأرض ثلاثة أثلاث ما منها عامر إلا الثلث المتوسط الذي يدور عليه الفلك وهو على ما قيل الخ.

(ج) سقطت في (و) كلمة فإن الشمال.

(54) يروي ابن خرداذبة نقلا عن ابن مكحول أن «مسيرة بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة عام، مئتان من ذلك في البحر، ومئتان لا يسكنها أحد، وثمانون فيها ياجوج وماجوج، وعشرون فيها سائر الخلق»، وعن أبي مكحول أيضا أنه قال: «المسكون من الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها لياجوج وماجوج، وعشرة للسودان وعشرة لبقية الأمم»، كتاب المسالك والممالك، طبعة دو خوية، ليدن 1889، (ص 65)، قارن خريدة العجائب لابن الوردي (طبعة القاهرة، 1300هـ، ص 7)، ويذكر ياقوت قطر الأرض، نقلا عن البيروني فيقول إن طوله بالفراسخ اثنان ومائة وثلاثة وستون فرسخا وثلث فرسخ ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ (معجم البلدان (طبعة بيروت في خمسة أجزاء ـ وهي المرموز لها بعد الآن بحرف (ب) ـ 1/18). وعند الادريسي استدارة الأرض في موضع خط الاستواء، ثلاثمائة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا... فتكون من الفراسخ إحدى عشر ألف فرسخ. هذا بحساب أهل الهند، وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض (ب) ستة وثلاثين ألف ميل، وتكون من الفراسخ اثنى عشر ألف فرسخ .•وبين خط الاستواء وكل من القطبين تسعون درجة، واستدارتها عرضا مثل ذلك. نزهة المشتاق (طبعة نابلي، 1970 ـ 1/8). وعند ابن سعيد المغربي أن دور الأرض ثلاثمائة وستون درجة وكل درجة ونصف بمائة ميل. والمعمور منها طوله من الجزائر الخالدات إلى جزائر السيلي بالمشرق، مائة وثمانون درجة وعرض المعمور من أقصاه في الجنوب إلى أقصاه في الشمال ثمانون درجة. كتاب الجغرافيا (تحقيقنا ـ طبعة ديوان المطبوعات الجامعية 1982، ص 79) قارن الاعلاق النفيسة لابن رستة (طبعة ليدن 1891، ص 8) وتقويم البلدان لأبي الفدا تحقيق رينو باريس 1840، ص 3 ـ 6).

سد ذي القرنين الذي ذكره الله تعالى في القرآن (أ) بين الصدفين، بناه من الحديد والنحاس.

ويأجوج ومأجوج[55] أمم لا يعلمهم إلا الله تعالى، كثيرة كأمثال البهائم لهم قوة وبأس، يرمون بالنشاب، ولهم عدوان كعدوان السباع الضارية، ولا دين لهم، فيما يقال، والله أعلم.

وقد بقي من المائة سنة المعمورة، عشرون سنة، منها أربع عشرة سنة لأنواع السودان، وبلادهم مما يلي المغرب الأعلى المتصل بطنجة (ب) ممتدة على بحر الظلمات[56] وقد أسلم من ملوكهم فيما يقال [ملوك] خمسة قبائل، أقربهم

(أ) الكهف، الآية 93 وما يليها، والسورة 21 الآية 96.

(ب) في (ب) صنجة.

---

(55) يتحدث جميع الجغرافيين العرب تقريبا عن شعبي ياجوج وماجوج، الذين يضعون أراضيهم في شمال شرق آسيا، وخصوصا في سياق السد الذي يعزون بناءه إلى الاسكندر الأكبر، والنهر الذي يحمل اسميهما ومدينة ياجوج وماجوج التي يضعها ابن سعيد عند مصب النهر المذكور في المحيط (الهادي) حيث الطول مائة وإحدى وسبعون درجة وخمس وعشرون دقائق، والعرض ثلاث وأربعون درجة؛ وأربعون دقيقة، وهو ينقل عن بطليموس، وياجوج وماجوج مذكورون في القرآن أيضا (السورة 18، الآية 94 - انظر تفسير البيضاوي لهذه الآية). والشعبان مذكوران أيضا في التوراة بصيغة مجملها أنهما سيندفعان يوم القيامة من الجنوب إلى الشمال لنشر الدمار والخراب في العالم. على أن الرواية الاسلامية أدق في تحديد مواقعهما الجغرافية وأكثر تفاصيل. ونحن نجد تفاصيل وافية لهذه الرواية خصوصا في تفسير الطبري (7/62 وما يليها)، سيخرج ياجوج وماجوج عند نزول عيسى عليه السلام على الأرض، وسيكون عددهم من الضخامة بحيث يشربون مياه نهري دجلة والفرات وبحر طبرستان حتى تجف كلها. وبعد ما يقتلون جميع سكان الأرض يرمون بسهامهم في فورة من العنجرفة والكبرياء، في اتجاه السماء، وعند ذلك يرسل الله عليهم وابلا من الدود الذي ينفذ من مناخرهم وأذنهم، فيموتون عن آخرهم الخ، وتكتسي الأرض بجثثهم وتتعفن الأرض من جراء ذلك، ثم يبعث الله طيرا تقذف بهم إلى البحر، وتتطهر الأرض منهم، انظر التفاصيل في مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس - 1/267، 337) تاريخ اليعقوبي (1/85) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (الطبعة الثانية، ص 191) نزهة المشتاق للادريسي (8/934 وما يليها) قصص الانبياء للثعالبي (طبعة القاهرة 1290 - ص 320 وما يليها) عجائب المخلوقات للقزويني (طبعة وستنفلد جوتنجن 1849 - 2/416) خريدة العجائب لابن الوردي (ص 179) كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص 162 - 269) الاعلاق النفيسة لابن رستة (طبعة ليدن 1891، ص 148 وما يليها) وانظر كذلك : Reinaud, Introduction à la Géographie à Abu'lfeda, (CCCXI — CCCXIV) كتاب البلدان للهمذاني (طبعة ليدن، 1302هـ ص 3، 5، 104، 193، 198، 301). ابن فضلان (طبعة C. Frahn بيترسبورج، 1823، ص 208).

(56) يطلق الجغرافيون العرب اسم بحر الظلمات على المحيط الأطلسي بينما يطلقون اسم بحر المحيط على مختلف المحيطات التي تحيط بالأرض من الشرق والشمال.

غانة، ينبت في رمالهم التبر الغاية وهو كثير عندهم يحمل التجار إليهم حجارة الملح على الجمال من الملح المعدني، فيخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة، آخر بلاد المغرب الأعلى، فيمشون في رمال كالبحار، [ويكون معهم الادلاء] (أ) يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار، ويحملون معهم الزاد لستة شهور. فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب، وربما باعوه وزنا بوزنين، أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم.

وأهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صورا سبط (ب) الشعور،

(أ) سقطت الفقرة الموضوعة بين قوسين مربعين في الأصل.
(ب) كذا في الأصل وفي (ب) و(و)، في بقية النسخ: أسبط.

(57) فكرة كون الذهب نبات ينبت في أرض السودان فكرة شائعة بين عدد من الجغرافيين العرب. ومن بين المتقدمين على أبي حامد في هذه النظرية، أبو بكر الهمداني (أوائل القرن الرابع الهجري) الذي يقول في هذا السياق: «وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف عند بزوغ الشمس...»، وكذلك يشارك بعض المؤلفين العرب في قوله بأن الذهب يوجد في غانة نفسها. ومن أوائل هؤلاء المؤرخ اليعقوبي. ولكن أغلبية الجغرافيين العرب يذكرون أن الذهب موجود في أرض مجاورة لمملكة غانة، يسميها ابن سعيد المغربي «جزيرة التبر» ويضعها في شرق مدينة سامقدي، ويسميها الادريسي «أرض ونقارة»، وهي بلاد التبر المذكورة الموصوفة به كثرة وطيبا». وغانة عند ياقوت والقزويني الذي ينقل عنه، إنما تمثل مجرد معبر إلى بلاد التبر، وهي عند كلا المؤلفين «مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب، متصلة ببلاد التبر، يجتمع إليها التجار، ومنها يدخلون إلى بلاد التبر»، وعند البكري أن الذهب موجود في غانة نفسها، ولكن أفضل أنواع التبر يوجد في غيار والتي تبعد عن مدينة غانة مسيرة ثمانية عشر يوما.

وغانة القديمة كانت تشمل في أوج عظمتها جنوب موريطانيا وشرقي السينغال، وجزءا من مالي، وغينيا الحالية (وهي تبعا لذلك غير غانة الحالية التي لا يربطها بالامبراطورية القديمة سوى الاسم). وكانت عاصمة غانة القديمة مدينة كومبي التي كشفت عنها الحفريات مؤخرا، والمرجح عند الباحثين أن امبراطورية غانة قد قامت في غضون الفترة التي تمتد بين القرن الثالث والقرن الثالث عشر الميلادي، وكانت في مبدإ الأمر تمتد في المنطقة الواقعة شمالي منحنى نهر النيجر الأعلى ومنابع نهر السينغال. ولما تقلصت رقعتها عادت إلى هذه الحدود تقريبا. وقد وصف أبو عبيد البكري غانة في أعظم وأزهى عصورها الاسلامية (القرن الخامس الهجري) فقال إنها مدينتان سهليتان يسكن أحديهما المسلمون. وهذه مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجتمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم. وفي مدينة الملك التي تقع على ستة أميال منها مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين، على مقربة من مجلس حكم الملك، انظر كتاب المغرب للبكري تحقيق دوسلان، طبع باريس، 1965، ص 174 وما يليها (المغرب وأرض الأندلس للادريسي تحقيق دو خوية، طبع ليدن، 1864، ص 6 ـ 7) تاريخ اليعقوبي (1/194) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص 57) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (تحقيقنا، ص 92) (معجم البلدان، بيروت 184/4) كتاب البلدان للهمذاني (ص 87) افريقيا تحت أضواء جديدة لدافيد صون ترجمة م. أحمد بيروت، 1963، (ص 183) مقالة موريس دولفوس في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة 1934 ـ 518/5) ولنفس الكتاب Le Ghana et le Mali et l'emplacement de leurs capitale, dans Bull. de Comité d'études Prest. et scientif, de l'Afrique Occident. franc, Juil. sept. 1924. R et M. Cornevin, Histoire de l'Afrique (4ème éd., tom I PP. 161, 163, 165, 172, 184).

فيهم عقول وفهم، ويحجون إلى مكة، وأما قناوة وقوقو (أ) وملي (ب) وتكرور (ج) وغدامس، فقوم لهم بأس، وليس بأراضيهم بركة ولا خير في أرضهم، ولا دين لهم ولا عقل، وأشرهم قوقو، قصار الأعناق فطس الأنوف، حمر العيون، كأن شعورهم حب الفلفل، وروائحهم كريهة كالقرون المحرقة، يرمون بنبل مسموم بدماء حيات صفر لا تلبث ساعة واحدة حتى يسقط لحم من أصابه ذلك السهم عن عظمه، ولو كان فيلا أو غيره من الحيوانات والأفاعي وجميع أصناف الحيات عندهم كالسمك يأكلونها، لا يبالون بسموم الأفاعي ولا الثعابين إلا بالحية الصفراء التي في بلدهم، فإنهم يتقونها ويأخذون دمها لسهامهم. وقسيهم صغار قصار، رأيتهم في بلاد المغرب، ورأيت قسيهم، وأوتارهم من لحاء الشجر الذي في بلادهم، ونبلهم قصار، كل سهم شبر، ونصالهم شوك شجر كالحديد في القوة قد شدوه بلحاء شجر، يصيبون الحدق (د) وهم شر نوع في السودان ينتفع بهم في الخدمة والعمل إلا قوقو، فلا خير فيهم إلا في الحرب، ولهم الواح صغار مثقبة بثقب غير نافذة يصفرون في تلك الثقب، فيصوتون بأصوات عجيبة فيخرج إلى ذلك الصوت جميع أنواع الحيات والأفاعي والثعابين فيأخذونها ويأكلونها، وفيهم من يشدها على وسطه، كما يشد الحزام، ومنهم من يتعمم بالثعبان الطويل ويدخل السوق على غفلة فيكشف ثوبه ويرمي على الناس أنواع الثعابين والحيات، فيعطونه شيئا حتى يخرج، وإن لم يعطوه، ألقى في دكاكينهم من تلك الحيات.

ويجيء من بلاد السودان أنواع من جلود الماعز المدبوغة دباغة عجيبة، الجلد الواحد يكون غليظا كبيرا لينا محببا في لون البنفسج إلى السودان، يكون الجلد الواحد عشرين منا يتخذ منه الخفاف للملوك، ولا يبل بالماء ولا يفي مع

(أ) كذا في جميع النسخ ما عدا (م) وفيها : قوقه.

(ب) في الأصل شلبي وفي (ب) وبيلي. وقد سقطت الكلمة في (م).

(جـ) كذا في الأصل. في (و) بكروز، في (ب) بكرور، في (م) بكرور.

(د) في الأصل وفي (م) : الحمق.

لينه ونعومته وطيب رائحته، يباع الجلد الواحد بعشرة دنانير، تبلى خيوط الخف ولا يبلى هو ولا يتقطع، فيغسلونه في الحمام بالماء الحار، فيعود كأنه جديد يتوارثه الحفيد عن أبيه عن جده، وهذا من عجائب الدنيا.

وعندهم حيوان يقال له اللمط، مثل الثور الكبير، له قرنان كالرماح، تطول بطول بدنه، ممدودة على ظهره - إذا طعن بها الحيوان أهلكه في الحال، عريض العنق، يتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللمطية(58) مضافة إلى ذلك الحيوان يكون ثلاثة أذرع، وهي خفيفة لينة لا ينفذها النشاب، ولا يؤثر فيها السيف، تكون بيضاء كالقراطيس، وهي من أحسن الترس، مبسوطة كالرغيف تستر الفارس وفرسه.

ومن أنواع السودان زيلع(59) وهم أعف أهل السودان، مسلمون

---

(58) وصف ابن سعيد مدينة لمطة بأنها تقع في غربي كزولة التي تفصل بينها وبين المحيط الأطلسي، حيث الطول سبع درجات، وبينها وبين خط الاقليم الثالث نصف درجة، أولها نهر كبير مشهور ينزل من جبل لمطة الذي بشرقيها على مرحلتين، وعند ياقوت الذي لا يذكر مدينة لمطة أن لمطة اسم للأرض والقبيلة معا. ويذكر الادريسي شعب لمطة فيقول: «إن صنهاجة ولمطة أخوان لأب واحد، وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير، وأمهم تاز كاي العرجاء». وبعبارة أخرى فإن القبيلتين من العرب، وتنحدران في رأي الجغرافي الصقلي من نسل أمير عربي يسمى المسور، ولكن الزبيد صريح في التقرير بأن لمطة قبيل من البربر، وهي عدة قبائل أخرجت من فلسطين، ونزلت بالمغرب، فسميت بهم الأماكن التي نزلوا بها. ولمط هذا تزوج العرجاء، أم صنهاج فأولد منها لمطا الأصغر، فهما إخوان لام. ويتحدث الادريسي عن مدينة لمط فيقول إنها مدينة كبيرة عامرة على نهر يأتي إليها من جهة المشرق، وعليه قبائل لمتونة ولمطة. وأما الدرق اللمطية التي يتحدث عنها المؤلف، فقد كانت تصنع في مدينة لمطة من جلود حيوان وحشي يحمل نفس الاسم، حيث تنقع في اللبن الحليب مدة سنة كاملة، فيما يقول صاحب «تاج العروس». وعند ابن سعيد أن أكثر ما يكون حيوان اللمط في هذه المنطقة، وهو حيوان صابر على العطش، وهو على شبه الغزال، ولكنه أغلظ منها. ويبدو أن قيمة جلد هذا الحيوان معتبرة ولا مثيل لها في المتانة والصلابة، حيث يقول الادريسي إنه لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها ظهرا، ولا أحسن منها صنعاً، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها، الادريسي المصدر المذكور (ص 58 - 60) ابن سعيد المصدر المذكور (ص 113) تاج العروس للزبيدي (5/218) ياقوت المصدر المذكور (5/23 وكذلك Note de quatre mères, notices et extraits, T. XII, 1831, Fagnan, Extraits inédits, P.20, Léon l'Africain, Descr. de l'Afrique (Ed. Schefer, III/437)

(59) ثغر على الشاطىء الافريقي لخليج عدن، وهي الثغر الوحيد للصومال البريطاني سابقا، وهي على لسان ضيق من الأرض ينفصل عن اليابسة إذا جاء المد، وقد كانت زيلع ردحا من الزمن مركزا مهما لتجارة العبيد الذين يؤتى بهم الى الجزيرة العربية ذكرها ياقوت وقال أنها في طرف أرض الحبشة (أي السودان) وأهلها مسلمون. أما الآن فقد تدهورت زيلع وأصبحت مجرد قرية تمتد مساحتها على نحو اربعين أو خمسين فدانا فيها مئات من الأكواخ المعمولة من القش، ولا يكاد يستغل الجزء المبني بالحجر سوى نحو خمس هذه المساحة. وقد حلت جيبوتي محل زيلع لتوجيه صادرات الحبشة، ولا سيما فيما يتعلق بالبن، وقد أصبح ما يصدر عن طريق زيلع، في اتجاه اليمن لا يتجاوز الحيوانات المنزلية والجلود، وكان ابن بطوطة قد زار زيلع في طريقه إلى الهند والصين، وكانت إذ ذاك قصبة عدن وقد استولى الأتراك على

يصومون ويصلون ويحجون إلى مكة كل سنة مشاة، و[من] بلاد السودان إلى الزنج والبجة (أ) مسيرة أربع عشرة سنة، يأكلون الكلاب ويفضلونها على الغنم ويأكلون الفار.

وبقي من المائة سنة (ب) [من] العمران، ست سنين بين الحبشة والهند والصين والفرس والترك والخزر والصقالبة والروم والنامش (ج) واللكزان (د) والطالشان والعرب وأهل اليمن والعراق والشام ومصر والأندلس إلى رومية العظمى وسائر قبائل (هـ) الكفار. وإنما المسلمون منهم جزء من ألف جزء.

وعند صنعاء اليمن أمة من العرب قد مسخوا، كل إنسان منهم نصف إنسان: له نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة يقال لهم وبار، وهم من ولد إرم بن سام إخوة عاد وثمود، وليس لهم عقول، يعيشون في الآجام في بلاد الشجر (و)، على شاطىء بحر الهند، والعرب تسميهم النسناس ويصطادونهم، ويتكلمون بالعربية ويتناسلون ويتسمون بأسماء العرب ويقولون الأشعار.

ورأيت في تاريخ صنعاء أن تاجرا سافر في بلادهم فرآهم يثبون على رجل

(أ) سقطت كلمة البجة في (و) ووردت في الأصل البجاة.

(ب) في الأصل بتحريف: السنة.

(ج) كذا في الأصل، وفي (م) و(و) في بقية النسخ: النامس بالسين المهملة.

(د) في (م) اللكذاب، وفي (و) الكيزان.

(هـ) كذا في الأصل وفي (و) و(م) و(ح) في (ب) وسائر أهل...

(و) كذا في الأصل وفي (و) في (ب) السحر.

زيلع في بداية القرن السادس عشر قبل أن ينتزعها منهم البرتغاليون في سنة 1616 وأحرقوها. وعقب ذلك بقليل استعادت المدينة كثيرا من أهميتها، وفي سنة 1870 فتحها الجيش المصري وظلت تابعة لمصر حتى سنة 1884، وقد استعادت كثيرا من أهميتها التجارية وأصبحت مرفأ مزدهرا. وبعد ذلك سقطت تحت الاستعمار البريطاني وظلت تابعة لبريطانيا حتى قيام الجمهورية الصومالية في أول يوليو 1960 نتيجة لاندماج المحمية البريطانية (التي استقلت في 20 يونيو 1960) والأراضي الواقعة تحت الوصاية الايطالية، انظر معجم البلدان (3/164 ـ 165) مسالك الممالك للاصطخري (طبعة ليدن 1927 ـ ص 36) صورة الأرض صفة جزيرة العرب للهمداني (طبعة مولر 1884 ـ 1891 ـ ص 57) وكذلك Blake Brockman, British somaliland, London, 1912, pp, 1-30, 264, 270.

واحدة ويصعدون الشجر، ويفرون خوفا من الكلاب أن تأخذهم (أ) وسمع (ب) واحدا منهم يقول شعرا :

فررت من خوف السراة شدا إذ لم أجد من الفرار بدا
قد كنت قدما في زماني جلدا فها أنا اليوم ضعيف جدا

وقد ذكرهم الأعشى في شعره حيث يقول :

ألم تروا إرما وعادا أفناهم الليل والنهار
وأهلكت من بعدهم بما جنا فيهم قدار
وحل بالحي من جديس (ج) يوم من الشر مستطار
وجاءهم (د) بعدها وطيس (هـ) قد أوحشت بهم الديار
ومسخت بعدهم وبار فلا صحار ولا وبار[60]

وفي السودان أمة لا رؤوس لهم ذكرهم الشعبي في كتاب «سير الملوك».

وذكر أن في فيافي بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء، ولا يكون

(أ) في الأصل وفي (و).
(ب) في الأصل ويسمع.
(جـ) في الأصل وفي (و) و(م) من حديس.
(د) كذا في الأصل، في (ب) و(و) : جاشم.
(هـ) كذا في الأصل، وفي (و) و(ب) : طسم.

---

(60) وبار في لسان العرب (مثل قطام) أرض كانت لعاد غلبت عليها الجن، وفي تاج العروس عن الليث أن وبار أرض كانت من محال عاد بين اليمن ورمال يبرين سميت يوباربن بن ارم بن سام بن نوح وذكرها الهمذاني وقال انها قرية باليمن وهي مسكن للجن، وهي أخصب بلاد الله وانزهها، لا يقدر أحد على الدنو منها من الإنس، وقال أبو المنذر : وبار ما بين نجران وحضرموت، وزعمت العرب أن الله حين اهلك عادا وثمودا أن الجن سكنت في منازل وبار وحمتها من كل مَن ارادها. وهذا التعريف نقله القزويني عن الهمذاني في آثار البلاد. مضيفا أن من أراد الدخول إلى وبار من الإنس خبله الجن او قتلوه، وقد خصص ياقوت نحو ثلاث صفحات من معجم البلدان للتعريف بوبار أورد فيها كثيرا من قصص الجن واساطير هذه القرية. ووبار هذه هي التي غناها الفرزدق في البيتين التاليين :

ولقد ضَلَلْتَ أباك نطلب دارماً كضلال ملتمس طريق وبار
لا تهتدي به أبدا ولو بعثت به بسبيل واردة ولا آثار

انظر معظم البلدان (5/356 ـ 359) لسان العرب (3/868 ـ 869) تاج العروس (3/594 ـ 595) آثار البلاد واخبار العباد للقزويني (ص 63 ـ 64) كتاب البلدان للهمذاني (ص 37) عجائب المخلوقات للقزويني (طبعة وستنفلد ـ 2/41 ـ 42) مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس 2/56).

بينهم ذكر ولا يعيش في أرضهم، وأن أولئك النساء يدخلن في ماء عندهن فيحملن من ذلك الماء، وتلد كل امرأة بنتا، ولا تلد ذكرا البتة[61] وأن تبع ذي المنار وصل إليهن لما أراد أن يصل إلى الظلمات التي دخلها ذو القرنين[62] والله أعلم، وأن ولده، افريقش (أ) بن تبع ذي المنار هو الذي بنى مدينة افريقية وسماها باسم نفسه وأن والده تبع، وصل إلى وادي السبت[63]، وهو واد

(أ) كذا في الأصل وفي (و) في (ب) افريقسون وفي (م) افريقيس.

(61) يتحدث ابن سعيد في الجزء الثالث من المعمور خلف الأرض من كتاب الجغرافيا (ص 201 - 202) عن جزيرتين تقطن إحداهما النساء ولا أثر فيها للرجال، ويسكن الأخرى الرجال ولا يدخلها النساء، وكذلك يتحدث القزويني عن «مدينة النساء» التي تقع هي أيضا في جزيرة في بحر المغرب، ولكن النساء هنا لهن مماليك تختلف كل مملوك بالليل إلى سيدته... فإذا وضعت إحداهن ذكرا قتلته في الحال، آثار العباد (ص 607) وكذلك عجائب المخلوقات (607/2) لنفس المؤلف، وخريدة العجائب لابن الوردي (ص 76).

(62) يسود اختلاف كبير في الرواية الاسلامية حول شخصية ذي القرنين ويطلق هذا الاسم عادة على ثلاثة أشخاص، وهم : المنذر بن ماء السماء الذي قيل إنه لبس ذؤابتين طويلتين من الشعر على جبينه في صورة قرنين ومن ثم سمي ذو القرنين. وفي هذه الشخصية يقول امرؤ القيس :

أصد نشاص ذي القرنين حتى　　　تولى عارض الملك الهمام

والشخصية الثانية هو تبع، أحد ملوك جنوب الجزيرة العربية. نص أبي حامد واضح بأن المقصود هنا هو تبع الذي يعزو إليه بنوه افريقش. والشخص الثالث المعروف بذي القرنين هو الاسكندر الأكبر وهو المقصود في الآية الكريمة : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا﴾ (سورة الكهف، الآية 83) ويجمل تفسير المؤلفين العرب لاطلاق اسم ذي القرنين الذي نسب إليه القرآن بناء السد، هو أنه كان للرجل زائدتان من اللحم في جبينه، كما كانت له ذؤبتان من الشعر. وفي رواية أخرى لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو لا يزال حيا. على أن صاحب لسان العرب ينفرد، فيما أعرف، بتفسير آخر، وهو أنه سمي بذلك لأنه قبض على قرون الشمس. وعنده كما عند كثير من غيره أن المقصود في الآية القرآنية هو الاسكندر الرومي (المقدوني) ابن فليبس، على أن ياقوت الذي يذكر آراء آخرين يرى أن الاسكندر الرومي المقصود ليس هو ابن فليبس (أو فيلفوس كما يسميه) بل هو شخص آخر اسمه «أشك بن سلوكوس»، وهذا عنده هو الذي بنى الاسكندرية وجال في الأرض حتى بلغ بحر الظلمات، وهو صاحب موسى والخضر وباني السد الذي يفصل بين ياجوج وماجوج وبقية العالم، انظر معجم البلدان (184/1) لسان العرب (73/3 وما يليها) كتاب البلدان للهمذاني (ص 84 - 86 و298 - 300) قصص الأنبياء للثعلبي (القاهرة 1310 - ص 226) مروج الذهب للمسعودي (248/2 - 249) وكذلك Winchler, Arabisch — Semitisch. Orientalish Mitteilungen der Vonder (ليبسك 1904 - ص 138 وما بعدها)، Kremer (A.V.), Uber die Sudarabische Sage (ليبسك 1866، ص 70 وما بعدها).

(63) هذه أول رواية أعرفها تعزو غزو شمال إفريقية إلى تبع. والقول بأنه بنى مدينة افريقية وسماها باسمه لا يستقيم. والمتعارف بين المؤرخين أن افريقش (أو افريقس بالسين المهملة) ابن ابره ابن ذي القرنين (أي ابن تبع هذا) هو الذي غزا المغرب ودوخ البلاد وبنى مدينة افريقية (؟) التي سميت باسمه. وهذا افريقش هو الذي زعموا أنه توقف بغزوه عند واد يسمى وادي الرمل (وهو الذي ينفرد المؤلف بتسميته بوادي السبت) ثم رجع أعقابه بعد ما خلف من قبائل حمير صنهاجة وقدمهم على البربر الخ. وهذه الأسطورة تردها جميع كتب التاريخ بدون محاولة للتحقيق والنقد (فيما عدا

بالمغرب يجري فيه الرمل كما يجري السيل، لا يمكن لحيوان أن يدخل فيه إلا هلك. فلما رآه استعجل الرجوع.

وذو القرنين لما وصل إليه أقام إلى يوم السبت، فسكن جريانه، فعبر إلى أن وصل إلى [بحر] الظلمات، فيما يقال، والله أعلم.

وأولئك الأمة الذين لا رؤوس لهم، أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم. وهم أمم كثيرة، وهم كالبهائم يتناسلون، ولا مضرة على أحد منهم، ولا عقول لهم والله أعلم.

والملك العظيم، والعدل الكثير، والنعمة الجزيلة، والسياسة الحسنة، والرخاء الدائم، والأمن الذي لا خوف معه، في بلاد الهند وبلاد الصين، وأهل الهند أعلم الناس بأنواع الحكم [مثل] الطب والنجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها.

وفي جبالهم ينبت [شجر] (أ) العود وشجر الكافور، وجميع أنواع الطيب، كالقرنفل وجوزبوا والسنبل والدارصيني والقرفة والسليخة وقاقلة وكبابة وبسباسة، وأنواع العقاقير والأدوية. وعندهم حيوان كالغزال، يجتمع المسك في سرته. وعندهم حيوان الزباد، وهو نوع من الطيب، وذلك الحيوان كالسنور، يحمل إلى بلاد المغرب، وذلك عرق يؤخذ من ذلك الحيوان، كالقطران الأسود ثخين (ب) يسيل من جسده، وتزيد رائحته بالمغرب، بحيث يكون أزكى من المسك. ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت، وأكثرها في جزيرة

(أ) سقطت هذه الكلمة في الأصل وفي (د).
(ب) سقطت هذه الكلمة في الأصل ووردت في بقية النسخ.

ابن خلدون الذي أعرب عن تشككه فيها، عالجنا بتفصيل في كتابنا، دولة بني حماد (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 9 ـ 35). ويمكن للقارىء أن يتتبع تفاصيلها في كتاب المغرب للبكري (ص 21 ـ 22) والمؤنس لابن أبي دينار (طبعة تونس، تحقيق محمد شمام، 1387 هـ، ص 19، 73، 74) معجم البلدان (1/ 228 ـ 231) العبر لابن خلدون (طبعة دوسلان (1/ 15، 106) الحسن بن محمد الوزان، Descript. de l'Afrique طبعة Schefer 1/ 1) والمراجع الأخرى الواردة في كتابي المذكور.

سرنديب وعلى جبلها نزل آدم، عليه السلام (أ).

وأما بلاد الصين، فهي كبيرة، وملوكها أهل عدل وإنصاف وهم أكثر من أهل الهند أضعافا مضاعفة، وفي أرضهم نعم كثيرة، ولهم أنواع من الصنائع لا يهتدي إليها غيرهم، كالفخار الصيني والديباج، وغير ذلك. وهم يعبدون الأصنام كأهل الهند، إلا أن أهل الهند لا يأكلون الحيوان، ولا ما يخرج من الحيوان، كالعسل واللبن، ويحرمون على المسلمين ذبح البقر، ويبيحون لهم ما سوى ذلك. وإذا مرض أحد منهم أعطى للقصاب مالا بقدر ما يرضيه، ويقولون له أعتق الحيوان من الذبح أياما معدودة على قدر ما يرضيه. وإذا مات بينهم غريب، وله أحمال من الأموال، لا يتعرضون لتركته ولا لشيء من ماله وأولاده ونسائه، ويحترمون التجار من المسلمين غاية الاحترام، ولا يؤخذ منهم عشور في بيع أو شراء، ولا مكس فياليت ملوك المسلمين اقتدوا بهذه السياسة الحسنة، فهم كانوا أحق بها، ولكن ذلك للحكمة الإلهية، وذلك أن النبي عليه

(أ) نقل ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 2325 ـ ورقة 6 ظهر) هذه الفقرة عن تحفة الألباب التي يعزوها إلى محمد بن عبد الرحيم القيسي الغرناطي (أي أبو حامد).

(69) سرنديب = سيلان = سريلانكا حاليا (مساحة 610 65 كلم^2، السكان 14.270.000)، جزيرة تقع في مقابل شواطىء ولاية تاميل نادو الهندية يفصلها عنها المحيط الهندي ولكنها تكاد تتصل بها بواسطة ما يسمى «جسر آدم» (Adam's Bridge) وهو عبارة عن سلسلة من الجزر الصغيرة، وموقع الجزيرة بين خطي عرض 5° 55. و9° 51. وخطي الطول 79° 71. و81° 54. شرقا. وقد نالت جزيرة سيلان استقلالها في نطاق الكومنويلث في سنة 1948، ثم أصبحت جمهورية باسم سريلانكا في سنة 1972. وفي سريلانكا نسبة مهمة من العرب ومن المغاربة المستوطنين. وقد كانت سرنديب معروفة لدى العرب منذ وقت مبكر، ولا سيما بفضل ما فيها من مصايد اللؤلؤ والتجارة في الأحجار الكريمة والافاويه. فكان التجار العرب يترددون عليها منذ العصر الجاهلي. واسم الجزيرة يتردد كثيرا في كتب الجغرافيين والمؤرخين العرب، ولا سيما تلك التي تعنى بالعجائب والغرائب. وأبرز معالمها قنة آدم (وهي راس جبل شامخ يبلغ ارتفاعه 7420 قدما) التي عرفت في العالم الاسلامي بأنها البقعة الأولى التي هبط فيها عقب طرده من الجنة، وقد ظل العرب يسيطرون على التجارة في الجزيرة وضواحيها حتى انتزعها منهم البرتغاليون في سنة 1505 وشكلوا مستعمرة فيها انتزعها منهم الهولنديون في سنة 1796، وذلك قبل أن تقع في يد البريطانيين في سنة 1802، انظر عجائب الهند نشر Vanderlith 1886، (الفهرس) كتاب البلدان للهمذاني (ص 10، 16) آثار البلاد للقزويني (ص 42، 43، 83) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 374) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 85، 86) رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس 65/4) مروج الذهب للمسعودي (1/60، 2/277) وكذلك:

–Sir James Tennent Ceylon, (1860 I / 629 وما بعدها)

– Reinaud, Relation des voyages (p. 127-128).

السلام قال : «الدنيا سجن المؤمن» والسجن موضع، الضيق والخوف، ولا يكون ذلك إلا مع عدم العدل وكثرة الظلم والجور وقلة المال والخصب حتى يتحقق في حق المؤمن السجن في الدنيا.

وقال عليه السلام : «الدنيا جنة الكافر» والجنة موضع الرخاء والنعمة والأمن والعدل والسياسة والطيب، وأنواع الطيبات، والحمد لله الذي جعل جور ولاة المسلمين من معجزات سيد المرسلين، محمد، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وأما خبر الجان[65] فإني قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء، أن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق الجان بقدر به، خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا، كما قال تبارك وتعالى : ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾[66]. وقال عز وجل في موضع آخر : ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾[67] ثم خلق من الجن زوجته وسماها جنية (أ) فتغشاها زوجها الجان فحملت فأقامت ما شاء الله فلما اثقلت وضعت إحدى وثلاثين بيضة، فانفلقت منها بيضة واحدة، فخرج منها حيوان على خلاف الجن في الخلق والشكل، فقالت لها الجنية (أ) : من أنت ؟ فقالت أنا القطربة[68] أم

(أ) كذا في الأصل وفي (و) في (م) جنة.

(65) الجن في نظر المتكلمين اجسام هوائية أو نارية عاقلة خفية تتشكل باشكال مختلفة يثابون ويعاقبون، وقد تردد اسم الجن في القرآن كثيرا، والاتجاه السائد بين المعاجم العربية في اشتقاق الكلمة أنها من كلمة الاجتنان، أي الاستتار، انظر حول مختلف أنواع الجن : حياة الحيوان للدميري (طبعة القاهرة ـ تحت المواد : جن، سعلاة، عفريت، غول الخ). عجائب المخلوقات للقزويني (1/370) مروج الذهب للمسعودي (1/50 ؛ 78 و3/289 ـ 291، 318، 319، 323، 328) تفسير الرازي المعنون مفاتح الغيب (طبعة القاهرة 1307 ـ 1/288 وما بعدها)، مصارع العشاق للسراج (طبعة القسطنطينية، 1301، ص 286 وما بعدها) آكام المرجان في أحكام الجان لبدر الدين السبلي (طبعة القاهرة، 1326) وكذلك المقدمة تعليق 1 وفصل 1 تعليقات 15، 24 الفهرس (1) Lane, Arabian Nights Goldziher, Arabische Philologie.

(66) الحجر، الآية 27.

(67) الرحمان، الآية 14.

(68) ذكر ابن سعيد في كتاب الجغرافيا (طبعتنا ص 103) جزيرة في المحيط الهندي جزيرة باسم القطربة لا يدري هل لها صلة اشتقاقية بهذا الاسم، انظر عن هذه الجزيرة التي تعرف عليها جبريال فران G. Ferrand مستعينا بمخطوطة كتاب الجغرافيا قبل نشرها، في كتابه المعنون Relations de voyages et textes géographiques arabes persans et turks relatifs à l'extrême orient, (Paris 1914 II/337)

القطارب. فقالت لها الجنية (أ) : يا قطربة (أ) فقالت قطربة : سميعا دعوت، فمن يعنى بأمرك ؟ (ب) قالت الجنية (أ) : يا قطربة، لماذا خلقت ؟ قالت قطربة : خلقت لأحضن هذا البيض وأفرقه في مضانّه. قالت الجنية (أ) : فدونك !

قال، فجلست قطربة على ذلك البيض شهرا واحدا ففقست منها بيضة واحدة، فخرج منها ستون ألف إبليس وستون ألف إبليسة، ذكورا وإناثا، فيما يقال، والله أعلم [و] إبليس اللعين واحد منهم (ج). وفقست بيضة أخرى، فخرج منها ستون ألفا من السعالى، وستون ألفا من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الغيلان، ومثلهم من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الدهانش (د) ومثلهم من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الغمامية ومثلهم من إناثهم. وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من العفاريت ومثلهم من إناثهم. وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الدخانية ومثلهم من إناثهم. وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من النارية ومثلهم من إناثهم. وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من النجاسية ومثلهم من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الذهبانية (هـ) ومثلهم من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الريحية ومثلهم من إناثهم. وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الزوابعة ومثلهم من إناثهم وهم الذين يدورون (و) بالريح والغبار في البراري، كما تدور الرحى ومثلهم من إناثهم.

(أ) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ : ما قطربه.

(ب) كذا في الأصل وفي (م). في (و) و(ج) و(ح) : فمريني بامرك.

(جـ) كذا في مختلف النسخ، وفي الأصل : من جملتهم.

(د) كذا في الأصل وفي (ب) و(ت) و(ج) في (و) : الدهداوش.

(هـ) كذا في الأصل وفي (م). في (و) : الدهانية في بقية النسخ : الذهابية مع إضافة على لون الذهب.

(و) في الأصل يدرون بالدال المهملة في بقية النسخ يدورون.

قال (أ) فقسمت قطربة كل جنس من هؤلاء الجن حيث أراد الله تعالى من القفار والجبال والرمال والغيران والغياض والبحار والجزائر والظلمات والهواء ومواضع الدماء (ب) ومواضع القبور، وقالت لهم : اكثروا واعمروا! فكل منهم يغشى زوجته، فتضع له (ج) إحدى وثلاثين بيضة في كل بيضة ستون ألف ذكر وستون ألف انثى، وهذا مالا يحصيه (د) إلا الله تعالى، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس﴾.

ولولا أن الله تعالى وكل بكل آدمي ملائكة يحفظونه من الجن لأهلكت الجن ولد آدم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾. فلله الحمد على فضله ونعمه. وكم في الأرض من أنواع المخلوقات لم نسمع بذكرها، قال تعالى : ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾.

واعلم أن الأرض والجبال والبحار التي قد أحاط الله بها جبل قاف، وما فيها من عجائب المخلوقات في فلك القمر الذي هو أصغر الأفلاك، كالنقطة من (د) الدائرة العظيمة التي لا تبين فيها. وهذه الأرض وما فيها من الهواء (و) والفلك محيط بها من كل جانب، بلاد عامة من تحتها ولا علاقة فوقها. قال تبارك وتعالى : ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ وفلك القمر في الفلك الثاني كالأرض في فلك الدنيا، وكل فلك في الذي فوقه كالأرض في فلك القمر، والسموات السبع في الكرسي. قال، عليه الصلاة والسلام : «كحلقة ألقيت (ز) في فلاة من الأرض». قال، عز وجل : ﴿وسع كرسيه السموات

(أ) كذا في الأصل، وقد سقطت الكلمة في بقية النسخ.

(ب) كذا في الأصل. وفي (و) وفي بقية النسخ : ومواضع النجاسات.

(جـ) كذا في بقية النسخ. في الأصل وفي (و) : فوضعت.

(د) كذا في بقية النسخ. في الأصل : وهذا لا يحصى ولا يعد ولا يعلمه إلا الله.

(هـ) كذا في الأصل، وفي (و). سقط حرف الجر في بقية النسخ.

(و) كذا في بقية النسخ في الأصل : وما فيها في الهوى في الهوى بتكرار.

(ز) سقطت كلمة القيت في الأصل.

والأرض﴾. والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة من الأرض، قال تعالى: ﴿وهو رب العرش العظيم﴾.

وقال جعفر بن محمد الصادق،[69] رضي الله (أ) عنه: «فيما يرويه في صفة العرش، إن العرش له ثلاثة ألف قائمة وستون ألف قائمة، دور كل قائمة ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة، بين كل قائمتين ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة. على كل قائمة ألفي ألف طبقة، كل طبقة مثل ما بين العرش إلى آخر العالم، وهذا ما لا يحصيه إلا الله عز وجل.

وخلق الله عز وجل حية عظيمة وقد أحاطت بالعرش، والتقى رأسها وذنبها، ولها من الأجنحة عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل، على كل جناح من أجنحتها من الملائكة المقربين مالا يعلم عددهم إلا الله، في يد كل ملك حربة من نور لا يعلم عظمها إلا الله، لو كشف الحجاب عن نور حربته ملك منهم لأحرق نورها من دونهم، فسبحان الله، ما أعظم شأنه! وأكبر سلطانه! والأمر أعظم، والسلطان أكبر مما سمعناه أو توهمناه، والله أعلم بكل شيء، وهو على كل شيء قدير، وقد قال تعالى: ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾.

قال رسول الله، ﷺ: «إن لله عز وجل في ناحية المغرب أرضا للشمس فيها مسيرة ثلاثين يوما». قيل: يا رسول الله، هل يسكنها أحد من ولد آدم؟

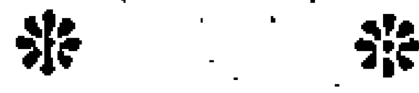
(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: عليهما السلام يرويه عن أبيه في صفة الخ.

(69) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن السبط الحسين، الهاشمي القرشي الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثنا عشر عند الإمامية. ولد بالمدينة في سنة 80 للهجرة وتوفي فيها في سنة 148، كان من أجل التابعين وله منزلة عظيمة في العلم، أخذ عنه كثير من الاعلام، وفي مقدمتهم الامامان، أبو حنيفة ومالك. له مجموعة رسائل ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون. انظر ترجمته في وفيات الاعيان (1/327 ـ 328) صفوة الصفوة لابي الفرج ابن الجوزي (جزآن طبعه حيدر أباد 1355هـ 2/94) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس للعباس بن علي الموسوي (طبعة مصر 1229 ـ 2/35) تاريخ اليعقوبي (طبعة النجف 3 أجزاء 1358 ـ 3/115) حلية الأولياء في طبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (طبعة مصر 1351 ـ 10 مجلدات ـ 3/192) تاريخ الطبري (طبعة دوخوية ـ 3/2509) الملل والنحل للشهر ستاني (طبعة كيورتن 1842، ص 16 ـ 124).

قال : «يسكنها خلق من خلق الله لا يعلمون أن الله خلق آدم قط». قيل فهل يدخلهم إبليس ؟ قال : «ما يعلمون أن الله خلق إبليس قط».

قال : فتفكر، أيها العبد الضعيف في هذه الأرض التي هي أعظم من السموات السبع مرات، وما فيها من عجائب المخلوقات، فكيف في غيرها من الجهات، فكيف قوائم العرش التي دور كل قائمة منها ثلاثمائة ألف وستون ألف سنة، [و] كم في داخل كل قائمة من العالم. ولهذا قال، عليه السلام : «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله، لأن التفكر في المخلوقات من أجل العبادات، والتفكر في الله تعالى يخاف على المتفكر أعظم الضلالات، لأنه، تعالى، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

جعلنا الله وإياكم من الفائزين الآمنين المستشيرين المطمئنين (أ) وله الحمد والمنة (ب).



(أ) سقطت كلمة المطمئنين، في الأصل وفي (و).

(ب) كذا في الأصل وفي بقية النسخ. الخاتمة في (و) : جعلنا الله وإياكم من الفائزين برحمته إنه أرحم الراحمين.

الباب الثاني

في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان

إعلم أن الله عز وجل، قال في القرآن المبين : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾[70] ذكر الشعبي في كتاب سير الملوك أن الملك شداد بن إرم بن عاد، ملك جميع الدنيا. وكان قومه قوم عاد الأولى، زادهم الله بسطة في الأجسام وقوة حتى قالوا : «من أشد منا قوة» ؟ قال الله تعالى : ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾، وأن الله بعث إليهم[71] هودا النبي عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل، وطاعته. فقال شداد : فإن آمنت بالهلاك ماذا لي عنده ؟ فقال هود، عليه السلام، يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب، فيها قصور من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وأنواع الجواهر. قال شداد : فأنا أبني في الدنيا مثل هذه الجنة ولا أحتاج إلى ما تعدني [بعد الموت] (أ).

قال كعب الأحبار[72] إن الله عز وجل وصف قصة إرم ذات العماد في

(أ) في المستطرف، وبنو الجدران بحجارة اليمان، ويضيق وغشوا بصفائح الفضة المموهة بالذهب، فلا يكاد يدركه البصر إذا أشرقت الشمس.

(70) الفجر، الآية 5، ذكر المسعودي في مروج الذهب (2/421) أن الاسكندر المقدوني سار إلى الاسكندرية ليبني في موقعها جنة أخرى على غرار إرم ذات العماد، وهناك وأصاب في موضعها آثار بنيان عظيم وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند : أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد، وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطوال، وأنا بنيت إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وأردت أن أبني ها هنا كإرم، وانقل إليها كل ذي قدم وكرم، من جميع العشائر والأمم، وذلك إذ لا خوف ولا هرم، ولا اهتمام ولا سقم، فأصابني من اعجلني وعما أردت أحالني، مع وقوع ما أطال همي وشجني، وقل نومي وسكني، فارتحلت بالأمن عن داري، لا تقهر ملك جبار، ولا تخوف جيش جرار، ولا عن رهبة ولا عن صغار، لكن لتمام المقدار، وانقطاع الآثار لسلطان العزيز الجبار. فمن رآى أثري، وعرف طول خبري وطول عمري ونفاذ بصري وشدة حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي. وبعد التفكير الطويل والتروي، شرع الاسكندر في بناء الاسكندرية، انظر عن إرم ذات العماد : قصص الأنبياء للثعالبي (القاهرة 1920 ـ ص 292 وما بعدها) تاريخ اليعقوبي (1ـ10) كتاب البدء والتاريخ لمطهر ابن طاهر المقدسي (طبعة شالون، 6 أجزاء 1916 ـ 3/114) أنس الجليل بتاريخ القدس. والخليل لمجير الدين الحنبلي (طبعة القاهرة 1283هـ 1/138 وما بعدها) معجم البلدان (طبعة وستنفلد ـ مادة إرم) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص 15) تاريخ الطبري (1/271 و4/88) تفاسير السورة 89 الآية 5ـ7 وكذلك : Caussin de Perceval; Essay sur l'histoire des arabes (1/14); Mlle Groff, la ville d'Iram, (الجزائر 1891 ص 50 ـ 64).

(71) فصلت، آية 15. وورد ذكر هود وقومه عاد في القرآن خصوصا في السور 7، 11، 26. أنظر عن النبي هود، عدا التفاسير التي تناولت هذه السور قصص الأنبياء للثعلبي (ص 63 وما بعدها) ومقالة هود في دائرة المعارف الاسلامية.

(72) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، ولما اعتنق الاسلام في عهد أبي بكر الصديق، سار إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب، وقد أخذ عنه عدد غفير من الصحابة وغيرهم وتعلم هو الكتاب والسنة، وقد كان مصدر الكثير من القصص والروايات الاسرائيلية التي تسربت عن طريقه

التوراة لموسى عليه السلام، وصفة بنيانها. قال أمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة، كثيرة المياه، طيبة الهواء، بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب. قال، فخرج أولئك الأمراء، ومع كل أمير ألف رجل من جنده وحشمه، فطلبوا في أرض اليمن، حتى وصلوا إلى جبل عدن، فرأوا هنالك أرضا واسعة كثيرة العيون. طيبة الهواء، كما أمرهم به الملك شداد.

قال، فأعجبتهم تلك الأرض، فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب، دورها أربعون فرسخا، كل وجه عشرة فراسخ، فحفروا الأساس إلى الماء وبنوه بحجارة الجزع اليماني (أ) حتى ظهر على وجه الأرض، ثم بنوا فوقه بلبنات الذهب الأحمر سورا علوه خمسمائة ذراع في عرض عشرين ذراعا.

وكان شداد قد بعث إلى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذ لبنا، ولم يترك في يد أحد من الناس في جميع الدنيا شيئا من الذهب إلا غصبه، واستخرج الكنوز المدفونة، ثم بنى في داخل المدينة ثلاثمائة ألف قصر، على كل قصر ألف عمود من أنواع الزبرجد والياقوت، معقودة بالذهب، طول كل عمود مائة ذراع، ومد على الأعمدة ألواح الذهب، وبنى على الألواح قصور الذهب، من فوقها غرف من ذهب، ومن فوق الغرف غرف أيضا [و] الجميع (أ) مزين (ب) بأنواع اليواقيت والجوهر. وجعل في طرق المدينة أنهارا من الذهب، وجعل حصباءها اليواقيت والجواهر، وجعل على شطوط تلك الأنهار أنواع النخيل والأشجار، جذوعها من الذهب، وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(ش) في بقية النسخ : وجميع.
(ب) في الأصل بتحريف : مزمن.

إلى الاسلام. وقد خرج من الحجاز إلى الشام حيث توفي في سنة 32 هجرية عن مائة واربع سنين. انظر اخباره في تذكرة الحفاظ للذهبي (طبعة حيدر اباد ـ 4 أجزاء، 1333 ـ 1334 ـ 1/49) حلية الأولياء (5/364، 6/3) الإصابة لابن حجر العسقلاني (طبعة القاهرة 1358 رقم 7498) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغريبردي (طبعة دار الكتب المصرية، 2 أجزاء 1348 ـ 1375 ـ 1/90) ذيل المذيل لابن جرير الطبري (مختارات منه طبعت في مصر 1326هـ ص 87).

واليواقيت واللآلىء، وجعل للمدينة أربعة أبواب، كل باب علوه مائة ذراع في عرض عشرين ذراعا، كل ذلك بالذهب مزينا بأنواع الجواهر، وجعل حصباء المدينة من أنواع الجواهر، ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة، كل منارة طولها خمسمائة ذراع من ذهب مزينة بأنواع اليواقيت والجواهر، في كل وجه من وجوه المدينة خمس وعشرون ألف منارة من ذهب برسم الحراس الذين يحرسون المدينة، فتم بنيانها في خمسمائة عام.

فلما فرغوا أمروا (أ) في مشارق الأرض ومغاربها أن يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف التي في إرم ذات العماد، واتخذوا أنواع الأواني والأطباق والقصاع والموائد والمنائر والسرج والقدور والهواوين والحباب والكيزان، وجميع ما يحتاج إليه في هذه الدنيا من أنواع الذهب، ففرغ في ذلك في عشرين سنة، فزينت المدينة بأنواع الفرش والستور والآلات، واتخذ فيها أنواع الأطعمة والأشربة والأنقال والحلاوات والطيب والشموع والبخور بأنواع العود والعنبر والكافور.

فلما فرغوا من ذلك كله، خرج الملك شداد في ألف ألف جارية حسناء عليهن من أنواع الحلي والحلل، سوى الخدم والحشم، وخلف على مملكته مرشد (ب) بن شداد وكان أكبر أولاده وأعقلهم وأحسنهم سياسة، وأحبهم إلى الرعية.

قال، فلما أشرف شداد بن عاد على مدينة إرم ذات العماد ورآها، أعجبه ما رأى من حسنها وجمالها، فقال: قد وصلت إلى ما كان هود يعدنيه بعد الموت، وقد حصلت عليه في الدنيا.

فلما أراد دخول المدينة أمر الله تعالى ملكا من الملائكة فصاح بهم صيحة الغضب، فقبض ملك الموت عليه السلام أرواحهم في طرفة عين، فخرجوا على وجوههم صرعى.

(أ) كذا في الأصل وفي (و) في بقية النسخ فسيروا إلى.

(ب) في الأصل وفي (و) بتحريف: مرثد.

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾[73] وأخفى الله المدينة عن أعين الناس، فيرون بالليل في تلك المدينة التي بنيت فيها إرم بمعادن الذهب واليواقيت التي للمدينة تضيء كالمصابيح، فإذا وصلوا إليها لم يجدوا هناك شيئا، ورأوا ذلك الضوء في مكان آخر، وقد دخلها رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له عبد الله بن قلابة[74] الأنصاري خرج في طلب إبل له ضلت، فمازال يقتص آثارها حتى وصل إلى جبل عدن فظهر له سور إرم ذات العماد فلما نظر إلى سورها يلمع ذهبا أحمر مرصعا بأنواع اليواقيت، ورأى تلك المنائر حولها معمولة بالذهب، مزينة بالجواهر، فعظمت المدينة في عينه، فلم ير أولا ولا آخرا دهش وبهت، وكلما قرب منها زاد تعجبه فقال في نفسه : هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة، فقصد بابا من أبوابها، فلما وصل إليه أناخ ناقته ودخل الباب، فرأى تلك القصور والأنهار والأشجار، ولم ير في المدينة أحدا تعجب وقال : أرجع إلى معاوية وأعلمه بهذه المدينة ليأتي إليها ويسكنها، وأخذ معه من حصباء المدينة جواهر ويواقيت وزبرجدا وجعله في وعاء كان معه على راحلته، وعلم على المدينة علامة وقال : قربها من جبل عدن كذا وكذا، ثم انصرف بعدما ظهر بابله حتى دخل دمشق، فاستأذن على معاوية، فسلم عليه، فسأله معاوية من أين قدم، فقال، جئتك من مدينة من ذهب لا يدري أولها ولا آخرها لعظمها. فيها قصور من ذهب عليها غرف من ذهب مزينة بأنواع اللآلىء، تشبه الجنة التي وعدها الله عز وجل عباده في القرآن.

فقال معاوية، أرأيت هذه المدينة في النوم ؟ قال، بل رأيتها في اليقظة، وقد أخذت من حصبائها، فأخرج إليه أنواعا من الجواهر واليواقيت ما لم يشاهد (أ) مثله، ووجد بين تلك الجواهر، مثل بعر الإبل، من العنبر معجونا بالمسك

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م) في بقية النسخ لم برقط.

(73) النجم، الآية 51.

(74) انظر عن عبد الله بن قلابة دائرة المعارف الاسلامية (553/2).

بالمسك والكافور والزعفران قد قلت رائحته من القدم، فجعل منها على النار، فسطعت له رائحة الغنبر والمسك والكافور والزعفران، فتعجب معاوية، وقال : لقد رأيت عجبا.

ثم أرسل معاوية إلى كعب الأحبار. فلما قدم عليه وسلم وجلس، قال له معاوية، يا أبا إسحاق، هل بلغك أن في الدنيا مدينة من ذهب ؟

فقال كعب، نعم، يا أمير المؤمنين، ولقد ذكرها الله عز وجل لنبيه موسى ابن عمران ومن بناها، وقص عليه خبرها، وكيف هلك بانيها وقومه. وقد ذكرها الله عز وجل، لنبيه، محمد صلى الله عليه وسلم مختصرة، فقال، عز من قائل : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾[75] وقد أخفاها الله عن أعين الناس، وسيدخلها من هذه الأمة رجل يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري، وجعل يصفه، ثم نظر إلى عبد الله بن قلابة جالسا عند معاوية فقال : هذا هو، ذلك القاعد، فسله عما قلت، فإن صفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة. فتعجب معاوية من ذلك، وأمر لهما بخلع ومال، وصرفهما، والله أعلم بكل شيء وهو على كل شيء قدير.

حديث مدينة النحاس

التي بناها الجن لسليمان بن داود (ع س) :

في فيافي الأندلس بالمغرب الأقصى، قريبا من بحر الظلمات، حدث (أ) الهقل (ب) بن زياد[76] أن عبد الملك بن مروان بلغه خبر مدينة النحاس[77]

(أ) كذا في الأصل في (و) حدثنا في (ب) و(م) و(ج) حديث لهقل.

(ب) كذا في جميع النسخ ما عدا الأصل وفيه بتحريف لهقل.

(75) الفجر، الآية 5.

(76) هقل بن زياد السكسكي بالولاء، أبو عبد الله كاتب الإمام الأوزعي. من حفاظ الحديث، ولد في دمشق وأقام في بيروت حيث توفي في سنة 179 هـ. واسمه الحقيقي محمد وقيل عبد الله، وهقل لقب تغلب عليه، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي (طبعة حيدر أباد 1/262). تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (طبعة حيدر أباد الدكن 1325 ـ 1327 ـ 12 ـ جزء ـ 11/64).

(77) ويقال لها أيضا مدينة الصفر. ذكرها ابن الفقيه وخصص لها القزويني أكثر من ثلاث صفحات في آثار العباد ونقل ما

أنها بالأندلس، فكتب إلى عامله بالمغرب أنه قد بلغني خبر مدينة النحاس التي بنتهـا الجن لسليمان عليه السـلام، فاذهب إليهـا واكتب إلي بما تعـاينـه من العجائب، وعجل بالجواب سريعا، إن شاء الله.

قال، فلما وصل كتاب عبد الملك بن مروان إلى غامله بالمغرب موسى بن نصير، خرج في عسكر كثيف وعدة كثيرة وزاد لمدة، وخرج معه الأدلاء يدلونه على تلك المدينة، فسافر على غير طريق مسلوك، مدة أربعين يوما، حتى أشرف على أرض واسعة كثيرة المياه والعيون والأشجار والوحوش والطيور والحشائش والأزهـار، وبـدا لهم سور مدينة النحاس، كأن أيدي المخلوقين لم تصنعه، فهالهم منظرها.

ثم إن الأمير موسى، رحمه الله، قسم عسكره نصفين، وأنزل كل طائفة في ناحية من سور المدينة، فأرسل قائداً من قواده في ألف فارس، وأمره أن يدور حول المدينة وينظر هل يدري لها بابا، أو يشاهد حولها أحدا من الناس، فسار ذلك القائد وغاب عن الأمير ستة أيام.

قاله عنها أبو حامد، وأورد أبياتا من الشعر قال أنها من نظم أبي حامد أوردناها في الملحق أمدم ورودها في النسخ التي اعتمدناها للتحقيق. والهمداني يسميها مدينة البهت ويبدأ قصتها بقوله: «فمن عجائب الأندلس البهت وهي المدينة التي في بعض مفاوزها الخ». ونظرة عابرة إلى وصف الهمذاني تقنعنا بأن أبا حامد قد نقل عنه (مثل غيره من المتأخرين) تفاصيل هذه القصة بما فيها من الأغلاط التاريخية التي ربما كان أهمها القول بأن موسى بن نصير ولي على إفريقية في عهد عبد الملك ابن مروان. فإن عبد الملك بن مروان توفي في سنة 86هـ بينما ولي موسى بن نصير على افريقية وما وراءها في سنة 88هـ أي في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، على أنه من الانصاف أن نشير إلى أن الهمذاني لم يكن أول من اخترع هذه الغلطة، إن صح هذا التعبير، ولا أول من وضع القصة، ولو أن روايته تمتاز بتفاصيل لم أعثر عليها في رواية غيره. وقد تتبعتها حتى المسعودي في مروج الذهب، وفيه ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التي سار إليها موسى ابن نصير في أيام عبد الملك بن مروان وما رأى فيها من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد خصص ياقوت نحو صفحتين من معجمه لا يراد هذه القصة التي أعرب عن تحفظ شديد بشأنها قائلا: ولها قصة بعيدة عن الصحة لمفارقتها العادة، وأنا بريء من عهدتها، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء، ومع ذلك، فهي مدينة مشهورة الذكر، وهكذا فإن هذه المدينة الاسطورية التي يزعمون أن موسى ابن نصير قد سار إلى الأندلس للتعرف عليها قبل افتتاح الأندلس قد سودت كثيرا من الورق ونالت اهتمام علماء لم يكن من المتصور أن يغيب عن أذهانهم الطابع الخرافي الذي يسودها، انظر خصوصا: مروج الذهب للمسعودي (1/369) كتاب البلدان لابن الفقيه (ص 88 ـ 90) آثار البلاد للقزويني (ص 558 ـ 562) معجم البلدان لياقوت (5/80 ـ 82) وكذلك: Gaudefroy — Demombyne. Les cents et une nuits, traduite de l'Arabe (Paris, 1910, p. 284 — 346 : René Basset, Dialecte de Syouah (Paris 189, p. 9) وفيه إشارة إلى الأصل المحتمل لهذه القصة.

فلما كان في اليوم السابع، جاء ذلك القائد مع أصحابه، وذكر أنه سار حول المدينة ستة أيام فلم يشاهد حولها من الآدميين أحدا، ولم يجد للمدينة بابا.

فقال موسى بن نصير، كيف السبيل إلى معرفة ما في هذه المدينة ؟

فقال المهندسون، تأمر بحفر أساسها، فمنه يمكن أن يدخل إلى داخل المدينة. قال فحفروا عند أساس سور المدينة حتى وصلوا إلى الماء، وأساس النحاس راسخ تحت الأرض حتى غلبهم الماء فعلموا أنه لا سبيل إلى دخولها من أساسها.

فقال المهندسون يبنى إلى زاوية من زوايا أبراج المدينة بنيان حتى يشرف على المدينة.

قال، فقطعوا الصخر وأحرقوا الجص والنورة، وبنوا إلى جانب المدينة في زاوية برج مقدار ثلاثمائة ذراع، حتى عجزوا عن رفع الحجارة والجص والنورة وقد بقي من السور مقدار مائتي ذراع، فأمر موسى بن نصير أن يتخذوا من الأخشاب بنيانا، فاتخذوا بنيانا من الأخشاب على ذلك البنيان الذي من الحجارة، حتى وصلوا مائة وسبعين ذراعا، ثم اتخذوا سلما عظيما، ورفعوه بالحبال على ذلك البنيان حتى اسندوه إلى أعلى السور.

وقال، من صعد إلى المدينة نعطيه ديته، فانتدب رجل من الشجعان وأخذ ديته وأودعها، وقال : إن سلمت فهي أجرتي، وإن هلكت فهي ديتي تدفع إلى أهلي.

فصعد حتى على فوق السلم على سور المدينة. فلما أشرف ضحك وصفق بيديه، وألقى بنفسه إلى داخل المدينة.

قال، فسمعوا ضجة عظيمة وأصواتا هائلة، ففزعوا واشتد خوفهم وتمادت تلك الأصوات ثلاثة أيام ولياليها، ثم سكتت تلك الأصوات، فصاحوا باسم ذلك الرجل من كل جانب من العسكر، فلم يجبهم أحد.

فلما أيسوا منه (أ) ندب أيضا الأمير موسى [بن نصير مناديا فنادى في الناس وقال : أمر الأمير أن] (ب) من ذهب وصعد أعطيته ألف دينار، فانتدب (ج) أيضا رجل آخر من الشجعان، فوصاه الأمير، وقال : لا تفعل مثلما فعل فلان (د)، بل أخبرنا بما تراه، ولا تنزل إليهم وتترك أصحابك.

فعاهدهم على ذلك، فلما أشرف على المدينة ضحك وصفق بيديه، وألقى نفسه وكل من في العسكر (هـ) يصيحون له : [لا تفعل] (و) فلم يلتفت إليهم، وذهب، فسمعوا أيضا أصواتا عظيمة هائلة أشد من الأول، حتى خافوا على أنفسهم الهلاك، وتمادت الأصوات ثلاثة أيام ولياليها، ثم سكنت.

فقال موسى بن نصير : انذهب من ها هنا ولم نعلم بشيء من علم المدينة ؟ وبماذا أكتب وأجاوب أمير المؤمنين ؟ ثم قال : من صعد أعطيته ديتين، فانتدب رجلا من الشجعان، وقال : أنا أصعد، فشدوا في وسطي حبلا قويا وامسكوا طرفه معكم، حتى إن أردت أن ألقي نفسي في المدينة، فامنعوني..

قال، ففعلوا ذلك وصعد الرجل، فلما أشرف على المدينة ضحك وألقى نفسه فجروه بذلك الحبل، والرجل يجر من داخل المدينة فانقطع جسد الرجل نصفين، ووقع نصفه من محزمه مع فخذيه وساقيه، وذهب نصفه الآخر في داخل المدينة، وكثر الصياح والضجيج (ز) في المدينة. فحينئذ أيس الأمير أن

(أ) سقطت كلمة منه في الأصل.

(ب) سقط ما بين القوسين المربعين في الأصل وفي (و).

(ج) كذا في الأصل وفي (و) في بقية النسخ فبرز رجل آخر من الشجعان وقال : أنا أصعد إلى السور. فأمر الأمير ان يعطى ألف دينار فقبضها، وعمل فيها عمل الذي تقدمه، ووصاه الأمير الخ.

(د) كذا في الأصل وفي بقية النسخ في (و) مثلما فعل الرجل الأول.

(هـ) في الأصل : وأهل العسكر في (و) والعسكر.

(و) سقط ما بين القوسين المربعين في الأصل وفي (و).

(ز) في الأصل والعجيج.

يعلم شيئا من خبر المدينة، وقال، ربما يكون في المدينة جن يأخذون كل من اطلع على المدينة، فأمر بالرحيل وسار خلف المدينة فرسخا أو نحوه، فراى ألواحا من الرخام الأبيض، كل لوح مقدار عشرين ذراعا، فيها نقش كتاب باللسان المسند، فيها أسماء الملوك والأنبياء والتبابعة (أ) والفراعنة والأكاسرة والجبابرة، ووصايا ومواعظ، وذكر النبي عليه السلام، محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر أمته وشرفه وشرف أمته، ومالهم عند الله، عز وجل، من الكرامة، وكان عنده من العلماء من يقرأ كل لغة، فنسخوا ما على تلك الألواح، ثم رأوا من بعد صورة من نحاس، فذهبوا إليها فوجدوها على صورة رجل في يده لوح من نحاس. وفي اللوح مكتوب : ليس ورائي مذهب فارجعوا ولا تدخلوا هذه الأرض فتهلكوا.

فقال موسى بن نصير، هذه أرض بيضاء كثيرة الأشجار والنبات والماء فيها (ب)، فكيف يهلك الناس في هذه الأرض ؟ فأمر جماعة من عبيده، فدخلوا تلك الأرض، فوثبت عليهم من بين تلك الأشجار نمل عظام كالسباع الضارية، فقطعوا أولئك الرجال وخيولهم، واقبلوا نحو العسكر، مثل السحابة كثرة حتى وصلوا إلى تلك الصورة ووقفوا عندها ولم يتعدوها، فعجبوا من ذلك ثم انصرفوا حتى إذا (ج) بعدوا من المدينة رأوا شجرا كثيرا.

حديث البحيرة والجن المسجونين فيها :

قال، فلما وصلوا إلى ذلك الشجر رأوا عنده بحيرة كبيرة كثيرة[78] الطين والأمواج فيها تلتطم، طيبة الماء حولها شجر كثير[79] والطير كثير حولها،

(أ) في الأصل بتحريف : والتتابعة.

(ب) في الأصل بتحريف : ولا ماء فيها.

(ج) في الأصل كلمة زائدة وصلوا.

(78) انظر مقتبسات القزويني من هذه القصة على رواية أبي حامد في الملحق.

(79) تعرف جودفر واي دُو مومبين (المصدر المذكور، ص 342 ـ 343) على هذه البحيرة في بحيرة تشاد، وبالتالي يكون موقع مدينة النحاس في جنوب القارة الافريقية وليس في الأندلس، وهو المكان الذي يحدده لها جميع المؤلفين الذين أوردوا قصتها فيما عدا المسعودي.

[والشجـر مثمر، (و) لم ير الراءون أحسن منها لكثرة الأشجار ومناغاة الطير وألوان الأزهار وطيب تلك الثمار، فأعجب بها الأمير موسى] (أ) وأمر أجناده وأصحـابه أن ينزلوا حولها، فنزلوا حولها، وأمر الغواصين فغاصوا في البحيرة فأخرجوا جبابا من النحاس عليها أغطية من الرصاص مختومة، قال، ففتح منها جبا، فخرج منه فارس من نار على فرس من نار، في يده رمح من النار، فطار في الهواء، وهو ينادي : يا نبي الله، لا أعود.

وفتح جبا آخر فخرج منها فارس آخر كالدخان في يده رمح كالدخان، وهو يقول : يا نبي الله، لا أعود.

وفتح جبا آخر فخرج منه فارس كالصقر، [على فرس كالصقر] (ب) وفي يده رمح كالصقر، فطار في الهواء وهو ينادي : يا نبي الله، لا أعود.

فقال الأمير ومن معه ليس [من] الصواب أن نفتح هذه الجباب، لأن فيها جنا قد سجنهم سليمان عليه السلام، لتمردهم، فأعادوا بقية الجباب (ج) إلى البحيرة، ثم أذن المؤذنون لصلاة الظهر فلما ارتفعت الأصوات بالآذان، خرج من وسط البحـيرة شخص كالآدمي، هائل المنظر (د) وجعل ينظر إلى الناس يمينا وشمالا، فصاح به الناس من كل جانب : من أنت يا هذا القائم على الماء ؟

فقال، أنا من الجن الذين سجنهم سليمان في هذه البحيرة وإنما خرجت لما سمعت أصواتكم، لأني ظننت أنه صاحب الكلام.

ـ قالوا له، من صاحب الكلام ؟

ـ قال، رجل يمر بهذه البحيرة (هـ) في كل سنة يوما، فيقف فيذكر الله،

(أ) سقط ما بين القوسين المربعين في الأصل وفي (و).

(ب) سقط ما بين القوسين المربعين في الأصل.

(جـ) في (ش) القماقم.

(د) في (ش) فوقف على الماء الخ.

(هـ) في الأصل وفي (و) بتحريف : هذه الجزيرة.

ويسبح ويقدس ويكبر ويستغفر، ويدعو لنفسه، وللمؤمنين والمؤمنات، ثم ينصرف، وأسأله عن اسمه أو من هو، فلا يكلمني.

- قيل له، أتظنه الخضر؟
- قال، لا أدري.
- قيل له، كم سجن سليمان من الجن في هذه البحيرة؟
- قال، ومن يقدر أن يحصي عددهم؟ ثم غاب عنا.

قال، فعزمنا على الإنصراف، فقال الأدلاء، أيها الأمير إن الطريق الذي جئنا منه لا يمكن الرجوع منه، لأن الأمم التي حول ذلك الطريق قد علمت بمجيئنا (أ)، وقد حالوا بيننا وبين الرجوع عليهم، ولا قدرة لنا على قتالهم، ولكننا نعدل إلى جهة أخرى على أمة يقال لها منسك.

حديث منسك بن النفرة (ب) من ولد يافث بن نوح:

قال، فخرجوا على أرض كثيرة الأشجار والأنهار والوحوش، على غير طريق حتى وصلوا بعد أيام إلى مدينة عظيمة، وإذا بقوم كان كلامهم كلام الطير لا يفهم. فلما رأونا، أحاطوا بنا، وعليهم أنواع السلاح، وهم كالتراب كثرة، فأيقنا بالهلكة حتى خرج ملكهم وعليه لباس الملوك، وحوله الحشم. فلما رآنا أقبل إلينا وحده وسلم علينا بلسان عربي، قال، ففرحنا لما فهمنا كلامه واستبشرنا [وذهب ما كنا فيه من الخوف] (ج).

وقال: أيها الناس، من أنتم، ومن أميركم، وفيم دخلتم هذه الأرض، فإنا ما رأينا أحدا مثلكم؟

(أ) في (ش) علموا بنا.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) في (م) اليفزه، في (ب) ابن النهد. ورد في (ش) باسم منسك من ولد يافث.

(ج) ما بين القوسين المربعين زيادة في (ش).

قال، فخرج إليه موسى بن نصير وسلم عليه وقال : أيها الملك، أنا أمير قومي، وأنت أمير علينا، ونحن قوم من العرب، من حيز أمير المؤمنين، ولنا خبر وحديث، إذا نزلنا واسترحنا من تعب السفر أعلمناك أمرنا.

فقال الملك : إن أرضنا كثيرة الحر في وسط النهار لميل الشمس على أرضنا، وسآمر بإنزالكم في بعض الأودية لتسكنوا فيه من الحر، كثير الشجر والماء، شاهق الجبال.

فأمر بعض أمرائه أن ينزلنا ويقوم بجميع ما نحتاج إليه من الطعام والعلف وغيره، فأنزلنا في واد كثير العيون والشجر، شاهق الجبال، وجاء إلينا بجميع ما نحتاج إليه (أ) فأقمنا في خير موضع.

ثم إن الملك أقبل إلينا في جماعة من أمرائه وحشمه فتلقيناه بالترحيب، وشكرناه على ما أولانا من الاحسان، فاعتذر إلينا ثم جلس وأمراؤه قيام على رأسه للخدمة في أحسن هيئة (ب). فقال الأمير موسى بن نصير :

ـ أيها الملك، من أنت، ومن قومك، ومن أي الأمم أنتم ؟ فقال الملك :

ـ أما نحن فأمة من ولد منسك بن النفرة من ولد يافث بن نوح، عليه السلام، وأنا ملكهم، أرث الملك [فيهم] من آبائي، وقومي لا عدد لهم ولا حصر في بلاد كثيرة ورساتيق وقلاع وحصون لا عدد لهم، فاخبرني أنت، من أين أنت ؟ ومن أدخلك هذه الأرض ؟ فقال [موسى] :

ـ أيها الملك، نحن من العرب من جند خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان، كتب إلي يأمرني أن أذهب إلى مدينة النحاس، وأن أكتب إليه بما أرى فيها، فخرجت لامره، ووصلت إلى المدينة ولم أجد لها بابا، واحتلت بكل حيلة

(أ) في (م) زيادة وجاء إلينا بجميع ما نحتاج إليه فأقمنا في خير موضع ثم إن الملك أقبل إلينا في جماعة من أمرائه وحشمه فتلقيناه الخ.

(ب) في الأصل بتحريف هيبة.

فلم أقدر على دخولها، ورأيت الواح الرخام، وكتبت ما عليها ورأيت البحيرة.

فقال الملك :

ـ أما المدينة فقد رأيتها، وما على الألواح، فكل عاقل في بلدي يحفظ تلك الوصايا والمواعظ التي عليها. فقال له موسى :

ـ أيها الملك، كيف تعلمت لسان العرب، ولا أرى في قومك من يكلمنا به غيرك ؟ فقال الملك :

ـ ما من لسان أمكنني تعلمه إلا وقد أنفقت على تعليمه وتعبت في معرفته دهرا. والملك إذا لم يصلح لنفسه بأن يزيد في فضائلها، فكيف يصلح برعيته ؟ (أ) ومعرفة اللسان زيادة إنسان. فكل لسان إنسان.

فاستأذناه في الرحيل، فأذن لنا وزودنا وأخرج معنا أدلاَّء يخرجونا من بلاده على أسهل الطرق، فسلمنا عليه وانصرفنا، حتى وصلنا إلى بلاد الأندلس، بعد ثمانية أشهر.

ثم كتب موسى بن نصير إلى عبد الملك بن مروان بجميع ما رآه من أمر المدينة والبحيرة.

فلما وصل الكتاب إلى عبد الملك بن مروان، تعجب من أمر المدينة، ومن تلك المواعظ والوصايا التي على الألواح، وأسماء الملوك وذكر النبي عليه السلام وشرف أمته، وقال : الحمد لله الذي جعلنا من أمته، عليه السلام، وأجاز الرسول وأحسن إليه، فيما يقال، والله أعلم(80)

(أ) في (ش) وكيف يصلح للملك والولاية على الرعية.

---

(80) التالي غير موجود في النص المطبوع. ومن جهة أخرى فقد قام العالم الألماني دورن (Dorn) بترجمة جزء منه إلى اللغة الألمانية معتمدا على مخطوطتي كوبنهاجن وبيتر سبورج ونشر هذه الترجمة في مجلة Mélanges Asiatiques (6 / 679 وما يليها 7 / 72) تحت عنوان : «ذكر خبر رومية العظمى».

رومية العظمى[81]

وهي مدينة عجيبة عظيمة دورها عشرون فرسخا[82] وعليها ثمانية أسوار من الصخر عالية في الهواء ولها باب واحد، لأن جوانبها الثلاثة يحيط بها البحر الأسود، والجانب الواحد إلى البر، وهي في جبل داخل البحر، وقد بنتها الجن لسليمان، حفروا ذلك الجبل حتى بنوا المدينة في الجبل والبحر يعلو على المدينة. وحول المدينة نهر من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا، وعليه ألواح من النحاس طول كل لوح خمسون ذراعا في عرض عشرين ذراعا في غلظ ذراعين، فيما يقال والله أعلم :

وجعلوا من أول المدينة إلى آخرها أعمدة من النحاس صفين وعلى الأعمدة نهر من النحاس يدخل ماء البحر، وتدخل السفن فيه بأثقالها. وهذا من عجائب الدنيا. وفيها [فيما] يقال كنيسة من ذهب عظيمة طولها ألف ذراع في عرض خمسمائة ويقال إن في الكنيسة من الصفر الأصفر الذي يشبه الذهب. وفيها من الكنائس العظام والبناء العجيب الذي لم يشاهد الناس مثله قط.

---

(81) عالج الجغرافيون العرب مدينة رومية بالوصف وبعضهم، مثل ياقوت، بكثير من التوسع، ولكن ما كتبه عنها الادريسي الذي يسميها روما (مثل ابن سعيد، وأما أبو الفدا فيوردها باسم رومية ولكنه يقول إنها تسمى أيضا روما) يمتاز بكثير من الدقة مع الايجاز، والجدير بالذكر أن دورن كان قد تعرف في مبدإ الأمر (المصدر المذكور) على رومية في بيزنطة، ولكنه بعدما استرشد بالترجمة الفرنسية للادريسي وبمعجم البلدان، استقر رأيه على أن رومية الكتاب العرب هي روما، على أن تراجع دورن عن رأيه ومعلومات الادريسي الدقيقة عن رومية والتي لا يمكن أن تنطبق إلا على مدينة رومة لم تكن كافية لاقناع كراتشكوفسكي الذي يُصر على القول بأن المقصود برومية عند الجغرافيين العرب هي القسطنطينية - راجع الأدب الجغرافي العربي (1 - 296). انظر وصف الجغرافيين العرب لرومية = (روما) مسالك الممالك للاصطخري (طبعة دوخوية 1927 - ص 8) كتاب البلدان للهمذاني (ص 149 - 151) صورة الأرض لابن حوقل (طبعة دوخوية - ص 135) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 210) آثار البلاد للقزويني (ص 591) مروج الذهب للمسعودي (1 - 129 - 2/243 - 280) نزهة المشتاق للادريسي، طبعة جامعة نابلي (الكراس 1/750 - 752) خريدة العجائب لابن الوردي (ص 58) عجائب المخلوقات للقزويني (طبعة وستنفلد - 1/397) الاعلاق النفيسة لابن رستة، وهو يسميها الرومية (ص 128)

(82) في معجم البلدان : طولها ثمانية وعشرون ميلا، وعرضها ثلاثة وعشرون ميلا.

وفيها من الصوامع المعمولة من النحاس وأنواع الحجارة آلاف يسكنها الرهبـان، وفيها من الأسواق أمر عظيم، كل سوق بطول المدينة، وبعضها بعـرض المـدينـة. كل سوق عشرة فراسـخ يبـاع في كل سوق أنواع الأمتعة والمأكولات من الفواكه والأخبار والطبايخ وأنواع الحلاوات والأنقال. ومن آخر يوم السبت إلى صبيحـة يوم الاثنين، يدخلون الكنائس ويشتغلون بالصلاة والقربان. وجميع سقوفها بالرصاص الأسود، وإذا أراد الملك أن يخرج إلى خارج المدينة، يخرج الخدم بين يديه على أيديهم أطباق الذهب، فيها الدنانير ينثرونها عن يمين طريق الملك ويساره. فيميل الناس إلى أخذ الذهب ويتركون للملك الطريق حتى يذهب فيه. يفعل ذلك من كثرة الناس ويسمى ذلك عندهم الملك الرحيم، [وهو] بمنزلة الخليفة في المسلمين. وجميع النصارى يرجعون إلى حكمه ويطيعون قوله.

ولما كنت في باشغرد[83] سنة خمس وأربعين وخمسمائة كان بيني وبين رومية أياما يسيرة وسألت بعض المسلمين الذين يسافرون إليها من باشغرد عن

(83) الباشغرد (وأيضا: باشغرت وباشجرد وباشقرد) هو الاسم العربي للباشقر والمجر. وأول من ذكر هذا الشعب باختصار هو الاصطخري في مسالك الممالك، باسم البشجرت، وقال إن ارضهم تبعد عن البجناك مسيرة عشرة أيام. ولكن وصف أحمد بن فضلان كان أول وصف حقيقي لهذه الأصقاع، وكان ذلك أثناء رحلته التي أرسله فيها المقتدر العباسي (282 ـ 320هـ) إلى ملك الصقالبة الذي كان قد أسلم هو واهله (صفر 309هـ) لحمل الخلع اليهم وليعلمهم الشرائع الاسلامية. وقد استهل وصفه لهؤلاء الأقوام بقوله: «وقعنا في بلاد قوم من الأتراك يقال لهم الباشقرد، فحذرناهم أشد الحذر، وذلك لأنهم شر الأتراك وأقذرهم وأشدهم إقداما على القتل». وعلى الرغم من أن دليل ابن فضلان البشقردي كان مسلما، فهو يقول إنهم من الوثنيين وكان كل واحد منهم قد نحت خشبة على قدر الاكليل، ويعلقها عليه. فإذا أراد سفرا أو لقاء عدو قبلها وسجد لها. وكذلك سجل أن طائفة منهم تعبد السمك وأخرى تعبد الكراكي الخ. والباشغرد قد دخلوا الاسلام في فترة لاحقة، فإن ابن سعيد (القرن السابع الهجري) يخبرنا أن الباشقرد، وهم أتراك جاوروا الألمانيين على عهد منوارث، وهم مسلمون من جهة فقيه تركماني بصرهم بشرائع الاسلام. وأكثر عمائرهم على نهر دانوبا الكبير، وعلى جنوبيه قاعدتهم... هي مما دخله التتر وخربوه (وهذا النص اقتبسه أبو الفدا في تقويم البلدان)، وقد كان البشقرد يسكنون المنطقة التي تعرف الآن باسم أوفا أورنبورج (Ufa Oren-burg) وقد كان الباشقرد خاضعين للبلغار مدة من الزمن ولكن لغتهم كانت هي اللغة المجرية، ولكنها انفصلت عنها الآن وأصبحت باستثناء بعض الخصائص الصوتية إلى مجموعة اللغات التركية. وقد كان الروس هم الذين اكتشفوا في القرن السادس عشر أن الباشقرد أصبحوا أمة إسلامية صحيحة الاسلام، ولشدة التقارب بين الباشقرد والمجريين، فقد ترجم لهم ابن رستة مع المجريين (أو المجغرية كما يسميهم) تماماً كما أطلق القوزاق الروس إبان حملة عام 1849 إسم الباشقرد على المجر. وقد اضطر الباشقرد إلى الخضوع لروسيا القيصرية عقب فتح قازان، ثم انتفضوا على حكم

صفتها، فوصفت لي كما كتبته هاهنا. وذكر أن أكثر المدينة قد خرب الآن، لأن الأمراء تنافسوا في البلدة وتقاتلوا، والملك الكبير لا يقدر على قهرهم قال، فترى على قصور الملك قد نصبوا المنجانيق والعوادات يرمي بعضهم بعضا، وجيش كل محلة يغـزو إلى الأخـرى ويقتل بعضهم بعضا، ويسبي بعضهم بعضا، ويفتح أهل كل محلة في الأسوار أبواباً يخرجون منها إلى خارج البلدة. وكنت قد أردت الذهاب إليها لنشاهدها، فمنعني المسلمون، وقالوا إن بعض إخوة ملكنا قد ذهب إلى رومية، وقد تزوج بنت ملكها، فلو تركناك تذهب إليها لخشينا أن يقـال للملك إنـك ذهبت بأموال عظيمة إلى أخيه لتعينه على حرب الملك، فيكون [ذلك] سبب هلاكنا فامتنعت (أ).

وباشغرد هذه (ب) أمم عظيمة، وهي ثمانية وسبعون مدينة، كل مدينة كأصفهـان وبغـداد[84] وفيها من النعيم والرخاء بمالا يعد ولا يحصى، وابني الأكبر، حامد، فيها تزوج بامرأتين من كبار المسلمين ورزق أولادا.

وسكـان روما أمة من النصارى يقال لهم نامش[85]، وهم أشجع من الإفرنج وأحسن وجوها من جميع الروم. وعندهم صناع كثيرون في جميع

الروس في مرحلة تالية ثمان مرات (في القرن السابع عشر، وكانت آخر ثورة قاموا بها في سنة 1755 فباءت بالفشل، وفرضت عليهم روسيا نظام التجنيد الاجباري ثم شكلت منهم فرقة خاصة من الفرسان في سنة 1878، وفي الوقت الحاضر يقرر يلان هول أن قبائل من الباشقرد تعيش في حالة أشباه الرحل في رقعة ضيقة على السفوح الجنوبية الشرقية لسلسلة جبال زغروس ولم تكد تتأثر حياة بها طرأ على العالم من التطور والتغيير.

أنظر كتاب الجغرافيا لابن سعيد (تحقيقنا ص 194) مسالك الممالك للإصطخراي (طبعة دوخوية، ص 227) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 256 ـ 257) الاعلاق النفيسة لابن رستة (تحقيق دوخوية 1891 ص 142 ـ 143) معجم البلدان لياقوت (طبعة بيروت 1/322 ـ 323) عجائب المخلوقات للقزويني (2/411) وكذلك Wolf (O), Geschiche der Mongolen oder Tartaren. (بريسلاو 1872 ص 263 وما يليها).

Marquart, Osteuroptische und ostasasiatisch sreizlige

(سنة 1907 ص 69)

D'ohsson, histoire des Mongols (2/620). Planhol (Xavier de), les fondements géographiques de l'histoire de l'Islam (Paris, 1968, p. 199, 218).

(84) هذا التوضيح دليل على أن البشغرد يشمل جنسهم في ذهن المنغاريين، حيث أن الاصطخري يقدر عددهم بما لا يزيد عن الفي نسمة، ويقول إن أرضهم كانت مغطاة بالغابات، وأبو حامد هو الوحيد الذي يذكر وجود مدن للبشغرد.

(85) المقصود هنا الألمان.

الصناعات، ويتخذ عندهم ثياب الكتان الذي لا يوجد مثله [في] الثوب الواحد مائة ذراع وأكثر، أوله وآخره ووسطه شيء واحد، لا يختلف فيه خيط واحد يحمل إلى بلاد الصقالبة ويعرف بالكتان الروسي،

والروس هم من الصقالبة ويتخذون في رومية أنواعا من ثياب الصوف الملونة أحسن من الديباج الرومي، يكون الذراع بدينار لا ينفذ [منه] المطر، مع لينه ونعومته وحسن لونه، من أحمر كالدم مصبوغ بالقرمز(86) وهو حيوان ينزل من السماء في زمان الخريف على شجر البلوط يشبه الأنجل الأحمر المنتن الذي يكون في البيوت أحمر صغيرا، مثل نوى الخرنوب الشامي منتن الرائحة. فالقرمز يشبهه، وهو أحمر مثله. به يصبغ الصوف والابرسيم، ولا يصبغ [به] القطن ولا الكتان، ولا كل شيء ينبت. إنما يصبغ ما كان متصلا بالحيوان. وهذا أيضا من عجائب الدنيا، وصبغه لا يتغير أبدا. فاعلم ذلك، والحمد لله أبدا(87).

حديث صنم قادس (أ) الذي بناه ذو القرنين، والله أعلم بالصواب وذلك أن في الأندلس مجمع البحرين البحر الأسود(88) وبحر الروم وفي مجمع البحرين جزيرة قد بنى فيها منارة من الصخر الأسود الذي لا يعمل الحديد فيه شيئا البتة، طولها مقدار مائة ذراع، أو أكثر، مربعة الأسفل، مدورة الأعلى مصمته (ب) ليس لها باب، وعلى رأسها صورة آدمي أسود كأنه زنجي قد التحف بثوب عجيب لا يقدر أحد أن يلتحف مثله، وقد اضطبع بالثوب وأخرج منكبه الأيمن، وذراعه ويده ممدودة يشير بأصبعه المسبحة إلى ناحية

(أ) في (ب) فارس.

(ب) في (م) مضمتة وفي (و) مصموتة.

---

(86) القرمز صبغ ارمني أحمر تصبغ منه الثياب فلا يكاد يزول وهو عصارة يعيش في آجام ارمينية انظر لسان العرب (72/3).

(87) هنا ينتهي الفصل الذي سقط في النص المطبوع.

(88) المقصود هنا المحيط الأطلسي الذي يسميه العرب بحر الظلمات، وأبو حامد هو الوحيد فيما أعلم الذي يسميه البحر الأسود. والمؤكد أن هذا البحر لا صلة له بالبحر الذي يحمل اسم البحر الأسود في وقتنا هذا.

المغرب [واليسرى] في (أ) البحر الأسود، وكأنه قابض على مفتاح، وذلك البحر أبدا فيه أمواج كالجبال، لا تقدر سفينة أن تدخل فيه. والله أعلم[89].

ومما في جزيرة الأندلس أن ابن حزم[90] ذكر في رسالته التي وضعها في وصفها، وذكر خصائصها وطبائع أهلها أن أرضها شامية في طيبها، تهامية في اعتدالها واستوائها، أهوازية في عظم خراجها وجبايتها، عدنية في منابع سواحلها، صينية في معادنها، هندية في عطرها وذكائها. وأهلها عرب في الانساب والمعزة والانفة وفصاحة اللسان، وطيب النفوس، وإباء الضيم وقلة احتمال الذل، والنزاهة عن الخضوع، هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم لها، بغداديون في طرافتهم ونظافتهم، ورقة أخلاقهم، ونباهتهم ولطافة أذهانهم، ودرة أفكارهم، نبطيون في استنباطهم المياه، ومعاناتهم للغراسة

(أ) في الأصل وفي (و) و(م) بدلا من القوسين المربعين الشتوي.

(89) الفصل التالي غير موجود في جميع النسخ التي اعتمدت عليها للتحقيق وذلك فيما عدا نسخة الجزائر (و) التي اعتمدت عليها الآن دون سواها. وهذه الزيادة واردة في الورقات من 13 وجه إلى 20 وجه.

(90) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، زعيم المذهب الظاهري وأحد أئمة العلم في الأندلس، ولد بمرطبة في سنة 384هـ، وكان جده الأعلى نصرانيا اعتنق الاسلام، تربى في البلاط وتتلمذ على عدد من فطاحل العلم وفي مقدمتهم عبد الرحمان بن أبي يزيد الأزدي. وفي سنة 404هـ. خرج ابن حزم من قرطبة التي خربتها الفتنة التي عرفت بفتنة البربر بعدما تعرض لكثير من المحن وبعدما دمر قصر أسرته العظيم في بلاط معيث، واختار المرية لاقامته. ولما خلع علي بن حمود (407هـ) اتهمه خيران صاحب المرية بالتآمر من أجل إعادة الخلافة الأموية فسجنه هو وصديقه أحمد بن إسحاق ثم نفاهما في مرحلة تالية. ولما نودي بعبد الرحمان الرابع المرتضي خليفة في بلنسية، ساهم في حروبه وكان قد عين وزيرا له. وقد وقع أسيرا في يد أعدائه ولكنهم أطلقوا سراحه بعد مدة قصيرة وفي سنة 409هـ. عاد إلى قرطبة واستوزره صديقه الخليفة عبد الرحمان الخامس المستظهر عقب مبايعته بالخلافة في سنة 414هـ، عقب خلعُ القاسم بن حمود، ولكنه لم يستمر في هذا المنصب سوى بضعة أسابيع حيث أن المستظهر قتل في نفس السنة، وقيل إنه تولى الوزارة مرة أخرى لهشام المعتمد، ولكن ذلك غير مؤكد، اعتزل ابن حزم السياسة بعد ذلك وتفرغ للعلم والتأليف فكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ويضع التآليف القيمة. ومن أهم كتبه جمهرة انساب العرب (ط) والناسخ والمنسوخ (ط) والفصل في الملل والنحل (ط) والمفاضلة بين الصحابة. وأما الرسالة التي يشير إليها المؤلف، فهي رسالة بعنوان: رسالة في فضل الأندلس، أهداها إلى صديقه أبي بكر بن إسحاق، ذكرها المقري في نفح الطيب (طبعة إحسان عباس - 47/2، 151/3، 156) انظر ترجمته في وفيات الأعيان (طبعة إحسان عباس - 325/3 - 330) نفح الطيب (الفهرس) مجموعة جب التذكارية (86/5 وما يليها) إرشاد الأريب لياقوت (طبعة مرغليوث - 5 - 86 - 97) لسان الميزان لابن حجر - طبعة حيدر أباد (1300 - 198/4) الذخيرة لابن بسام (طبعة القاهرة - المجلد الأول من القسم الأول ص 140) تذكرة الحفاظ للذهبي (341/3) مقدمة ابن خلدون (طبعة باريس ص 3) ولذلك (المقدمة) Dozy (R), Hist des Musulmans d'Espagne

وتركيب الشجر والفلاحة، صينيون في اتقان الصنائع العملية وأحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلامها والنظر في مهمتها.

نوع الخصائص في مدينة حمص من بلاد كرمان: لا يمطر المطر فيها أبدا إلا خارج البلدة، حتى أن الرجل يخرج يده من سورها إلى خارجها فتبتل يداه ولا يبتل ساعده. وبقرية من قرى كرمان حصن عادي ليس فيه فأر، فإذا دخل إليه فأرمات، ولا يوجد بمدينة حمص أيضا عقرب. ويقال إن الطلسم في قلعتها. ويقال إن حمص لا يدخل مدينتها حية، وأنه متى ذر عليها من ترابها شيء ماتت لوقتها. وكذلك ليس بها بعوض ولا بق، وأن الرجل متى أخرج يده من السور، وقع عليها البعوض، فإذا أدخل يده طار عنها، ولا يوجد بسجلماسة ذباب.

فصل - ويقال إن من أقام ببلاد التبت اعتراه سرور لا يدري ما سببه، ولا يزال مبتسما ضاحكا حتى يخرج منها، وأن الميت إذا مات فيها لا يدخل على أهله كرب ولا حزن، كما يلحق غيرهم عند موت محبوب أو فوت مطلوب.

وفي الصين مناديل الغمر التي إذا اتسخت ألقيت في النار، فتنقى ولا تحترق.

والعرب تقول لكل طرفة من الأواني وما أشبهها، كائنا ما كانت، صينية، لاختصاص الصين بالطرف.

وفي سمرقند[91] القراطيس التي عطلت قراطيس مصر لأهل المشرق، كقراطيس مصر لأهل المغرب. وفي بلخ. إنها شبيهة بالعراق وخراسان والهند.

وفي غزنة[92] أن الأعمار بها طويلة، والأمراض بها قليلة. وفي

(91) مدينة سوفيتية في وسط آسيا (أوزبكستان) كانت من أعظم مراكز الاشعاع الحضاري الاسلامي، وقد خربها جنكيز خان سنة 1229م. ثم استولى عليها تيمورلنك وجعلها عاصمة لمملكته. وهي الآن مركز صناعي ويبلغ عدد سكانها 220.000 نسمة.

(92) مدينة في شرق أفغانستان ذكرها بطليموس (القرن 2، ق.م). وخصص لها الجغرافيون العرب صفحات رائعة، وهي

لبست، [93] يقال إن مات فيها مغفور له، فقد انتقل من جنة إلى جنة.

وفي طرس[94] إن الله تعالى ألان الحجارة، كما ألان لداوود عليه السلام الحديد حتى أنهم يتخذون منها ما يتخذ الناس من الزجاج، كالأقداح والكيزان وغيرها من الأواني.

وفي نيسابور[95] إن أهلها لا يكرمون الغريب ولا يؤنسون القريب وفي جرجان، وتسمى بغداد الصغرى، إنها قاتلة للغريب (أ) لاختلاف هوائها. وكان أبو تراب النيسابوري يقول: لما قسمت الدنيا بين الملائكة، وقعت جرجان في قسمة أبي يحيى، يعني ملك الموت.

(أ) في الأصل وبقية المخطوطات ابن حازم والمقصود هو أبو محمد.

موطن الأسرة الغزنوية التي كملت فتح الهند. وكان فتح غزنة قد تم في عهد عبد الملك ابن مروان، كانت مركزا عظيما للثقافة الاسلامية دهرا من الزمن ولم تكن تفوقها سوى بغداد.

(93) كذا في جميع النسخ ولم اهتد إلى التعرف عليها في كتب الجغرافيين العرب، ولكنني أخيرا وقعت على نص منقول عن أبي حامد في نهاية الأرب، ولكن النويري يتحدث فيه عن بست، وليس لست. وجاء في هذا النص: «فيقال إن هواءها كهواء العراق، وماءها كماء الفرات... ويقال إن مات فيها مغفور له، فقد انتقل من جنة إلى جنة» وبست هذه ذكرها ياقوت وقال إنها مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وأظنها من أعمال كابل. وقد نسب إليها قائمة مهمة من العلماء والحفاظ والأعلام. وفي تقويم البلدان أن بست تقع على شط نهر هند مند، وهي من سجستان، وقد حدد ابن سعيد موقع بست حيث الطول ثلاث وتسعون درجة، والعرض ثلاث درجات، على النهر الذي يجري في بلاد سجستان من غرب إلى شرق، وقد ذكر المسعودي بست في مروج الذهب قائلا أن الحجاج استعمل عبد الرحمان بن الأشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هناك من أمم الترك الخ. والمعروف أن بست تحتل موقعا ممتازا بين نهري هلمند ونهر أرغنداب وفي الزاوية التي يلتقيان عندها، وعند ملتقى الطرق الآتية من الغرب، أي من هراة وزرنج لتعبر نهر هند مند (هلمند) في اتجاه بلوخستان والهند، وقد كانت بست، كما تشهد بذلك الآثار الباقية فيها، مركزا هاما من مراكز الحضارة الإيرانية، وقد فتحها عبد الرحمان بن سمرة. قارن: مروج الذهب للمسعودي (5/302) نهاية الأرب للنويري (طبعة القاهرة - 1/365) معجم البلدان. (1/414 - 420) كتاب البلدان للهمذاني (ص 208) فتوح البلدان للبلاذري (طبعة ليدن، 1845 - الفهرس) مسالك الممالك للاصطخري (ص 242) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 162) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 344) صورة الأرض لابن حوقل (ص 356 - 357) انظر خصوصا عن تاريخ بست الكامل لابن الأثير (الفهرس) وكذلك: Le strange, the lands of the Eastren Callphate (ص 344 وما بعدها).

(94) كذا في جميع النسخ، ولكنه يبدو لي أن الكلمة محرفة عن طوس كما وردت في نهاية الأرب حيث نقل النويري ما ذكره أبو حامد عنها حين يقول: فمن خصائصها السبج الذي لا يكون إلا بها... ويقال إن الله عز وجل ألان لأهلها الحجارة الخ. نهاية الأرب (1/364) وانظر عن طوس كذلك المراجع المحال إليها أعلاه.

(95) أونيشابور، عاصمة خراسان كانت من أعظم المدن الاسلامية التي ازدهرت فيها الفنون والآداب، ذكر ابن حوقل أنها كانت تقع في أرض سهلة، وهي مقدار فرسخ في فرسخ، وقال أبو الفدا إنها كانت تسمى في عهد نشاور، كانت نيسابور مسقط رأس عمر الخيام وفريد الدين العطار. وقد خربتها الحروب والزلازل. انظر المراجع المذكورة أعلاه.

وفي الري[96] إنها تزم بأهلها.

وفي أصبهان[97] حجر الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران وفي فارس إن لشيراز[98] نعمة طيبة ليس فيها عداها من كور الفرس وفي الأهواز[99] قصبتها مخصوصة بالحمى الدائمة حتى إنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى القريب، ولا يكاد يوجد بها وجنة حمراء لصبي أو لصبية، ولربما لمبست القابلة المولود فتجده محموما، ومن عجائب خصائصها، أن جميع أصناف الطيب تستحيل رائحتها فيها الاستحالة الشديدة، حتى لا يوجد لها رائحة، وهذا من كثرة الرطوبة وغلظ الهواء والبخارات الفاسدة وهذا موجود بالقسطنطينية وأنطاكية أيضا.

وفي الكوفة أن أصدق ما يقال في أهل بلدها: الكوفي لا يوفي وفي البصرة إن للغربان بها مسودا ويقع على كل نخلة قد صرم نخلها، ولا يقع على ما لم يصرم، ولو بقي عليها عذق واحد. ومن عجائبها أيضا أن الثمر يكون مصبوبا في بيادره، فلا يقع على شيء منه ذبابة لا في ليل ولا في نهار. وأهل البصرة يتخذون المظلات على التمر والعجوة، خوفا عليها من الجفاف، ومن شأن الذباب الفرار من الشمس إلى الظل، فلا يوجد في تلك الظلال شيء منه إلبتة، فيتوهم المتوهم أن هاتين الحالتين من طلسم له من الخاصية ما يمنع الغربان والذباب، وليس الأمر كذلك، وإنما هو من حماية الله ووقايته.

---

(96) مدينة قديمة في شمال إيران (جنوب شرقي طهران)، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب في سنة 21هـ. على يد عروة بن يزيد الخيل، وفيها ولد هارون الرشيد، انظر المراجع المذكورة أعلاه.

(97) أو إصفهان: مدينة في إيران بين شيراز وطهران. ذكر ابن حوقل أنها تقع في نهاية الجبال وأنها عبارة عن مدينتين إحداهما تعرف باليهودية وهي من أخصب بلاد الله، وينتمي إليها عدد كبير من العلماء والأدباء، وقد اتخذها عباس الأول عاصمة له في القرن السابع عشر. وكانت مشهورة بتجارة الحرير. يبلغ عدد سكان أصبهان في الوقت الحاضر 434.000 نسمة. انظر المراجع المحال إليها أعلاه.

(98) مدينة في جنوب غربي إيران، قاعدة إقليم فارس، فتحها أبو موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص في أواخر عهد عثمان. ذكرها ابن حوقل وقال إنها مدينة محدثة بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل وهو ابن عم الحجاج بن يوسف والمدينة ذات مياه وبساتين عدد سكانها حاليا 229.800 نسمة، انظر المراجع الواردة أعلاه.

(99) منطقة في غرب إيران على الخليج غنية بالنفط من مدنها عبدان والأهواز انظر المراجع المحال إليها أعلاه.

وفي جزيرة العرب أن مكة يريع الذئب فيها الظبي ويعارضه ويصيده، فإذا دخل الحمام كف عنه، ومنها أنه لا يسقط على الكعبة حمام إلا إذا كان عليلا، وأن ما عادة الطير إذا حاذت الكعبة أن تفترق فرقتين لا تعلوها.

وفي المدينة على سكانها الصلاة والسلام أن العطر والبخور يوجد لهما من الضوع والرائحة الطيبة أضعاف ما يوجد في سائر البلاد، ولها في نفسها نعمة طيبة ورائحة عطرية، وإن لم يكن فيها شيء من الطيب البتة، ولهذا سميت طيبة، وطاب قول الشاعر في ذلك:

ما على من مس تربه أحمدا   ان لا يمس طول الزمان غواليا

وفي اليمن أن السيف متى قتل قلع بالهند وطبع باليمن فناهيك به جودة.

وفي الموصل[100] قال الجاحظ من أقام بالموصل حولا ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا.

وفي المصيصة[101] أن من أطال الصوم بها هاجت به المرة السوداء وربما جن، وفي مصر أن أهلها مستغنون على كل بلاد حتى لو ضرب بينها وبين الدنيا سور تغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا، وفيها ما ليس في غيرها، وهو السقنقور[102] والنمس[103] ولولاهم لأكلت الثعابين أهلها، وهم لها كقنافيذ.

---

(100) مدينة بالعراق، قاعدة محافظة نينوى، تقوم المدينة الحالية على أنقاض مدينة ساسانية كانت عاصمة الجزيرة في عهد مروان الثاني، آخر الأمويين، وقاعدة ديار ربيعة في العهد العباسي، أسس فيها الحمدانيون إمارة مستقلة (سنة 929 ـ 991م) احتلها السلاجقة. اشتدت سلطة اتابكتة فيها في عهد زنكي (1128 ـ 1146م) بدأ انحطاطها بعد مرور المغول (1259) وتيمورلنك (1400) بها. وقد كانت الموصل مركزا تجاريا وصناعيا هاماً (صناعة الحرير). عدد سكانها في الوقت الحاضر 330.000 نسمة، ومنطقتها من أهم مناطق إنتاج النفط. انظر المراجع المحال إليها اعلاه.

(101) مدينة على شاطىء نهر جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وطرسوس (تركيا).

(102) الاسقنقور (يونانية معربة)، ضرب من الزواحف يعيش في البلاد الحارة، أكبر من العظاءة وأضخم. قصير الذنب، ويعرف أيضا بالتمساح البري.

(103) حيوان في حجم القط الأليف، قصير اليدين والرجلين وفي ذنبه طول، يصيد الفار والحيات ويأكلها، وهو ينقسم إلى عدة أنواع.

سجستان لأفاعيها، والسمك الرعاد والحطب السنط الذي لا رماد له، ويقال إنه الأبنوس، ولكن البقعة قصرت فيه عن الكيان ودهن البلسان والأفيون، وهـو عصارة الخشخاش واللبخ، وهو ثمر في خلقة اللوز إلا أن المأكول منه الظاهر والأترنج الأبلق والزمردي، وأهلها يأكلون صيد البحر الرومي وبحر فارس طريا، وأن صيفها خريف، وشتاءها ربيع، وما ينقطع (أ) في سائر البلاد يوجد فيها في الحر، وكذلك في البرد لاعتدال حرها وبردها، إذ هي في الاقليم الثالث من الأقاليم الأربعة، فسلمت من حر الأول والثاني، وبرد السادس والسابع.

ومما وصفت به أن صعيدها حجازي ينبت النخل والمقل والموز والعشر والقرظ، وأسفل أرضها شامي يمطر بمطر الشام، ويقع فيه الثلوج، وينبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز والفستق وسائر الفواكه.

فصل - ومن خصائص البلاد أن أصحاب التواريخ حكوا في كتبهم أن عمرو ابن أبي عامر[104]، قال لقومه لما تحققوا كون سيل العرم ومن كان ذا شاه. . . وبعير وجمل شديد فيلحق بالشعب من كوفان فلحقت به همدان[105] ومن كان ذا سياسـة وصـبر على أزمات الدهر فيلحق ببطن مر، فلحقت به خزاعة[106] ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق

(أ) في الأصل: وما يقطعه.

(104) عمرو بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله المعافري القحطاني الملقب بعسكلاجة، وال من المقدمين في دولة هشام المؤيد بالأندلس، وهو ابن عم المنصور بن أبي عامر ولي على المغرب واستبد فيه بسلطانه فمنع الأموال عن المنصور وراح ينتقصه، فاستقدمه المنصور، بن أبي عامر من المغرب وجلده جلدا مبرحا، لم يلبث أن مات بعده في سنة 375هـ. انظر أخباره في الحلة السيراء لابن الأبار (طبعة القاهرة 1963، 1/277)، البيان المغرب لابن عذارى (طبعة ليدن وباريس 2/166 و3/100، 105).

(105) بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو همدان بن مالك بن زيد ابن أوسلة بن ربيعة بين الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان كانت ديارهم باليمن، ولما جاء الاسلام تفرقت كثير من أفخاذهم فنزلوا بمصر والكوفة الخ) ومن بلادهم باليمن نجران، ومن أيامهم يوم الرزم انظر صبح الأعشى للقلقشندي (طبعة القاهرة - 1/160 - 2/244) تاج العروس (مادة همدان).

(106) قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، كانت منازلهم بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليها، لهم بطون كثيرة، وقد كانت ولاية البيت قبل قريش في أحد بطونهم، وهم بنو كعب بن عمرو، انظر شرح الحماسة للتبريزي (1/102) والأغاني (طبعة دار الكتب - 3/92 و9/239) تاريخ الطبري (3/110، 111) معجم البلدان (طبعة وستنفلد - 1/100 و3/779).

بيثرب ذات النخيل، فلحقت به الأوس والخزرج، ومن كان يريد الخمر والخمير والأمر والتأمير، فليلحق بالشام، فلحقت غسان ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيول العتاق والذهب والأوراق[107] فليلحق بالعراق فلحقت به لخم[108].

فصل - الهند بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وكرمان[109] وماؤها وشل، وثمرها دقل[110] وعودها بهل، وخراسان[111] ماؤها جامد، وعودها جاهد، وعمان حرها شديد وصيدها عتيد، والبحرين كناسة بين المصرين، والبصرة ماؤها ملح، وحربها صلح، مأوى كل تاجر، وطريق كل عابر، والكوفة ارتفعت عن حر البحرين وسلمت عن برد الشام وواسط جنة بين حماه. والشام عروس بين نساء جلوس، ومصر هواؤها راكدٌ وحرها متزايد، تطولُ الأعمار [فيها] وتسود الأبشار.

فصل - ونذكر خصائص بلاد العملية فيقال حكماء يونان وأطباء جنديسابور[112] وصاغة حران، وحاكة اليمن، وكتاب السواد.

---

(107) الوَرَق والوِرْق والوَرِق والرقة : الدراهم المضروبة من الفضة، وفي الحديث : عفوت لكم عن صدقة الخيل، والرقيق، فهاتوا صدقة الرقة، أي الدراهم المضروبة من الفضة انظر لسان العرب (طبعة الخياط وآخر 3/911 - 913).

(108) انظر معجم قبائل العرب لرضا كحالة (دار العلم للملايين 1968 - 3/1011).

(109) إقليم قديم في إيران يقع جنوب غربي صحراء لوط بين مكران وفارس. بدأ في فتحه الربيع بن زياد، قائد أبي موسى الأشعري وأتمه ابن مسعود السلمي، بعد أن أبادت الثلوج الحملة الأولى. ذكر ابن حوقل بين مدن كرمان المشهورة : السيرجان، قاعدة البلد، وجيروفت وبم وهرموز. انظر المراجع المحال إليها أعلاه.

(110) الدقل : الصغير الضعيف. أثمر النخل الدقل : أردأ التمر.

(111) خراسان بلاد قديمة في آسيا يحدها نهر أموداريا شمالا وشرقا، وجبال هند وكوش جنوبا، ومناطق فارس غربا. وفي بعض العصور كان هذا الاسم يشمل بلاد الصغد (ما وراء النهر) بل وسجستان أيضا في الجنوب. وخراسان تتقاسمه اليوم إيران الشمالية والشرقية (نيسابور) وأفغانستان الشمالية (هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانستان السوفيتية مرو. فتح خراسان الضحاك في سنة 36هـ، وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين في سنة 131هـ الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية وأقامت الدولة العباسية، ينتسب إلى خراسان عدد كبير من الأعلام أشهرهم القائد العباسي أبو مسلم المذكور.

(112) مدينة إيرانية في خوزستان أسسها سابور الأول وأسكن فيها الشعوب اليونانية التي أسرها. فتحها أبو موسى الأشعري في سنة 17، في عهد عمر بن الخطاب، اشتهرت بمدرستها الطبية وبلغتها الآرامية. انظر التفاصيل في المراجع المحال إليها أعلاه.

فصل ـ ونذكر خصائص البلاد في الأحجار، فيقال فيروج نيسبور، وياقوت سرنديب، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وجزع ظفار، وبجاذي (أ) بلخ[113] ومرجان إفريقية[114].

فصل . نذكر خصائص البلاد في الحيوانات ذوات السموم، فيقال أفاعي سجستان،[115] وثعابين مصر، وعقاريب شهر زور[116]، وحرارات

(أ) في الأصل : بجاد انظر عن هذا الحجر الكريم Clément Mullet, Essay sur la Minéralogie arabe, Journal Asiatique. (Février Mars, 1868, p. 300-305)

(113) مدينة مهمة في التاريخ القديم وفي العصور الوسطى، وقد هبطت اليوم إلى مرتبة قرية صغيرة في أفغانستان، وصف ياقوت بلخ بأنها من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وخوارزم. معجم البلدان (1/ 279 ـ 280) وانظر وصفها بالتفصيل في المراجع المحال إليها أعلاه.

(114) أشهر المواقع التي يستخرج منها المرجان في افريقية هي مرسى الخزر في شرق الجزائر، وقد عرف شهرة عالية نوعه (أحمر) بحيث كانت بيوت مصرية تستورده ثم تعيد تصديره إلى الهند. وصف المقدسي طريقة استخراج المرجان في هذا المرسى، فقال : يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الخزر (بجانب القالة) يدخل إليها في طريق دقيق بالمهدية. من بحرها يرتفع القرن، وهو المرجان، لا معدن له غيرها (والأصح أن سبتة كانت هي أيضا تنتج المرجان ولكن بكميات أقل ودون مرجان مرسى الخزر شهرة) يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب، ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه، فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ثم يجلى في أسواق لهم ويباع جزافا رخيصا ولا إشراق له قبل جليه ولا لون. ونفس الوصف يقدمه ياقوت والإدريسي وقبلهما ابن حوقل الذي يصف أن المرجان يوجد أيضا في مدينة تنس ومدينة سبتة، ولكن ما يوجد في هاتين المدينتين قليل الجوهر حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الخزر. وفي العصور الوسطى العليا كانت تحتكر صيد المرجان بيوت تجارية فرنسية وانجليزية وإيطالية وتتولى تصديره من الشواطىء الجزائرية إلى مختلف أنحاء العالم انظر أحسن التقاسيم للمقدسي (طبعة ليدن) 1906 ص 239) معجم البلدان (5/ 106) صورة الأرض لابن حوقل (ص 76) المغرب للادريسي (ص 116) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 147 ـ 168).

(115) منطقة في آسيا الوسطى تتقاسمها حاليا إيران وأفغانستان مساحتها 7006 كلم^2 يبلغ مجموع عدد سكانها 250.000 نسمة قاعدتها نصرتاباد، موطن رستم، البطل الأسطوري الإيراني، ذكر ابن حوقل من بين مدن سجستان الهامة في عهده : زرنج وكش ونه والطاق والقرنين وخواش وبست، انظر إلى جانب المراجع المحال إليها أعلاه : Barbier de Meynard; Dictionnaire Géographique.

(116) موضع في كردستان، وهو سهل جميل خصب غربي جبال أورامان، موطن طائفة «أهل الحق»، أتباع علي الهي أن الدينونة الأخيرة سوف تتم فيه.

الأهواز، وبراغيث أرمينية[117] وفار أرزن[118] ونمل ميافرقين[119] وذباب تدفافان[120] وأوزاع[121].

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الملابس، فيقال برود اليمن، وقصب مصر، وديباج الروم، وخز السوس[122] وحرير الصين، وأكسية فارس، وحلل أصبهان، وسقلاطون[123] بغداد، وعمائم ومنير الري وملحم

(أ) في الأصل بتحريف بافارقين.

(117) منطقة جبلية في آسيا الغربية (أعلاها جبل عرارات) تتخللها سهول مرتفعة تتقاسمها في الوقت الحاضر تركيا وإيران والاتحاد السوفياتي، تمتد جنوبي القوقاز بين انجاد إيران شرقاً والأناضول غرباً، وبين بحر قزوين ومسيل الفرات الأعلى، يجتازها نهر أراس، والقسم الواقع تحت روسيا يشكل إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، وتبلغ مساحتها 29.800 كلم² ويبلغ عدد سكانها حاليا 2.790.000 نسمة وعاصمتها أريفان كانت أرمينيا التركية (الأناضول) هي التي توفر دعامة الجيش التركي (الانكشارية) أيام الاحتلال التركي للجزائر وبعض الدايات ينتمون إلى هذه المنطقة. ومجموع مناطق أرمينية كانت تشكل دولة مستقلة منذ سنة 190 ق.م. وبلغت أوج عظمتها في عهد تغران الكبير، وقد بدأت غزوات المسلمين لأرمينية منذ سنة 22 للهجرة، وفي العصر العباسي كان يتنازعها المسلمون والبيزنطيون في عهد أمرائها البغراطيين (272 ـ 472 هـ) وبعد الفتح السلجوقي لأرمينيا وانهيار الامبراطورية البيزنطية تنازعتها روسيا وتركيا وإيران. وأرمينيا الصغرى يطلق على مناطق الأناظول وقليقية التي نزح إليها عدد كبير من الأرمن ابتداء من سنة 473هـ. أثناء الحروب الصليبية هربا من السلجوقيين والمغول فأسسوا عددا من الإمارات ثم مملكة أرمينيا الصغرى بمساعدة الأفرنج قضى عليها المماليك في سنة 777هـ.

(118) مدينة قديمة في أرمينيا (تركيا) كانت تقع في منتصف الطريق بين سعرت شرقا وميافارقين غربا، أقام فيها سيف الدولة الحمداني.

(119) قاعدة ديار بكر بين الجزيرة وأرمينية تركيا، كانت تسمى في القديم مارتير ويوليس، أو مدينة الشهداء (لما جمع فيها من عظام الشهداء الفرس المسيحيين)، على أن ياقوت يقول أنها سميت بميا بنت لأنها أول من بناها وفارقين، وهو الخلاف بالفارسية، انظر إلى جانب معجم البلدان (5/235 ـ 238) المراجع المحال إليها أعلاه.

(120) كذا في الأصل، والأولى قراءة: تل فافان، كما في نهاية الأرب، وهو مكان لم تسعفني مراجعي للتعرف عليه.

(121) ذكر ياقوت أوزاع وقال إنها قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس، والاسم في الأصل اسم قبيلة من اليمن (الأوزاع) اختلف النسابون في أصلها، فقيل إنهم بطن من همذان (من القحطانية)، وقيل انهم بطن من زبد الجمهود، كما قيل إنهم بطون من حمير، وإلى هذه القبيلة ينتمي الإمام الأوزعي، انظر معجم البلدان (1/280) لسان العرب (طبعة بيروت ـ 3/919) معجم القبائل العربية لرضا كحالة (1/49). وانظر مجموع هذه الفقرة في نهاية الأرب للنويري (1/370).

(122) ذكر ياقوت عدة مدن باسم السوس من بينها البلدة التي تقع بخوزستان والتي يقع فيها قبر النبي دانيال وأما سوس المغرب فهو منطقة وليست مدينة. ومدينتها تارودانت، وأنا لا أجد ما يرجح المدينة التي يقصدها المؤلف. انظر معجم البلدان (3/280 ـ 281) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 124).

(123) فارسي معرب. اكتفى صاحب لسان العرب بالقول بأنه نوع من الثياب (طبعة الخياط ـ 2/166) سرحه دوزي في المعجم المكمل للمعاجم العربية بأنه نوع من قماش الحرير المذهب الحواشي كان يصنع في بغداد وذو شهرة واسعة. وعن طريق العربية انتقلت الكلمة إلى عدد من اللغات الهندية الأوروبية انظر، Supp aux dictionnaires arabes (I/663), dozy et le Goeje, description de l'Afrique (Glossaire, p. 316); Bretschneider, Medieval researches from eastren asiatique sources (London, 1887, I/253, 308).

مـرو[124].

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الأوبار، فيقال سنجاب[125] خرخيز (أ)[126] وسمور[127] بلغار، وثعاليب الخزر، وحواصل[128] هراة وقماقم الثغزغر[129].

فصل. ونذكر خصائص البلاد في المركوب فيقال عتاق البادية، ونجائب الحجاز، وبراذين (ب) طخارستان[130] وحمير مصر، وبغال بردعة.

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الحلو، فيقال سكر الأهواز، وعسل اصبهان، وفانيد.

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الثمار فيقال رطب العراق، وثمر كرمان، وعنب جرجان[131] واجاص سبت وسفرجل نيسابور، وتفاح الشام،

(أ) في الأصل بتحريف خرخي.

(ب) في الأصل: بتحريف براذين بالدال المهملة.

(124) مدينة إسلامية قديمة تقع الآن تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي (تركمانستان) تسمى الآن «ماري» فتحها المسلمون في سنة 31 هجرية. منها خرج أبو مسلم الخراساني، خربها المغول، وعدد سكانها الآن 57.000 نسمة. بلدة زراعية تعتمد على سد المرغاب راجع التفاصيل في المصادر المحال إليها أعلاه.

(125) حيوان أكبر من الجرذ من فصيلة السنجابيات (L'écureuil)، له ذنب طويل كثيف الشعر يرفعه صعدا، يتسلق الشجر بسرعة، ويضرب المثل في خفة الصعود تتخذ منه الفراء، انظر عن هذا الحيوان وفروه عجائب المخلوقات للقزويني (396/1).

(126) قارن آثار البلاد للقزويني (ص 583).

(127) جمع سمامير: (Martes Zibellina) من فصيلة السموريات (Mustelidae) من رتبة آكلات اللحوم، من الثدييات، له رأس مخروطي الشكل وأذنان كبيرتان، وقوائم طويلة، لونه يميل إلى السواد غالبا، ومقدمه أسود رمادي، وهو حيوان ليلي موطنه شمال آسيا، تصنع من جلوده أعلى الفراء، وشعره غزير ناعم.

(128) جمع حوصل: Pelican.

(129) وصف القزويني التغزغز بأنهم قوم من الترك بلادهم مسيرة عشرين يوما، وليس لهم بيت عبادة، يعظمون الخيل ويحسنون القيام عليها... ويلبسون القطن واللبود... ولهم ملك عظيم الشأن له خيمة على أعلى قصره من ذهب تتسع لألف إنسان. آثار البلاد (ص 82) قارن مروج الذهب للمسعودي (214/1).

(130) قارن آثار البلاد للقزويني (ص 306) صورة الأرض لابن حوقل (ص 374) معجم البلدان لياقوت (23/4) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 471) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 163 - تعليقنا رقم 176 ص 249) وكذلك مروج الذهب للمسعودي (478/5)، Stanisla Julian, Journal Asiatique (août 1836, p. 183).

(131) إقليم في فارس جنوب شرقي بحر قزوين كان يسمى قديما هيركانيا، احتل مكانة هامة في العهد الساساني، افتتحه يزيد بن المهلب في جرجان الحالية، وقد خربها الزلزال عدة مرات، وينسب إليها عدد كبير من العلماء والاعلام، وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني، صاحب كتاب أسرار البلاغة، انظر المراجع المحال إليها أعلاه.

ومشمش طوس[132] وكمثرى نهاوند[133] وأترج طبرستان ونارنج البصرة وتين حلوان وعنب بغداد، ومشمش هراة، وموز اليمن، وجوز الهند وبطيخ خوارزم، وبقلاء الكوفة.

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الرياحين فيقال نرجس جرجان، وورد جور[134] ونيلوفر شروان[135] ومنثور بغداد وزعفران قم[136] وسمر قند.

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الأمراض فيقال طواعين خيبر[137] ودماميل الجزيرة، وجنون حمص، وعرق اليمن، ووباء مصر، وبرسام العراق، والنار الفارسية، وقروح بلخ[138].

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الآثار العلوية فيقال شتاء أرمينية،

---

(132) مدينة في خراسان كانت تسمى طابران فتحها المسلمون سنة 29هـ، خربها المغول، وفيها قبر هارون الرشيد.

(133) مدينة في إيران، جنوبي همذان، فتحها جيش بقيادة النعمان بن مقرن وسقط فيها قتيلا فخلفه بن اليمان وتم النصر فيها للمسلمين في سنة 22هـ، انظر المراجع المحال إليها أعلاه.

(134) لابن حوقل (ص 245) ومعجم البلدان لياقوت (2/181) وفيه ذكر قرية من قرى أصبهان بنفس الاسم (2/182) وصبح الأعشى للقلقشندي (4/344) وآثار البلاد للقزويني (181) وفيه أنها مدينة نزهة كثيرة المياه، ولسان العرب (1/531) ومسالك الممالك للاصطخري (ص 137) وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص 325) وأحسن التقاسيم للمقدسي (طبعة ليدن 1906 ص 315) وكتاب البلدان للهمذاني (ص 204) وفيه: وبها ماء الورد الجوري ومنها يحمل إلى جميع البلدان، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 160) وفيه: وإليها ينسب ماء الورد الجوري، وهو عال كالنصيبي، ولسان العرب (1/531).

(135) ذكرها ابن سعيد وقال إنها قاعدة لبلادها (قارن كتاب الجغرافيا (ص 188) وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ص 289) وفيه أن أنوشروان هو الذي بناها وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص 396) وقد ورد الاسم فيه بالسين المهملة، ومعجم البلدان (3/339) وصبح الأعشى للقلقشندي (4/363، 364، وآثار البلاد للقزويني (ص 600).

(136) قارن آثار البلاد للقزويني (ص 442) ومعجم البلدان لياقوت (4/397) وكتاب البلدان للهمذاني (ص 209 - 211، 263 - 265) وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص 409 - 420).

(137) في كتاب البلدان للهمذاني: والناس يقولون: حمى خيبر وطواعين الشام (ص 118) وخيبر تقع على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، والاسم يطلق على المدينة والولاية، قارن معجم البلدان لياقوت (2/411) وصبح الأعشى (1/337؛ 346)، وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص 88) وآثار البلاد للقزويني (ص 92) وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 131) وكذلك Lamens (H), le Berean de l'Islam (Rome, 1914, p. 43) وهو يتحدث عن وباء خيبر الخطير والذي يخشاه العرب الرحل.

(138) قارن نهاية الأرب (1/371).

ومصيف عمان، وصواعق تهامة[139] وزلزال الديبل[140].

فصل. ونذكر خصائص البلاد في الخلق والأخلاق فيقال شقرة الروم، وسواد الزنج، وغلظ الترك، ودمامة الصين، وقصر ياجوج وماجوج، وخبل الزنوج.

وقال الجاحظ في كتاب الأمصار: السياسة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة، والتخنيث ببغداد، والغناء بالري، والجفاء بنيسابور، والحسن بهراة[141] والضرمدة بسمرقند، والمروءة ببلخ، والبخل بمرو، والعجائب بمصر.

---

(139) هي الأراضي الساحلية والغور الضيق الممتد من شبه جزيرة سينا شمالا إلى أطراف اليمن جنوبا، وفيها من المدن نجران ومكة وجدة وصنعاء يقدر عدد سكان تهامة بخمسة ملايين في الوقت الحاضر، وأهم نشاط المنطقة هي الزراعة والملاحة وصيد اللؤلؤ. انظر: صفة جزيرة العرب للهمذاني (طبعة ملر D. Muller 1884 ـ 1891 ـ ص 2، 48، 50) تقويم البلدان (ص 78) معجم البلدان (2/63 ـ 64) كتاب نخبة الدهر للدمشقي (طبعة مهرن، ليبسيك 1923 ـ ص 22، 205 وما بعدها. تاريخ اليمن لعبد الواسع بن يحيى (طبعة القاهرة 1346هـ، ص 310؛ 326؛ 331) مسالك الممالك للاصطخري (ص 15) صورة الأرض لابن حوقل (ص 19، 20، 30، 31) أحسن التقاسيم للمقدسي (ص 69) كتاب البلدان للهمذاني (ص 36 وما بعدها) المسالك والممالك لابن خرداذبه (ص 128، 133، 155) الاعلاق النفيسة لابن رستة (ص 177) معجم ما استعجم للبكري (طبعة وستنفلد، جوتنجن، 1876، 1/7، 11، 205) أخبار البلاد للقزويني (ص 73، 88، 154) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 100، 117، 238 تعليقنا رقم 105) صبح الأعشى للقلقشندي (1/337، 343، 346) وكذلك:

Niebuhr (C), Beschreibung von arabian (Copenhagen, 1772, p. 221) Jomard, Etudes géog. et historiques sur l'Arabie الفهرس.

Botta (P.E.) Relation d'un voyage dans l'Yemen (Paris 1880, p. 160 et supl.) landberg (C), Arabica, (Peiden, 1898, p. 110)

(140) Daibul ميناء ومدينة تجارية قديمة تقع على نهر السند في باكستان الغربية غير بعيد من مصب هذا النهر (مهران) افتتحها محمد بن القاسم في سنة 94هـ. وقد كانت مركزا تجاريا مهماً تتردد عليها السفن العربية دهراً طويلاً. والمدينة زالت من الوجود بعد طغيان مياه النهر عليها. أنظر: مروج الذهب للمسعودي (1/207، 378) تاريخ الطبري (1/868) تاريخ اليعقوبي (الفهرس) الكامل لابن الأثير (إعادة الطبع، بيروت 1967، 4/537 ـ 590) آثار البلاد للقزويني (ص 95) صبح الأعشى للقلقشندي (5/64) معجم البلدان لياقوت (2/495) تحقيق ما في الهند (طبعة شرينجر ـ ص 102) كتاب البلدان للهمذاني (ص 7) صورة الأرض لابن حوقل (ص 282) وكذلك Haig, the indus delto and country (London, 1894, p. 42).

(141) مدينة في شمال غربي أفغانستان يعزى بناؤها إلى الاسكندر، وصفها ياقوت بأنها مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة 607 مدينة أجل وأعظم ولا افخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها. المعجم (5/396 ـ 397) المشترك لياقوت تحقيق وستنفلد، 1845 ـ ص 439) صورة الأرض لابن حوقل (ص 366) كتاب البلدان للهمذاني (ص 262، 320، 321) الاعلاق النفيسة لابن رستة (ص 172) آثار البلاد للقزويني (ص 281، 329) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 161) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 454).

وحكي عن الحجاج أنه سأل ابن العرية عن طبائع أهل البلاد وأخلاقهم، فقال: أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها. رجالها حفاة، ونساؤها كساة عراة، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة، ولزوم الجماعة. وأهل عمان عرب استنبطوا. وأهل البحرين نبط(142) استعربوا، وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف في الرأي. وأهل فارس(143) أهل بأس شديد، وعار عتيد، وأهل العراق أبحث الناس عن صغيرة وأسبقهم لكبيرة، وأهل الجزيرة أشجع الفرسان، وأقتل للإقران، وأهل الشام أطوعهم للمخلوق، وأعصاهم للخالق، وأهل مصر عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغارا، وأجلهم كبارا.

وقال الجاحظ(144): كنا نتعلم في المكتب كما نتعلم القرآن: احذروا حماقة أهل بخارى(145)، وبخل أهل مرو، وشغب أهل نيسابور، وحسد أهل

(142) قبائل بدوية كانت لا تزال تعيش حياة الرحل حتى القرن الرابع قبل الميلاد، ثم استوطنت جنوب فلسطين، واتخذوا مدينة البتراء عاصمة لهم، وتحصنوا بها، ظهر النبط في التاريخ لأول مرة عندما صدوا هجمات القائد السلوقي، انتيغوس سنة 312 ق.م، تدل الآثار الباقية في البتراء على أن النبط قد شيدوا صرح حضارة مزدهرة، قضى عليها الامبراطور ترايانس، سنة 106 م.

(143) حدد ياقوت إقليم فارس كما يلي: أول حدوده من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند، سيراف، ومن جهة السند مكران، وهذه على وجه التقريب حدود الجمهورية الاسلامية الايرانية حاليا (28 مليون نسمة) حيث يحدها شمالا بحر قزوين، والاتحاد السوفياتي، وشرقا أفغانستان وباكستان، وجنوبا بحر عمان، وغربا العراق وتركيا. انظر: معجم البلدان لياقوت (4/226 ـ 228) صورة الأرض لابن حوقل (ص 234 وما يليها (آثار البلاد للقزويني (الفهرس) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (الطبعة الثانية ـ الفهرس) مسالك الممالك للاصطخري (ص 66 وما يليها) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ص 347) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 321) كتاب البلدان للهمذاني (ص 195 ـ 205).

(144) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان ولد في سنة 163هـ، في البصرة وتوفي فيها في سنة 255هـ، أحد كبار أئمة الأدب، وزعيم فرقة الجاحظية من المعتزلة، أصيب بالفلج في آخر عمره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، وضع عدداً كبيرا من الكتب أهمها كتاب الحيوان (أربع مجلدات) و«البخلاء» و«المحاسن والأضداد» و«التبصرة بالتجارة» و«التاج» و«الحنين إلى الأوطان» و«البلدان» وغيرها، وهي كلها كتب مطبوعة. وكذلك وضع عدد من الكتب في سيرة الجاحظ من أهمها أدب الجاحظ لحسن السندوبي، انظر أخباره في إرشاد الأديب لياقوت (1/388) أمراء البيان لمحمد كرد علي (جزآن ـ القاهرة 1355 ـ 1/487) لسان الميزان لابن حجر (طبعة حيدر أباد 1331 ـ 5/355) مجلة لغة العرب (9/26) أمالي المرتضى للشريف علي بن الحسين العلوي (4 أجزاء، طبعة القاهرة 1325 ـ 1/138)، وكذلك: Brock . 1: 185 (152) 5 . 1 : 239 .

(145) مدينة كبيرة في التركستان تقع على المجرى الأسفل لنهر زرافشان وقد ظهر اسمها في التاريخ لأول مرة في سنة 630 ميلادية. افتتحها الجيش الاسلامي بقيادة عبيد الله بن زياد في سنة 54هـ. وكانت تحكمها في ذلك الوقت امرأة تسمى خاتون، وبعد ذلك لم تلبث بخارى أن أصبحت بمساجدها ومدارسها وعلمائها وأدبائها مركزا من أعظم مراكز

هراة، وحقد أهل سجستان. ويقال إن القدماء اعتبروا أخلاق أهل البلاد، وما امتازت به بعضها عن بعض من الطبائع، فوجدوا أخصب بقاع الأرض ثمانية مواضع: أرمينية وأذربيجان[146] وماه دينور[147] وماه نهاوند[148] وكرمان واصبهان، وقومس[149] وطبرستان[150]. ووجدوا أخف بقاع الأرض ماء ثمانية

الحضارة الاسلامية. وقد أخذت المدينة الاسلامية العريقة تدخل في فلك الاستعمار الروسي في عهد الأمير مظفر الدين (1860 ـ 1885) بعدما وطد الروس مراكزهم عند المجرى الأسفل لنهر سيحون. وبعد تخلي هذا الأمير عن وادي سيحون ثم سمرقند وكته فورغانة، دخلت إمارة بخارى نهائيا تحت النفوذ الروسي أوائل هذا القرن. انظر عن بخارى الاسلامية: صورة الأرض لابن حوقل (ص 398 وما يليها) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 488) معجم البلدان (1/353) كتاب البلدان للهمذاني (321، 322، 325) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 174) مسالك الممالك للأصطخري (ص 314 ـ 316) آثار البلاد للقزويني (ص 509 وما بعدها) صبح الأعشى للقلقشندي (الفهرس) الكامل لابن الأثير (الفهرس) تاريخ بخارى لابي بكر النرشخي ترجمه وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله الطرازي (دار المعارف بمصر، 1965،) وكذلك Vambery, travels in central Asia, London 1864, Howorth, History of the Mongols (2/686-678) ومقالة بارتولد في دائرة المعارف والاسلامية مادة (بخاري).

(146) منطقة يحدها من الجنوب الشرقي الجبال (ميديا القديمة) ومن الجنوب الغربي الجزء الشرقي من الجزيرة، ومن الغرب أرمينية. ومن الشمال ولاية أران (بلاد القوقاز)، ومن الشرق اقليما موقان وجيلان، وهي الآن تشكل جزء منها إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي (عدد السكان 5.606.000 نسمة) عاصمتها باكو، بينما يشكل جزء آخر إحدى الولايات الإيرانية، والاسم ينطق في اللغة الإيرانية الحديثة: آذربايجان، انظر كتاب البلدان للهمذاني (ص 284 ـ 286) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 173 ـ 188) صورة الأرض لابن حوقل (ص 287 وما يليها) معجم البلدان (1/128 ـ 129) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص.382) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) وكذلك Le strange (G) the lands of the Eastren Caliphate (Cambridge, 1905, p. 169 - 170), Ouseley (W), Travels in various countries of the East (London, 1819-1822)

(147) تضبط: دينور و دِيْنُور، والأول أصح كانت مدينة من أهم مدن الجبل في العصور الإسلامية وهي الآن أطلال وخرائب. وقد حدد شتراوس (Th. Strauss) موقعها على الخريطة على خط طول 48° 25. شرقي جرينتش، وعلى خط عرض 34° 35. شمالا، وهي في منتصف الطريق بين كنكوار في الجنوب الشرقي، وكرمانشاه في الجنوب الغربي. وهي مدينة قديمة افتتحها المسلمون في سنة 21 هجرية، وكانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب اعمر مدينة في إقليم همذان، ولكنها شهدت ازدهارا خاصا في العهد الأموي وفي ظل الدولة العباسية، وقد قام عدد من علماء الآثار بالتنقيب في آثارها وفي مقدمتهم شتراوس المذكور، ووضعوا دراسات عامة عنها. انظر مروج الذهب للمسعودي (3/253 و 9/24، 26، 31) عجائب المخلوقات للقزويني (2/250) معجم البلدان (2/545) وفيه قائمة لاعلام العلماء والأدباء الذين ينتسبون إليها، كتاب البلدان (ص 259، 265) تقويم البلدان (ص 70، 414) آثار البلاد (ص 346) أحسن التقاسيم للمقدسي (ص 394).

(148) ضبطها ياقوت بكسر النون وفتحها. مدينة في إيران جنوبي همذان.

(149) وصفها ياقوت بأنها كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبل طبرستان، وقد ذكر ابن حوقل قصبتها، دامغان ووصفها بأنها متوسطة العمارة ويرتفع من قومس أكسية معروفة وتحمل إلى الأمصار انظر: صورة الأرض (ص 322 ـ 323) معجم البلدان (4/414 ـ 415) كتاب الجغرافيا (ص 173) وفيه ذكرت البلدة باسم قوميس كما ورد في مخطوطة باريس التي اعتمدناها للتحقيق، تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 432) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) كتاب البلدان للهمذاني (ص 309 ـ 310) صبح الأعشى للقلقشندي (4/388 ـ 389).

(150) قارن السطور الأربعة الأخيرة بما ورد في نهاية الأرب للنويري (1/295).

مواضع : دجلة والفرات وزندرود[151] أصبهان، وماسوران، وماء هفيجان وماء جنديسابور، وماء بلخ، وماء سمرقند[152].

ووجدوا بأبقاع الأرض ستة مواضع : النوبندجان وسلوان خواست، وجرجان، وحلوان وبرذعة، وزنجان[153] ووجدوا أعقل أهل البلاد أهل أصبهان والحيرة، والمدائن، ومياه دينور ونيسابور وأصطخر والري وطبرستان، ونشوى، وهي التي تسمى بقجوان[154].

ووجدوا أسرى أهل بقاع الأرض سبعة مواضع : أهل طوسفون وماه سبذان، ونهاوند، واصبهان، والري ونيسابور[155] ووجدوا أمكر أهل بقاع أهل ما سبذان، ومهرجان وخوزستان، والري، والرويان، وأذربيجان، والموصل، وأرمينية وشبهر زور، والصامغان[156].

---

(151) يتركب الاسم من كلمتين : زندة ورود ومعناه بالفارسية نهر الحياة، اي النهر مانح الحياة. وهو أحد الأنهار الرئيسية في فارس الوسطى وتقع منابعه على مسافة تسعين ميلا غربي أصفهان في إقليم عربستان (خوزستان) في زردكوه (التلال الصفراء) التي هي جزء من جبال البختياري، حيث توجد منابع نهر قارون، ويجري زندة رود في اتجاه أصفهان التي يمر قريبا منها على مسافة ثمانين ميلا في الجنوب الشرقي للمدينة، ولذلك فهو كثيرا ما يسمى اصفهان رود أيضا، ويجف مهد النهر تماما في فصل الصيف عند أصفهان، وفي الفصول الأخرى تستعمل مياهه كثيرا للري، والجغرافيون العرب يذكرونه باسم زندروذة بالدال المعجمة انظر معجم البلدان (154/3) تقويم البلدان (ص 59) وكذلك Ousley (W), travels in the various countries of the East (London, 1829, III/11-16) ; bichop, Journey in persia and Koordistan (London, 1891, I/258, 269 and II/19), Curson, Persia and the Persian question (London, 1892, II/25, 44-50, 315, 317). Le strange (G), the land of the Eastren Caliphate (Cambridge, 1905, p. 63, 267).

(152) جاء في كتاب البلدان للهمذاني ووجد أخف مياه إقليمه مياه عشرة مواضع : دجلة والفرات وماء جندي سابور وماسبذان وبلخ وسمرقند وقزوين وماء سورا (وفي بعض النسخ الخطية للكتاب كما في أصلنا وكما في النويري. وماء سوران، عين بفرماسين، وماء ذات المطامير، وماء فنجابي، قرية الثلج بماسبذان (ص 210 ـ 211).

(153) في كتاب البلدان للهمذاني : ووجد بابقاع إقليمه ستة مواضع : البدنجان وبطن ماعتر وهو شابور خواست، وجرجان والخوار بطنا بالري، وبرذعة وزنجان (ص 210) قارن نهاية الأرب (295/1) وفيه بدلا من وسلوان خواست سابور خواست.

(154) في كتاب البلدان : وأعقل أهل إقليمه سبعة مواضع : عكبرا، وقطربل وعقرقوف، والري وأصبهان وماسبذان ومهرجانقذق (ص 210).

(155) في كتاب البلدان : وأسرى فواكه اقليمه سبعة مواضع : المدائن وسابور، وأرجان، والري، ونهاوند، وماسبذان، وحلوان الجبل.

(156) في كتاب البلدان : وأمكر أهل اقليمه أحد عشر موضعا : خراسان، وأصبهان والري وهمذان وارمينية وأذربيجان وماسبذان ومهر جانقذق، وتستر، والمذار، وارتوى (ص 211).

ووجدوا أبخل أهل بقاع الأرض أهل مرو واصطخر ودار بجرد وخوزستان، وما سبذان، ودبيل، وماه دينور، وحلوان[157] ووجدوا أسفل أهل بقاع الأرض جميعا، وهم أهل البدنجان وبادرايا[158] وبهندف، وأرمينية، وقومس، وكرمان، وهراة، ومكران، وشهرزور.

فصل في المباني:

ومن المباني العظيمة سد ذي القرنين الذي بناه على ياجوج وماجوج[159] وصفته ما ذكره ابن خرداذبه أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا. وفي جانب الوادي عضادتان مبنيتان عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا، وكل ذلك مبني بلبن من حديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا، وعلى العضادتين دروند حديد طرفاه في العضادتين، طوله مائة وعشرون ذراعا، وفوق الدروند بناء بتلك اللبن من الحديد المغيبة في النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر. وفوق ذلك شرفات من حديد، في طول

(157) في كتاب البلدان: ووجد أبخل أهل إقليمه تسعة مواضع: خراسان، وأصبهان وأردبيل، وماسبذان، وبادريا، وباكسيا وأصطخر، وشيراز وفسا (ص 210) قارن نهاية الأرب (1/256) وفيه ديبل بدلا من دبيل.

(158) في كتاب البلدان: ووجد أسفل أهل إقليمه ستة مواضع: وبادرايا، وباكسايا، وبهندف، وقهقوربطنا بمسبذان، وجرود بطنا بنهاوند (ص 211).

(159) قارن عن ياجوج وماجوج إلى جانب ما ورد في القرآن (السورة 18 الآية 94 والسورة 21 الآية 96) مروج الذهب (1/267، 337 و2/308 و3/66) وتاريخ اليعقوبي (1/16، 85) ومعجم البلدان (طبعة وستنفلد (1/515) ونزهة المشتاق للادريسي (طبعة جامعة نابلي 1978، الكراسة 8/934 ـ 938) كتاب البلدان للهمذاني (ص 198 ـ 301) وقصص الأنبياء للثعلبي (طبعة القاهرة 1290هـ، ص 320 وما يليها) والأعلاق النفيسة لابن رستة (ص 83، 98، 148 وما يليها) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (ص 162 ـ 169) وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص 206) وصبح الأعشى للقلقشندي (1/371) وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 75، 76، 191، 198؛ 208) آثار البلاد للقزويني (ص 597، 598، 618، 619) نهاية الأرب للنويري (1/374 ـ 379) وكذلك: De goeje, De muur Van Gog en Magg, In versl. Med Ak., Amst., 3 d series, vol 5, p. 87 sqq, Friedlander, Die Chathirlegende und der alexanderroman, Leipzig, Berlin, 1913 (الفهرس).

Wallis Budge, the history of Alexander the grest, Cambridge, 1889; Lenormant (Fr), Gog et Magog in Revue des Sciences et des Lettres, (Louvain, 1882, p. 9 sqq).

كل شرفة قرنان ينثني كل واحد منهما إلى صاحبه، وبين العضادتين باب من حديد بمصرعين كل مصرع خمسون ذراعا في خمسة أذرع، وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعــا، وعتبـة البـاب عشرة أذرع بسط مائـة ذراع، سوى تحت العضادتين. يقال إن آلات البناء التي بني بها هذا السد، وهي مغاريف، وبقية لبن كل ذلك من حديد، وإن كل لبنة ذراع ونصف في مثل ذلك، في سمك شبر قد ألصق الصدا بعضها ببعض، وبنى قناطر سد البر من أرض شروان إلى بلاد اللآن[160]، وبينهما مائة فرسخ وصل فيه بين شعاب جبل القبق[161] وهو

(160) اسم قبيلة إيرانية وبعض الكتاب العرب مثل ابن سعيد يرسمون هذا الاسم : العلان وابن سعيد ينسب إليهم قلعة «قلعة العلان التي هي إحدى قلاع العالم، ملثمة بالسحاب، وهي حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربع وعشرون، والعرض خمس وأربعون درجة وأربعون دقيقة، ويقال ان التتر قاسوا عليها شدة ولم يأخذوها إلا بالحيل بعد مدة». وقلعة العلان تعرف عليها دو هصون (D'ohson) في حصن داربيل (Dariel) الذي يسميه الأرمن تور الانان (Tour Alanat) والذي لا تزال آثاره قائمة على الضفة اليسرى لنهر ترك (Terk) قرب مضيق - لين (باب العلان) وذكر الهمذاني أن يزيد ابن أسيد هو الذي فتح اللان في خلافة أبي العباس. ووصف الجغرافيين العرب لبلاد اللان يشوبه الغموض والقصور حيث أنه يقتصر على القول بأنها واقعة على المتحدر الشمالي لجبال القوقاز، على مقربة من الممر الذي كونه خانق دريل عند سفح جبل القبق.

ومثال ذلك ما كتبه ياقوت الذي يقتصر على القول بأنها (اللان) بلاد واسعة وأمة كثيرة «لهم بلاد متاخمة للدربند في جبال القبق، وليس هناك مدينة كبيرة مشهورة، وفيهم مسلمون، والغالب عليهم النصرانية». ومع ذلك، فنحن مدينون للادريسي الذي هو الوحيد الذي يذكر مدينة باسم اللانية ويقول أنها تبعد عن مدينة استبرية بأربعة وعشرين ميلا، «ومدينة إشكالة التي تبعد عن البحر بستة أميال. انظر نزهة المشتاق (الكراسة 8/915) معجم البلدان (1/245 - 246) كتاب البلدان للهمذاني (ص 288 - 289) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 197 وتعليقنا رقم 337، ص 259) تقويم البلدان لأبي الفدا الذي ينقل معلوماته عن ابن سعيد (ص 253) الاعلاق النفيسة لابن رستة (ص 148) الذي يقول إنه كان لديهم ملك نصراني (بينما يقول ياقوت إنه ليس لديهم ملك يرجعون إليه) مروج الذهب للمسعودي (2/43) الذي يقول أن اللان كانت قد اعتنقت النصرانية على يد رسل من بلاد الروم، فلما كانت سنة عشرين وثلاثمائة رجعوا على ما كانوا عليه من النصرانية وطردوا الاساقفة والقسوس، رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس 2/448) وكذلك مقالة برتولد في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اللان).

(161) ترد برسوم مختلفة عند الجغرافيين العرب : الفتق - القبق - القبج - القبخ - والقبق أصحها. والقبق هي سلسلة الجبال الروسية التي تمتد في مساحة 1200 كلم، بين البحر الأسود وبحر قزوين (جبال القوقاز)، وهي جبال شديدة الارتفاع، على العموم، وقلما تهبط إلى مادون 2000 متر، وتعلو قمة البروس البركانية التي يبلغ ارتفاعها 5633 مترا. وهذا الاسم قد يعمم ليشمل سلسلة الجبال التي تمتد في جنوب تبليس والتي لا تزال تسمى القوقاز الصغير.

جبل عظيم، قد اشتمل على اثنين وسبعين أمة، لكل أمة لسان وملك، لا يعرف بعضهم بعضا لكثر أشجاره، وعظم صخره وأحجاره، وتسلسل مياهه وأنهاره، يكون مسافته طولا وعرضا نحو الشهرين. ومبدأ السور من جوف الخزر على مسافة ميل مارا إلى البر ثم يمر، كما قلنا إلى أن يصل بقلعة طبرستان، بناه بالصخر والحديد والرصاص على أزقاق البقر المنفوخة. فلما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلى أن استقرت في قعر البحر، فغاصت الرجال إليها فشقتها وتمكن البناء على الأرض، وجعل بين كل ثلاثة أميال أو أقل أو أكثر، باب من حديد على حساب الطريق الذي جعل من أجله الباب، وبني عليه حصنا وأسكن فيه من يحفظ ذلك الباب ويحرسه.

ويقال في سبب بنائه لهذا السور، إن الخزر(162) كانت تعبر في سلطان فارس إلى أن تبلغ همذان والموصل وتعم البلاد بالعيث والفساد. ومن مباني العرب غمدان(163) بصنعاء.

قال الجاحظ: أحبت العرب أن تشارك الفرس في البناء وتنفرد بالشعر،

---

(162) يذكر الطبري أخبار فتح بلاد الخزر وعاصمتهم النجر والحصون التي في هذا الاقليم ضمن حوادث سنة 104 هجرية، ويضيف ابن الأثير أن مروان ابن محمد تقدم في فتوحاته في سنة 119 هـ حتى بلغ مدينة البيضاء (وهو الاسم الذي يطلقه المؤرخون العرب على الجانب الغربي لمدينة «اتيل» التي تقع عند مصب نهر الفولجا). وقد عقد ملك الخزر الصلح مع هذا الفاتح وأعلن استعداده لاعتناق الاسلام فثبته مروان على عرشه. وصف احمد بن فضلان، رسول المقتدر إلى ملك الصقالبة الخزر بأنه إقليم فصة تسمى اتل، واتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس والبلغار. والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة والاتل قطعتان: قطعة على غربي هذا النهر، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن الغربية منهما، ويسمى الملك بلسانهم يلك، ويسمى أيضا باك، راجع عن بلاد الخزر: مروج الذهب (10/2) الكامل لابن الأثير (418/8) فتوح البلدان للبلاذري طبعة دو خوية (ص 194) معجم البلدان (367/2 - 369) تقويم البلدان (ص 203، 391)، نزهة المشتاق للادريسي (الكراسة 832/7 وما يليها) آثار البلاد للقزويني (ص 584 - 585) كتاب البلدان للهمذاني (287 - 289) تاريخ الطبري (1453/2 و 328/3) وأحسن التقاسيم (ص 288) صبح الأعشى (364/4، 388، 459) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 196، 205، 251) مقالة «الخزر» في دائرة المعارف الاسلامية لبارتولد (وقد استشهد فيها بهذه الفقرة من كتاب أبي حامد الغرناطي اعتمادا على ترجمة دورن التي سبقت الاشارة إليها)، وكذلك:

Amedroz (H.F.) and Margo Liouth, the Eclipse of The Abbacid Caliphate, (Oxford, 1920, 1921 - II/203)

(163) قارن نهاية الأرب (384/1) وتقويم البلدان (ص 95) وكتاب البلدان للهمذاني (ص 245، 255، 316) وآثار البلاد للقزويني (ص 51) ومقالة «غمدان» في دائرة المعارف الإسلامية (632/2).

فبنوا غمدان، وكعبة نجران[164] وحصن مارد[165] والحصن الأبلق (أ)[166] ويزعم في بعض الأخبار أن بانيه [هو] حام بن نوح عليه السلام ويزعم آخرون أن بني واسف بنوه على اسم الزهرة.

وذكر ابن هشام أن الذي أسسه يعرب بن قحطان[167] وأكمله بعده وأجمله وائل بن حمير بن سبابن يعرب، وكانت صفته على نقل من الكتب المدونة

(أ) في الأصل: الأنبق.

(164) تقع مدينة نجران في شمال اليمن على حدود عسير. ذكرها بطليموس، وقد خربها الامبراطور غالس (251 - 253م) ويذهب البعض إلى أن خرائب مدينة الأخدود هي انقاض مدينة نجران القديمة. دخلتها النصرانية عن طريق تجارها، وقد عرفت ازدهارا خاصا في عهد بوستينانس ولجأ إليها النصارى الهاربون من الاضطهاد البيزنطي وأما كعبة نجران هذه فيقال إنها بيعة بناها في عصر الجاهلية قبل بني عبد المدان ابن الديان الحارثي على نمط بناء الكعبة مظاهاة لها وعظمها النصارى العرب، وكان لهم أساقفة معتمون، وهم الذين جاءوا إلى النبي ﷺ ودعاهم إلى المبايعة. وقيل إنه إذا جاء الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، انظر: معجم البلدان (5/266 - 271) تقويم البلدان (ص 92 - 93) كتاب البلدان (ص 28، 37، 128) آثار البلاد للقزويني (ص 126) صبح الأعشى للقلقشندي (الفهرس) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 177 - 118)، وكذلك Cassels (H) Kay, Yaman its early mediaval history (London, 1892, p. 182, 183)

(165) راجع مقالة شيلفر في دائرة المعارف الإسلامية مادة جوف السرحان (1/1057).

(166) حصن منيع للسموءل بن عادياء اليهودي سمي بالأبلق لاختلاف ألوانه يضرب به المثل لمناعته حيث كان يصد كل غارة، وتختلف الرواية في شأن من بناه، فمن قائل إن جده هو الذي بناه ومن زاعم أن الملك سليمان هو الذي شيده. وقد ذكر الأبلق في سياق الدروع التي أودعها امرؤ القيس للسموءل بن عادياء حينما قصد إلى الامبراطور يوستنيانوس الثاني ليستعين به على قتلة أبيه. ذكر أبو الفدا عند الحديث على تيماء فقال إنها حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالأبلق، وينسب إلى السموءل بن عادياء وفي هذا الحصن يقول الشاعر:

لنا جبـل يحتلـه مـن نجيرة ... منيـع يـرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره ... لـه غـرر مشهـورة وحجول

انظر عن الأبلق: الأغاني (2/45) مقامات الحريري (طبعة القاهرة (ص 278) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 87) كتاب البلدان للهمداني (ص 50، 112، 176، 245، 255) نهاية الأرب (1/385) آثار البلاد للقزويني (ص 73) معجم البلدان (1/75 - 76) وكان الأبلق خرابا في أيام ياقوت ديوان السموءل (طبعة دوسلان - المقدمة) القاموس المحيط (مادة «بلق»).

(167) يعرب بن قحطان بن عابر (لا يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته) أحد ملوك العرب في الجاهلية وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه هم العرب العاربة، وتعزو إليه الرواية غزو «الأشوريين» وبابل ومحاربة العمالقة وقيل كذلك أنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعدما غزتها لغات أمم أخرى انظر العبر لابن خلدون (طبعة بولاق - 2/47) المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا (طبعة دار المعرفة - بدون تاريخ 1/66) معجم ما استعجم للبكري (طبعة مصطفى السقاء 1949 ص 1401م التنبيه والاشراف للمسعودي (طبعة مصر 1938 - ص 70) تاج العروس (1/376).

في عجائب الدنيا مربعا اخذ اركانه مبني بالرخام الأبيض، والثاني بالرخام الأصفر، والثالث بالرخام الأخضر، والرابع بالرخام الأحمر، فيه سبعة سقوف طباقا، ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا، وجعل على كل ركن تمثال أسد من نحاس، اذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه، لها صوت كزئير الأسد.

وقال ابن الكلبي : كان كل ركن من أركان غمدان مكتوبا بالحميرية : اسلم غمدان معاديك مقتولا بسيف العدوان.

ويقال إن سليمان عليه السلام، أمر الشياطين أن يبنوا لبلقيس ثلاثة قصور غمدان وصرواح ولينون.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا يستقيم امر العرب مادام فيها غمدانها. وهذا القول هو الذي حظ عثمان، رضي الله عنه، على هدمه، وأثره تل عال مطل على البلاد، قرب الجامع.

ومن المباني التي كانت باليمن القليس(168) وهي كنيسة بناها أبرهة(169) بصنعاء وأراد أن يصرف إليها حج العرب، ونقل اليها الرخام المجزع،

---

(168) قارن نهاية الأرب (1/382 ـ 383) وآثار البلاد للقزويني (ص 52) ومعجم البلدان (4/394 ـ 396) في النص وفي اغلب الروايات أن القليس كنيسة، ولكنها في رواية ياقوت مدينة بناها أبرهة بصنعاء لم ير الناس احسن منها، ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس، ولككها بانواع الأصباغ... وسماها القليس (نفس المصدر) ولما استتم ابرهة بناء القليس بنى فيها كنيسة، وكتب إلى النجاشي، إني قد بنيت لك، أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب (نفس المصدر).

(169) أبرهة بن الصباح الحميري، لم يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، وهو غير أبرهة صاحب الفيل، تقول الرواية أنه ولي ملك اليمن بعد حسان بن عمرو وأن حكمه قد استمر 73 سنة. انظر لسان العرب (1/204 ـ 205) تاريخ الطبري (1/903 ـ 945) سيرة ابن هشام (طبعة وستنفلد ـ 1/28 ـ 41) وكذلك :
– Wustenfeld, Die chroniken der Stadt Mekka (I/88) ; Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islam (I/138 - 145) ;
مقالة بول (Buhl) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة «أبرهة»).

والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس[170] وكان منها على فرسخ، وكان أراد أن يرفع من بنائها حتى يشرف منها على عدن.

فلما أهلكه الله تعالى، وفرق ملكه. أقفر ما حول هذه الكنيسة، وكثرت حولها السباع والحيات، وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن، فتخافها الناس، ولم يستطع أحد أن يأخذ شيئا مما كان فيها من صلبان الذهب والفضة المروعة (أ) بأنواع الجواهر وأصناف الياقوت، وبقيت كذلك إلى زمان أبي العباس السفاح، فذكر له أمرها وما يتهيب من جنها، فلم يرعه ذلك، فبعث إليها من خربها وأخذ ما كان فيها.

وللفرس من المباني شادروان تستر بناه شابورذو الاكتاف[171] بالصخر وأعمدة الحديد وبلاط الرصاص: جعله سكرا يربو الماء عنده اذا وصل إليه

(أ) كذا في الأصل.

---

(170) ملكة سبأ القديمة (أنظر سورة النمل - الآيات 20 - 45) وهي بنت الهدهاد بن شرحبيل، من حمير، وليت الملك بعد أبيها وطمع فيها ذو الأذعار (عمرو بن أبرهة) صاحب قصر عمدان المذكور فزحف عليها فانهزمت، ورحلت متخفية إلى الاعقاف فأدركها رجال ذي الأذعار فاستسلمت، ثم واتتها الفرصة فاغتالت ذا الأذعار وصفا لها ملك اليمن، ثم غزت فارس وبابل وعادت إلى اليمن، واتخذت سبأ عاصمة لها. وظهر سليمان بن داود النبي في الجزيرة التي كان سكانها يعبدون الشمس وتزوجها وأقامت معه سبع سنين إلا أشهرا فماتت ودفنها بتدمر. انظر: تاريخ الخميس لحسين بن محمد الديار بكري (مجلدان طبع مصر 1283 - 1/249) نهاية الأرب للنويري (14/134) العبر (1/79) الدر المنثور لزينب فواز (طبعة القاهرة 1312 ص 96) ومقالة كارا دوفو في دائرة المعارف الاسلامية لأنه كان ينزع اكتاف الأسرى العرب ويقتلهم بالسلاح، وقد تولى الحكم خلال الفترة بين 310 - 379م، وظلت الحرب مستمرة بينه وبين روما خلال عهده الطويل. وقد تعرضت الامبراطورية الساسانية لخطر جدي نتيجة هذه الحروب، خصوصا في عهد يوليان الذي توفي في سنة 363م. وقام خلفه يوفيان، بعده بعقد الصلح مع شابور، ولكن الحرب استأنفت بعد ذلك بين الفرس والرومان حتى وفاة شابور الثاني، وقد عرف شابور الثاني، إلى جانب انهاكه في الحروب بالانشاء والتعمير. فبنى عددا من الحصون والأسوار كما جدد مدينة السوس وأطلق عليها اسم إيران، خرة شابور، انظر مروج الذهب للمسعودي (2/15 وما يليها)، تاريخ حمزة الاصفهاني (طبعة Gottwaldt ص 14 وما بعدها و27 وما بعدها) كتاب المعارف لابن قتيبة (طبعة وستنفلد، ص 321 وما بعدها) تاريخ الطبري (طبعة دو خوية 2/813 وما بعدها) كتاب الأخبار الطوال للدينوري طبعة Kowsky ص 44 وما بعدها) وكذلك:
Malcolm (J), History of Persia (1829 - 1/69, sqq.) Noldeke : (Th) Geschichte der Perser und Araber Zur Zeit der sasaniden Leiden 1879 (الفهرس).

(171) هو الرسم العربي لشابور الفارسي، والمقصود بشابور دي الأكتاف، شابور الثاني بن هرمزد، وقد لقبه العرب بذي الأكتاف.

من بين دجيل حتى يطفو عليه ويدخل المدينة لأنها مرتفعة على الأرض. وطول هذا الشادروان ميل.

وقصر بهرام جور، قرب همدان، وهو مبني بالحجارة المهندسة لا تتبين فصولها، حتى يتوهم من رآه انه حجر واحد، على كل ركن منه صورة جارية قد برزت من نفس الحجارة.

وقصر اللصوص بقرميس[172] وهو ذو أبواب شاهقة وأسطوانات محكمة من الحجارة السود التي لا يعمل الحديد فيها شيئا. والفرس تزعم أنه لا أساطين مثل هذه الأساطين ولم ير أحسن ولا أعجب من أساطين هذا القصر.

ومن مباني الروم قنطرة سنجه[173] وهي على نهر عظيم يسمى بهذا الاسم، لا يتهيأ خوضة لأن قراره رمل سائل، كلما وطأه انسان برجله سال، وهو ما بين حصن منصور وكيسوم من دياربكر وهذه القنطرة طاق واحد ما بين جدرانها مائتا خطوة، حجارتها مهندسة يكون طول الحجر منها عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع.

ومن المباني القدم التي بمصر حائط العجوز[174] وهي دلوكا[175] احد ملوك مصر. وهذا الحائط من العريش الى أسوان، شاملا أعمال مصر من الجانب الشرقي، وتزعم القبط في سبب بنائها له، أن الله تعالى لما أغرق فرعون وقومه، خافت دلوكا على مصر أن تطمع الملوك فيها، فبنته وزوجت النساء من

---

(172) ورد: قرميسين عند أبي الفدا وياقوت والبكري والقزويني وقرماسين عند الهمذاني وهو تعريب كرمانشاه التي تقع قرب الدينور على مسافة ثلاثين فرسخا من همدان انظر تفاصيل هذا القصر في معجم البلدان (4/330 ـ 331) وفيه نسب ياقوت إلى هذه المدينة عددا من العلماء والأعلام، كتاب البلدان للهمذاني (ص 192 ـ 209 ـ 217) معجم ما استعجم للبكري (ص 1067) آثار البلاد للقزويني (ص 433) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 412 ـ 413).

(173) نهر كبير يجري بين حصن منصور وكسيوم، وهما من ديار مضر، قيل أنه لا يتهيا خوضه لأن قراره رمل سيال كلما وطئه الانسان برجله سال به فغرقه وصف ياقوت هذه القنطرة بأنها عظيمة واحدى عجائب الدنيا. وهي طاق واحد من الشط إلى الشط وهو متخذ من حجر مهندم، طول الحجر منه عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع. قارن معجم البلدان (3/264 ـ 265) ونهاية الأرب (1/383) وقد وردت فيه بالصاد (صنجة) وآثار البلاد للقزويني (ص 271).

(174) قارن نهاية الأرب (1/392 ـ 393).

(175) قارن نهاية الأرب (1/393) وصبح الأعشى (3/294).

العبيد حتى تكثر الذرية. ويقال أيضا في سبب بنائه انها ولدت ولدا فأخذت الرصد لمولده، فرأت التمساح يقتله، فبنت هذا الحائط وقاية له من التمساح. فلما شب الغلام رآى في مولده ما تحرز عليه منه، فأحب أن يراه فصور له من خشب. فلما رآه هاله منظره، واستولى عليه الوهم [والفزع] فمات.

ومن بناء مصر أيضا الأهرام التي بأعمال مصر، وهي أهرام كثيرة، وأعظمها الهرمان اللذان بجهة مصر بقرب النيل يقال إن بانيهما سويد[176] بن سهلف بن شريا، قبل الطوفان. ويقال إن هرمس[177] المثلث بالحكمة، وهو الذي يسميه العبرانيون أخنخ، وهو إدريس عليه السلام[178].

استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وأن يدع فيها الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدثور. ويقال ان بانيها جعل لها ابوابا على إزاج مبنية بالحجارة في الأرض، طول كل إزج عشرون ذراعا وكل باب من حجر وحديد يدور بلولب، اذا أطبق لم يعلم انه باب، فازج الشرقي في ناحية الجنوب، وازج الغربي في ناحية المغرب، يدخل من كل باب منها الى سبعة بيوت، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفولة باقفال، وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوف، وفي جهته كتابه بالمسند، اذا قرئت انفتح فوه فتجد فيه مفتاح ذلك القفل، فيفتح به. والقبط تزعم أن بالهرم الصغير الملون قبورا. والهرم الشرقي فيه سوريد الملك، والهرم الغربي فيه أخوه، هرجيب، وبالهرم الملون افروهر بن هرجيب[179].

والصابئة[180] تزعم أن هذه القبور احدهما (أ) قبر غاثمور وهو عند

(أ) كذا في الأصل وهو يتفق مع رسم النويري والقلقشندي.

(176) ورد اسمه في نهاية الأرب (1/388) سوريد بن سهلوق بن سارناف وفي صبح الأعشى للقلقشندي (3/408): سوير بن سهلوق ولعله أن يكون من تحريف النساخ.

(177) قارن نهاية الأرب (1/389) وصبح الأعشى (1/461 و5/380).

(178) قارن نهاية الأرب (1/388).

(179) قارن صبح الأعشى (3/408).

(180) انظر عن الصابئة مقالة كارا دونو في دائرة المعارف الإسلامية (مادة صابئة) والمراجع التي احال إليها.

شيث، والآخر قبر هرمس، واليه تنسب الصابئة على قول من يزعم ذلك، وهم يحجون اليها ويذبحون عندها الديكة ويزعمون انهم يعرفون عند اضطرابها حالة الذابح وما يريدون من علمه من الأمور المغيبة.

ورأى هذه الأهرام بعض العقلاء فقال : كل بناء يخاف عليه من الدهر إلا هذا، فإني أخاف على الدهر منه. ونظم هذا المعنى الفقيه عمارة اليمني[181] في قوله :

[طويل]

فليس يخاف الدهر عنه وكلما — على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
خليلي ما تحت السماوات بنية — تماثل في إتقانها هرمي مصر
تنزه بطرف في بديع بنائها — ولم يتنزه في المراد بها فكر

وقال أبو الطيب المتنبي يذكرهما في معارض الاعتبار :

[الكامل]

أين لذي الهرمان من بنائه — ما قومه ما يومه ما المصرع
تخلفت الآثار عن أصحابه — حينا ويدركها الفناء فتتبع

وقال أمية بن عبد العزيز[182]، رضي الله عنه (أ) :

(أ) كذا في الأصل : وفي نهاية الأرب أمية بن عبد العزيز الأندلسي.

(181) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد مؤرخ وشاعر فقيه من أهل اليمن (توفي في سنة 569هـ، اي أنه كان معاصراً لأبي حامد، وقد عاش أربع سنوات بعد مؤلفنا) سار إلى مصر برسالة من القاسم بن هشام، امير مكة إلى الفائز الفاطمي (سنة 550هـ) فأحسن الفاطميون وفادته وبالغوا في إكرامه والحفاوة به. فأقام عندهم ومدحهم، ولم يزل مواليا لهم حتى زالت دولتهم، وملك صلاح الدين الديار المصرية، فرثاهم، وحبك مؤامرة مع سبعة من الأعيان للفتك بصلاح الدين فاكتشف أمرهم وقبض عليهم وصلبوا جميعا في القاهرة، انظر سيرته في صبح الأعشى (3/532) كشف الظنون (رقم 1777) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل (طبعة القاهرة 1953 ـ 1957 ـ 1/212 ـ 216) وفيات الأعيان (طبعة إحسان عباس ـ في مختلف المواضع وخصوصا : 3/431 ـ 436) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (طبع حيدر أباد 1370 ـ ص 277 ـ 302) عبر الذهبي (4/208) شذرات الذهب (طبع بيروت 4/234) النجوم الزاهرة لابن تغريبردي (طبع دار الكتب المصرية 1348 ـ 6/7) :

(182) أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني، ابو الصلت، اديب من اهل دانية، ولد فيها في سنة 460 هجرية ورحل إلى

[طويل]

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا ... على طول ما عاينت من هرمي مصر
أنافا بأعنان (أ) السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك (ب) على النسر
وقد وفيا نشرا من الأرض عاليا ... كأنهما ثديان قاما على صدر

وقال آخر فيهما أيضا هذه الأشعار :

[كامل]

أنظر الهرمين إذ برزا ... للعين في علو وفي صعد
وكأنما الأرض العريضة إذ ... ضمئت لفرط الحر والومد
حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الاله لفرقة الولد
فأجابها بالنيل (ب) يوسعها ... ريا ويشفيها من الكمد

ومن الرسالة لضياء الدين بن الأثير[183] يصفها : ولقد شاهدت منها بلدا يشهد لفضلها على البلاد ووجدته، وهو المصر، وما عداه، وهو السواد، فما رآه رائي إلا ملأ عينه وصدره، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدر قدره. وبه من عجائب الدنيا والآثار، ما لا تصفه العين، فضلا عن الأخبار. من ذلك الهرمين الذي هرم الدهر، وهما لا يهرمان، فقد اختص كل منهما بعظم البناء، وسعة الفناء، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على ظهر سرطان من

(أ) في الأصل : بعنان صححت اعتماداً على نص نهاية الأرب، وكلمة عنان لا يستقيم معها الوزن.
(ب) كذا في الأصل : وفي نهاية الأرب : على الحق إشراق السماك أو النسر.
(ج) كذا في الأصل : وفي نهاية الأرب : لبيك.

مصر حيث أقام عشرين عاما سجن خلالها ثم نفاه الأفضل شاهنشاه منها ثم انتقل إلى المهدية فمدح تميم بن المعز الصنهاجي وعلي بن يحيى فالحسن بن يحيى آخر الملوك الزيريين. له عدة كتب بعضها طبع. انظر ترجمته في معجم الأدباء (52/7) المغرب لابن سعيد (256/1) نفح الطيب للمقري (طبعة إحسان عباس 105/2) عيون الأطباء لابن أبي أصيبعة (52/2) وفيات الأعيان لابن خلكان (243/1 - 247).

(183) يجب أن نتذكر أن ضياء الدين الأثير ولد في 558 هجرية، أي أن سنه لم تكن تتجاوز 6 أو 7 سنوات عند وفاة أبي حامد (سنة 565) وبالتالي فإن الإحالة إلى رسالته في تحفة الألباب التي وضعت في سنة 533هـ (انظر أسفله) أمر لا يمكن تفسيره إلا على اعتباره من حشو النساخ المتاخرين، وإنه لمن المؤسف أن تكون هذه الأوراق ناقصة في النسخة الأصلية التي اعتمدناها في التحقيق والتي قلنا أنها كتبت في حياة المؤلف.

نحاس، وفيها ثلاثمائة بيت تصعد الدابة بحملها في سائر البيوت من داخلها. وللبيوت طاقات يبصر منها إلى البحر. وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها، فزعم قوم أنها من بناء الاسكندر بن فليبس (أ) المقدوني، وزعم آخرون أنها من بناء دلوكا، ملكة مصر.

ويقال إنه كان على جانبها الشرقي كتابة وأنها نقلت فوجد فيها : بنيت هذه المنظرة قرينا ابنة مدليوس اليونانية لرصد الكواكب، ويقال إن طولها ألف ذراع، وكان في أعلاها تماثيل من نحاس، منها تمثال قد أشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك، يدور معها حيثما دارت. ومنها تمثال وجهه إلى البحر، متى صار العدو على نحو من ليلة سمع له صوت هائل يعلم به أهل البلاد والمدينة طروق العدو، ومنها تمثال كلما مر من الليل ساعة صوت صوتا هائلا مطربا. ويقال إنه كان بأعلاها مرآة ترى منها القسطنطينية وبينهما عرض البحر، فكلما جهز الروم جيشا رؤي فيها[184].

وحكى المسعودي أن هذه المنارة[185] كانت في وسط الاسكندرية وأنها تعد من بنيان العالم العجيب، بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان، بعد الاسكندر، لما كان بينهم وبين الروم [من] الحروب في البر والبحر، فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا في أعلاها مرآة من الأحجار المشفة، يشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها، فاحتال ملك الروم لما انتفع المسلمون مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد

(أ) في الأصل ابن قليبس بالقاف.

(184) مروج الذهب (2/431 ـ 433) وكذلك نهاية الأرب (1/392).

(185) انظر عن منارة الاسكندرية كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 148 وتعليقنا رقم 159 ص 247) وقارن نهاية الأرب (1/395) وكتاب البلدان للهمذاني (ص 72 ـ 73) وتقويم البلدان (ص 112 ـ 113) وآثار البلاد للقزويني (ص 143 وما بعدها). وقد استشهد القزويني بأبي حامد بشأن مجلس سليمان الذي بنته له الجن (انظر الملحق) وبعد ما أورد قصة أبي حامد عن الشخص الذي أرسله ملك الروم لتخريب المنارة أضاف قائلا : «والمنارة في زماننا حصن عال على جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بينها وبين البحر نحو شوط فرس ولا طريق إليها إلا في البحر المالح. وهي مربعة ولها درج واسعة يصعد إليها الفارس بفرسه الخ (ص 146).

خواصه، ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام، على أنه راغب في الاسلام، فوصل إلى الوليد، وأظهر الاسلام، وأخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام مما حمله على أن صدقه، ثم قال لهم : إن تحت هذه المنارة من الأموال والدخائر والأسلحة، كفنها الاسكندر، فجهز جماعة من ثقاته إلى الاسكندرية، فهدم ثلث المنارة، وأزال المرآة، ثم فطن الناس أنها مكيدة واستشعر ذلك فيما بينهم، فهرب في مركب كانت موعودة إليه. ثم بنى ما هدم بالجص والآجر والنورة. وطول هذه المنارة في الوقت الذي وضعت فيه هذا الكتاب، وهو سنه ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، مئتان وثلاثون ذراعا، وكان طولها قديما نحو من أربعمائة ذراع. وكان أحمد بن طيلون (أ) قد بنى في أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا في أيام الملك الكامل، صاحب مصر[186] ثم...

وكاد أن ينقض فهدم وأصلح وذلك في أيام الملك الظاهر، ركن الدين أبي برس[187] الوجيه، وأنشد الدورى يصفها :

[طويل]

وسامية الأرجاء [تهدي أخا السرى] (ب) ضياء إذا ما حندس الليل أظلما
لبست لها بردا من الأنس ضافيا فكان بتذكار الأحبة معلما
وقد ضللتني من ذراها بقية ألاحظ فيها من صحابي أنجما
فخلت (ج) أن البحر تحتي غمامة وأني قد خيمت في كبد السما

(أ) كذا في الأصل، والمقصود أحمد بن طولون (220 ـ 270هـ) صاحب الديار المصرية والشامية والثغور.

(ب) سقط ما بين القوسين المربعين : كملت الجزء الأخير من صدر البيت اعتمادا على نهاية الأرب.

(ج) كذا في نهاية الأرب، وفي الأصل : فخايلت.

---

(186) محمد بن محمد (العادل) بن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين أحد سلاطين مصر. ولد بمصر في سنة 576 وتوفي سنة 635، وهذه التواريخ تدلنا على أن هذه الفقرة محشوة حيث أن الملك الكامل الذي يعزو إليه المؤلف هذه الأعمال قد ولد بعد وفاته بأحد عشر عاما.

(187) ركن الدين بيبرس العلائي البند قدارى الصالحي صاحب الفتوحات والآثار المعروفة. ولد الملك الظاهر بأرض القبجاق في سنة 625 هجرية، وتوفي بدمشق في سنة 676 هجرية. وهذه التواريخ تدلنا على أن هذه الجملة من حشو المتاخرين حيث أن بيبرس الذي يعزى إليه هذا الاصلاح قد ولد بعد وفاة المؤلف بستين سنة.

وكان بالاسكندرية الملعب الذي يسمى واق الاسكندرية (أ) أين كان الحكماء يجتمعون فيه فلا يرى أحد منهم شيئا[188].

حديث منارة الاسكندرية التي بناها ذو القرنين (عليه السلام)[*] :

كان علوها أكثر من ثلاثمائة ذراع [مبنية] بالصخر المنحوت، مرتفعة الأسفل، وفوق المنارة المربعة، منارة مثمنة مبنية بالآجر. وفوق المنارة المثمنة منارة مدورة، وكانت كلها مبنية بالصخر المنحوت، كل صخرة أكثر من مائتي من، وكان عليها مرآة من الحديد الصيني، عرضها سبعة أذرع. كانوا يرون فيها جميع من يخرج في البحر من جميع بلاد الروم. فإن كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من الاسكندرية، فإذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة [في] مقابلة الشمس، واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع المرآة بضوء الشمس على السفن، فتحترق وهي في البحر ويهلك كل من فيها. وكانوا يؤدون الخراج ليامنوا بذلك من إحراق تلك المرآة لسفنهم.

فلما استفتح عمرو بن العاص الاسكندرية احتالت الروم بأن بعثوا جماعة بن القسيسين المستعربة [أظهروا أنهم مسلمون] (ب) وأخرجوا كتابا زعموا أن ذخائر ذي القرنين في جوف المنارة، فصدقهم العرب لقلة معرفتهم بحيل الروم وعدم معرفتهم منفعة (ج) تلك المرآة والمنارة، وظنوا أنهم إذا أخذوا الذخائر والأموال، أعادوا المنارة والمرآة كما كانت، فهدموا مقدار ثلثي المنارة، فلم يجدوا فيها شيئا، وهرب أولئك القسيسون، فعلموا حينئذ أنها خديعة، فبنوها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الأحجار.

(أ) كذا في الأصل.

(ب) سقط ما بين القوسين المربعين في الأصل.

(جـ) في الأصل بتحريف : مضية.

---

(188) هنا تنتهي القطعة التي انفردت بها النسخة عن الأصل وعن بقية النسخ التي اعتمدنا عليها. وهذه الزيادة تقع بين أواخر الورقة 12 وأواخر الورقة 20، والآن نعود إلى الاعتماد على الأصل مع اعتبار (و) دائما النسخة الثانية بعد الأصل.

(*) كذا..

فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت، فصدئت المرآة ولم يروا فيها كما كانوا يرون، وبطل إحراقها، فندموا على ما فعلوا وفاتهم بجهالتهم منفعة عظيمة.

والنصف الأسفل الذي من عمل ذي القرنين يدخل الانسان من الباب إلى المنارة، وهو مرتفع من الأرض مقدار عشرين ذراعا، يصعد إليه على قناطر مبنية بالصخر المنحوت، على هذه الصورة التي أصورها. فإذا دخل في باب المنارة يجد على يمينه بابا آخر، فيدخل منه إلى مجلس كبير مقداره عشرون ذراعا مربعا، يدخل فيه الضوء من جانبي المنارة، على ما أصوره، إن شاء الله تعالى، ويجد فيه بابا آخر يفضي إلى طريق عن يمين الطريق، وعن شماله بيوتا كثيرة، كل بيت يدخل فيه الضوء من خارج المنارة، ثم يجد بيتا كبيرا كالأول، وطريقا مثل الأول، فيه بيوت كثيرة مفضية (ب) إلى مجلس رابع مثل الذي قبله. له باب واحد فيحتاج أن يرجع حتى يخرج من الباب الأول. وكثير من الجهال يضلون فيه ويهلكون لقلة معرفتهم بذلك الترتيب. وقد دخلتها مرات كثيرة في سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

فإذا خرج الانسان يعود إلى طريق الصعود، فيمشي في درج المنارة صاعدا، فإذا دار حول الفحل مرتين، وجد أيضا بيتا مثل الأول، وبيوتا صغارا، وفي كل ركن بيتا كبيرا، كما ذكرته قبل هذا، وهي من عجائب الدنيا، وهذه صورتها وصورة المطلع إلى بابها(189).

(190) وكما ذكرت قد عملت الجن لسليمان عليه السلام، في الاسكندرية مجلسا من أعمدة الرخام الأحمر الملون بأنواع الألوان الصافي كالجزع اليماني المصقول كالمرآة، إذا نظر الانسان فيها يرى من يمشي خلفه لصفائها. وعدد الأعمدة ثلاثمائة أو نحوها، كل عمود ثلاثون ذراعا على قاعدة من رخام [و] على رأسه قاعدة أخرى من رخام في غاية الاحكام.

---

(189) هنا في الأصل رسم لمنارة الاسكندرية لم تتمكن العدسة مع الأسف من إبرازه بوضوح.

(190) نشر هذه الفقرة سلفاستر دوساسي ضمن نص رحلة عبد اللطيف في مصر والنوبة وترجمها إلى الفرنسية. أنظر:
Abd-Allatif. Relation de voyage etc. (Paris 1810, p. 233)
وكذلك نقلها عن أبي حامد القزويني في كتاب عجائب المخلوقات (طبعة وستنفلد ـ 2/27).

وفي وسط ذلك المجلس عمود من رخام طوله مائة ذراع وأحد عشر ذراعا ملونا كسائر الأعمدة، وكان قد قطعت الجن سقف ذلك البيت الذي هو مجلس سليمان من حجر واحد أخضر مربع. فلما بلغهم موت سليمان عليه السلام، ألقوه على جانب النيل في آخر ولاية مصر.

ومن جملة تلك الأعمدة التي في مجلس سليمان عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها، يشاهد حراكها الناس، ولا يدرون ما سبب حركته، وكذلك في قسطنطينية أيضا [توجد] منارة من الصخر على أربعة أعمدة من الرخام، تتحرك أيضا شرقا وغربا، يشاهد حركتها الناس، ترتفع قاعدتها من جانب إلى جانب آخر، فيدخل الناس أنواع الآجر والخزف والحجارة تحت القاعدة، فإذا مالت عليه سحقته، فيدخل فيه الناس ذلك كل يوم، ولا يدري ما سببه إلا الله تعالى في حكمة عجيبة.

وفي مصر بموضع يقال له عين شمس(191) منارة مربعة علوها مقدار مائة ذراع من الرخام المجزع الصافي، قطعة واحدة محددة الرأس، على هذه الصورة على قاعدة من الرخام، كالبيت، وعلى رأسه غشاء من صفر كالذهب حسنا فيه صورة إنسان على كرسي مستقبل مشرق الشمس، ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يجري على ذلك الحجر إلى أن ينتهي مقدار عشرة أذرع في رؤية العين وقد نبت من ذلك الماء على ذلك الحجر شيء أخضر كالطحلب يراه الناس ولا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا، صيفا وشتاء، وقد رأيته مرات وأهل

---

(191) نقل سلفستر دوساسي هذه الفقرة وأوردها مع ترجمة لها في المصدر المذكور (ص 227). قارن خطط المقريزي (طبعة فيت Viet - 4/99) وعين شمس مدينة قديمة في مصر (محافظة القاهرة) فيها جامعة كان الفراعنة يسمونها «أون» واليونان «هيليوبوليس» وأهم آثارها إحدى المسلتين اللتين أقامها الفرعون سنوسرت، وتعرف بمسلة عين شمس. وعند عين شمس هزم عمرو بن العاص الجيش البيزنطي في سنة 40 هجرية. انظر: تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 118) آثار البلاد للقزويني (ص 224، 225) الذي يذكرها باسم عين الشمس، نهاية الأرب للنويري (1/393) صبح الأعشى (2/19 و3/283، 381، 411 و5/19) معجم ما استعجم (ص 987، 809) معجم البلدان (4/187 - 188) وكذلك:

Masparo et Viet, Materiaux pour servir à la géographie de l'Egypte (1ère série, TXXXVI des Mémoires publies par les membres de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, (Le Caire, 1919, p. 131, 132, 175, 177, 179, 183, 184) والمراجع المحال إليها فيه.

مصر يقولون ما زلنا نرى هذا الماء صيفا وشتاء لا ينقطع أبدا، ولا يصل منه شيء إلى الأرض، وهي من العجائب.

وفي الجانب الغربي من مصر بنيان يعرف بالأهرام، مربع الجملة مثلث الوجه، على هذه الصورة وعددها ثمانية عشر هرما.

وفي مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة أهرام، أكبر هذه الثلاثة دوره الفي ذراع، في كل وجه خمس مائة ذراع، وقد ذهب المامون إلى مصر ليشاهدها وفتح منها هرما واحدا[192] ألينها حجارة. وكل حجارة من حجارتها ثلاثون ذراعا في غلظ عشرة أذرع، قد أحكم إلصاقه ونحته وتسويته ما لا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على إحكامه.

ومنها عند مدينة فرعون يوسف عليه السلام أهرام أكبر وأعظم، كل واحد منها دوره ثلاثة آلاف ذراع، وعلوه سبعمائة ذراع[193] من حجارة لا يصنع الحديد فيها شيئا لقوتها، كل حجر خمسون.

وعند مدينة فرعون موسى عليه السلام، أهرام أخر أكبر وأعظم مما قبله، وآخرها هرم يعرف بهرم هيدوم كأنه قطعة جبل، وهو خمس طبقات، الطبقة الفوقانية كأنها قلعة على هذه الصورة.

والهرم الذي فتحه المأمون غلظ حائط الهرم الذي فتح فيه الباب أحد عشر حجرا، كل حجر عرضه عشرون ذراعا، وقد دخلت في ذلك الهرم، وفي داخله قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى، كبيرة في وسطها بئر عمقها مقدار عشرة أذرع، وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من الوجوه تربيع البئر بابا يفضي إلى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكفان كثيرة، أكثر من مائة ثوب على كل واحد منهم قد اخترقت من طول الزمان واسودت. وأولئك الموتى أجسادهم مثلنا، ليسوا طوالا. يقال إنهم وضعوا هناك في زمن إدريس عليه

(192) ذكر المسعودي هذه الحادثة (مروج الذهب 2/405) ولكنه لم يذكر المامون إسمه بل اكتفى بالقول بأن (بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها) انظر كذلك رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس - 1/82 - 83).

(193) انظر عن دور الاهرامات وارتفاعها، مروج الذهب، (2/404) نهاية الأرب للنويري (1/388).

السلام، صيانة لأجسادهم عن الطوفان الذي كان بعدهم في زمان نوح عليه السلام، ولم يسقط من أجسادهم ولا من شعورهم شيء، وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض، أو في شعره شيب البتة. وهم أجساد كثيرة جدا.

وأجسادهم قوية جدا لا يقدر الانسان أن يزيل منهم عضوا من أعضائهم، ولكنهم قد خفوا حتى صاروا كالغثاء خفة لطول الزمان.

وخاصية أرض مصر أن الموتى لا يبلون تحت الأرض من أي حيوان كان. وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى. وفي تلك البئر في كل وجه من تربيعة البئر، يدخل إلى دار من تلك الدور، وفيها من الخفاش مالا عدد له. وإنما يدخل الانسان إلى تلك الدار بالمشاعل والنفط والحشيش اليابس يشدونه حزما كالشمع ويشعلون فيه النار لأجل الخفاش، لأنهم إذا دخلوا بالشمع والسرج أطفأتها الخفافيش بأجنحتها لكثرتها يلقون أنفسهم على النار ليطفئوها.

وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال. ولقد وجدت يوما ثيابا كثيرة ملفوفة حزمة مقدار أكثر من مائة ذراع. وقد اخترقت تلك الثياب من كثرة من السنين، فأزلت تلك الثياب المخترقة إلى أن ظهر تحتها خرق صحاح قوية بيض من الكتان، أمثال العصائب، فيها أعلام من الحرير الأحمر، وفي داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه ولا جسده شيء، كأنه مات الآن.

وفي القبة التي في الهرم باب يفضي إلى علو الهرم، كأنه سيب الرحى الذي ينصب فيه الماء على الرحى، عال لا يرى أعلاه، وليس فيه دوح، وعرضه خمسة أشبار أو نحوها، يقال إنه صعد فيه في زمان المامون، فأفضوا إلى قبة صغيرة، ووجدوا فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج، فأخرجوا تلك الصورة إلى المامون، فوجدوها مطبقة كالدواة، ففتحوها فوجدوا في ذلك جسد آدمي عليه ذرع من ذهب، مزين بأنواع الجوهر، وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة، يضيء كلهب النار،

فأخذه المامون وقال، هذا خير من خراج الدنيا ألف سنة وقد رأيت ذلك الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار السلطان الذي كان بها في زمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وفي أعلى مصر مدينة يقال لها أخميم[194] وأخميم أخو الملك مصر بن القبط (أ) ابن حام، بنى مدينة تعرف به وتسمى باسم الملك اخميم، وهي من عجائب الدنيا مبنية بالصخر المنحوت، لها أربعة أبواب، من أي بابها خرج وجد بيتا مثله له أربعة أبواب (ب) يخرج من بيت إلى بيت آلاف من البيوت مظلمة لا تدخلها الشمس ولا القمر، ولا يرى فيها موضع يدخل منه ضوء إلا من الباب الذي دخل منه حتى يخرج إلى المدينة، وإنما يدخلها الناس مع أقوام من أهل تلك الناحية الذين يعرفون كيف يخرجون منها لكثرة ما دخلوا فيها. ويدخلون ومعهم المشاعل والسرج والنار، ويصعدون في مواضع في حيطانها درجات فيصلون إلى بيوت أخرى كالغرف فوق هذه البيوت، وعلى صورها وقدرها وعرضها وطولها ولا يسكنها أحد ولا يدري لأي شيء بنيت، والله أعلم.

ورأيت في قصر فرعون [موسى] بيتا كبيرا من صخرة واحدة خضراء كالآس فيها صورة الأفلاك والنجوم ما لم أشاهد عجبا أحسن منه[195].

(أ) كذا في الأصل وفي (ح) و(م). في (ب): النقط بدون تنقيط في (و): القحيط.

(ب) كذا في بقية النسخ، وفي الأصل: لها أربعة أبواب يدخل الانسان من بابها فيجد بيتا كبيرا مربعا مبنيا من الصخر وله أربعة أبواب إلخ.

---

(194) مدينة في مصر على الشاطىء الشرقي للنيل (محافظة سوهاج) فيها آثار بانو بوليس الاغريقية، اشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكثيرة، وكانت بعد الفتح العربي منطقة منفصلة، أصبحت منذ عهد الفاطميين إلى عصر المالك قاعدة لاقليم الأخميمية ينتسب إليها ذو النون المصري، وقد اشتهرت بصناعة القصب ومنسوجات الصوف وغيرها من الفنون البدوية كما اشتهرت بكونها منطقة سياحية لآثارها. انظر تقويم البلدان (ص 110) معجم ما استعجم (ص 125) آثار البلاد للقزويني (ص 139) نهاية الأرب (1/394) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 130) صبح الأعشى (الفهرس) معجم البلدان (1/123 ـ 124) رحلة ابن جبير (طبعة دوخوية، ص 60 وما يليها) رحلة ابن بطوطة (1/103 وما يليها) خطط المقريزي (1/239) وكذلك: ; Qualremètre, Mémoire sur l'Egypte (I/448)
Amélineau, Geographie de l'Egypte (I/18), Maspero et G Viet, O.P.C.T. p. 6 - 7

(195) قارن خطط المقريزي (3/29).

وفي مصر وغيرها من أنواع البنيان وعجائب الآثار مالا يمكن إحصاؤه، وإنما أذكر يسيرا من كثير.

وفي الشام حصن بعلبك على أعمدة من الصخر، كل عمود كقطعة جبل، وعليها قلعة مبنية بحجارة مربعة، الحجر مائة ذراع وأكثر وأقل، قد رفعت في الهواء مما صنعه الجن لسليمان عليه السلام.

وفي مدينة تدمر(196) من عجائب البنيان أمر عجيب كثير وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا، فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والمخازن والماء الجاري في كل طريق من طرقها. حدثني بذلك جماعة من أهلها ممن دخلوها وشاهدوها.

وعند حوران(197) مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما تعجز عن صفته السن العقلاء، كل دار مبنية من الصخر المنحوت، وليس في الدار خشبة واحدة. أبوابها وسقوفها وغرفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطاع أن يعمل من الخشب على إحكامها. في كل دار بئر منفردة ورحى.

---

(196) أو عروس الصحراء (Palmura) مدينة في قلب الصحراء السورية (5000 نسمة) كانت تقع على طريق القوافل بين آسيا وموانىء البحر الأبيض المتوسط، استوطنتها قبائل عربية انشأت دولة بلغت اوج عظمتها في أوائل التاريخ الميلادي وعرفت ازدهارا خاصا في عهد الملكة زنوبيا التي أسرها الامبراطور أورليانس (سنة 272م) فتحها خالد بن الوليد في سنة 12 هجرية. كانت حضارتها مزيجا من عناصر يونانية ورومانية وشرقية. انظر تاريخ الطبري (طبعة دوخوية ـ 1 / 753 ـ 766) الكامل لابن الأثير (طبعة طورنبرج ـ 1 / 166) فتوح البلدان للبلاذري (طبعة دو خوية ـ ص 13) المسالك والممالك للاصطخري (ص 13) أحسن التقاسيم للمقدسي (طبعة المكتبة الجغرافية العربية ـ ص 156، 186) كتاب البلدان للهمذاني في (ص 110، 342) تقويم البلدان (ص 73، 88) آثار البلاد للقزويني (ص 169) معجم ما استعجم (ص 306، 307، 629، 1199) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 152، 155، مسالك الممالك لابن خرداذبة (طبعة ليدن) معجم البلدان (طبعة وستنفلد ـ 1 / 828) صبح الأعشى (الفهرس) وكذلك : Wright (W), an Account of Palmyra and Zenobia (1895) Asher (ترجمة ونشر, Gaudefroy – Demombynes, the Etenerary of Benjamin of Tudela (1843)

(197) هضبة ترتفع جنوبي دمشق أطلق عليها الرومان اسم «أورانتيس»، تربتها بركانية خصبة، اشتهرت بزراعة القمح في العصور القديمة، دخلت في جند دمشق بعد الفتح العربي (سنة 13 هـ) وحوران الآن محافظة في سورية لها قضاءان : أذرع ونيق. انظر تقويم البلدان (ص 253) صبح الأعشى (الفهرس) كتاب البلدان للهمذاني (ص 105) آثار البلاد للقزويني (ص 185، 260) معجم ما استعجم للبكري (ص 474 ـ 643) معجم البلدان (2/317 ـ 318) وكذلك : Gaudefroy - Demombyne, La Syrie (P. 69 note 3).

وكل دار منفردة لا تلاصقها دار أخرى، كل دار كالقلعة الحصينة، إذا خاف أهل تلك الرساتيق من الافرنج دخلوا فيها، كل إنسان بدار بجميع عماله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف باب الدار حجارة (أ) لا يقدر أحد أن يفتح ذلك الباب لاحكامه، وهو من الصخر أقوى من الرخام. فيها أكثر من مائتي ألف دار، فيما يقال. وقد سمعت ذلك من جماعة من أهل حوران لا يدري من بناها، وتسميها العرب اللجاة لأنهم يلتجئون إليها عند الخوف.

وفي أرض بغداد تل مبني باللبن والقصب يعرف بتل عقرقوف[198]. وعرقوف ملك كبير من ولد سام بن نوح، عليه السلام من أولاد أولاده. وقد أودع في ذلك التل من أنواع العجائب والكنوز مالا يحصى. وقد صح ذلك بطريق النقل المستفيض. وقد قصده عدة ملوك فارس ولم يتعرضوا إليه بهدم ولا يقدرون على هدمه، وكل من قصده ليهدمه يصرف الله تعالى عزيمته عن هدمه، ويهوله عليه، بحيث لا يلتفت إليه. وهذا لاينبغي أن ينكر. ولكل مال صاحب لا يأخذه غيره. وقد أصابني مثل هذا.

كان لنا في المغرب قرية فيها دور وبساتين، وكان فيها قراح على قارعة الطريق بقرب الدار التي كنا نسكنها زمان الربيع والصيف والخريف. وكان في القراح قطعة بيضاء بقدر خمسة أذرع في ذراعين كأنها جص، كنا نسميها الكنز، وذلك اسم شائع لذلك القراح منذ [أن] ملكه المسلمون. كنا نقول: هذا

(أ) كذا في الأصل وفي (م). في (و): حصاة.

(198) في معجم البلدان (4/137 ـ 138) أن هذا الاسم مركب من عقر واضيف إليه قوف، وذلك مثل حضر موت، وبعلبك وهي قرية قديمة من قرى بغداد، يرتفع إلى جانبها تل عظيم من تراب ويرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة، قارن عجائب المخلوقات (2/284) وآثار البلاد للقزويني (ص 425) ومعجم ما استعجم للبكري (ص 591، 951)، وعقرقوف هذا هو الذي عناه أبو نواس بقوله:

[طويل]

إليك رمت بالقوم هوج كأنما ... جماجمها تحت الرحال قبور
رَحَلْن بنا من عقرقوف وقد بدا ... مفتوق الأديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتها ... مع الشمس في عيني أباغ تغور

قراح الكنز. فلما كان قبل الخمسمائة عام جاءت الثلوج في تلك الشتوية كثيرة جدا، فقالوا إنه نزلت هناك قافلة بالليل واحتفروا ذلك الموضع، فوجدوا صندوقا من رخام طوله خمسة أذرع في عرض ذراعين، عليه لوح رخام ففتحوه وأخذوا ما كان فيه. ولما كان زمان الربيع ظهرت تلك الحفريات لما ذابت الثلوج فبقينا في حسرة، ولا يشك في أنه كان فيه مال، والله أعلم. ولكن لكل دفين صاحب لا يأخذه سواه.

ومن عجائب البنيان إيوان كسرى(199) مبني بالآجر والجبص عرضه ستة وثلاثون خطوة، وطوله أربع وستون خطوة، وعلو ازجه سبعون ذراعا. وإلى أعلى الشرفات مائة وخمسون ذراعا. وقد انشق أعلاه عرضا وسقطت منه أربع عشرة شرافة يوم ولد النبي ﷺ (أ).

ودخلت [مدينة] أبهر(200) سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ونزلت عند القاضي الإمام أبي اليسر عطاء بن نبهان (ب) وكان من أصحاب الشيخ الامام أبي إسحاق الشيرازي (ج)، وكان، رحمه الله عالما فاضلا صالحا كريماً، فتذاكرنا يوما عجائب الدنيا، فقال:

(أ) في (و) زيادة: رضي الله عن أصحابه الكرام والمهاجرين والأنصار.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: أبي السرى بن عطاء بن إسحاق الشيرازي.

(ج) كذا في الأصل وفي (و) و(م). سقطت الجملة الأخيرة في بقية النسخ.

---

(199) إيوان (جمع: إيوانات وأواوين) كلمة معربة عن الفارسية ومعناها عند الفرس: قاعة الإستقبال في عهد الملوك الساسانيين وهذه القاعة عبارة عن بهو كبير مربع تحيط به الجدران من ثلاث جهات فقط، وأما الجهة الرابعة فكانت مفتوحة لا جدار لها. وبقايا إيوان كسرى (قصر طيفسون) باقية في بقعة مقفرة جنوبي بغداد، أنظر وصف إيوان كسرى في دائرة المعارف الاسلامية (1/291) مروج الذهب للمسعودي (2/186) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 303) صبح الأعشى (الفهرس) معجم البلدان (1/294 ـ 297) كتاب البلدان للهمداني (ص 212 ـ 213) نهاية الأرب (1/380) الاعلاق النفيسة لابن رستة (ص 83)

(200) مدينة بأرض الجبال، كثيرة المياه والأشجار، بناها سابور ذي الأكتاف، فيما يقول القزويني قارن آثار البلاد (ص 287، 288) ومروج الذهب (2/6، 8، 19) وكتاب البلدان (ص 279 ـ 284) وتقويم البلدان (ص 418) معجم ما استعجم (ص 102) وكذلك: Barbier de Meynard, Dictionnaire géographique (p. 11-12).

في أرضنا عجب لم يشاهد مثله، عندنا قلعة تسمى أروشان (أ)، فيها جبل يقال له «كوه رستم» (ب) فيه غار يسمى «غار رستم» (ج)، وفي أعلا الغار ثقب كفم كوز إذا دخل الانسان إلى الغار يجد في ذلك الثقب حزمة من قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يدري من أي خشب هي مشدودة بخيط لا يدري من أي شيء هو. وإذا حلت تلك العقدة لا يقدر أحد أن يعقد مثلها. وإذا أخذ الانسان تلك الحزمة وخرج بها من الغار، سقطت حزمة أخرى. وإن أخذها ألف مرة وأخرجها من الغار، سقطت غيرها.

فقلت ليس الخبر كالمعاينة. فلما رأيت ذلك العجب، قلت: ناولني أنت هذه الحزمة واكتب لي بخطك هذه الحكاية والمناولة ففعل، رحمة الله عليه. وعندي خطه، ومازال كل من سمع ورآى القضبان من كبار الأئمة يأخذ منها قضيبا، حتى بقي عندي واحد فقسمته بيني وبين من كنت احتشمه، وأخذ الخيط أيضا وكان القاضي أبو اليسر (د) يقول هذه من كرامات الصوفية، لأن هذه القضبان لا تصلح إلا للقوالين في السماع، وفي كل خانقة من أبهر ونواحيها من تلك القضبان كثير، وهي من عجائب الدنيا (هـ)، وذلك الغار في جبل عال كله صخرة واحدة لا يجد الانسان سبيلا أن يصل إلى أعلى ذلك الغار، ولا يدري مما حفر، وظني أنه من عمل الجن بأمر سليمان عليه السلام.

ورأيت في أردبيل[201] حجرا في الميدان أسود له طنين كالفولاذ وله محك

(أ) كذا في الأصل وفي (و)، (ب) و(ج): أو شان، في (م): أورشان.

(ب) كذا في الأصل وفي (و)، في (ب): كورة رستم، في (م): كورستم.

(ج) سقطت في الأصل كلمة: غاررستم.

(د) أعيد ذكر اسمه في جميع النسخ.

(هـ) في الأصل وفي (م): في السماع وفي كل جماعات كثيرة وهي من عجائب الدنيا الخ.

(201) أردبيل أرتفيت (Artavet) بالأرمينية تقع في اقصى بلاد أذربيجان شرقا، على مسيرة 40 كيلومتراً من بحر الخزر ومن الحدود الروسية، طولها 5 ,.48' وعرضها 38' شمالا. تقع على هضبة يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر 1520 مترا، وتحيط بها الجبال من جميع الجهات، وفي غربي المدينة بركان خامد يسميه الجغرافيون العرب «السبلان» (السولان). وجوها شديد البرد ولكنه صحي. ويذكر ياقوت أن الملك فيروز الساساني (457 ـ 484م) هو الذي بناها، انظر كتاب البلدان للهمداني (ص 209 ـ 210) معجم البلدان (1/145 ـ 146) صبح الأعشى (3/245، 356، 364، 406) معجم ما استعجم (ص 137، 720) آثار البلاد للقزويني (ص 291) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 72، 398) وكذلك:

كمحك القلعي الرصاص، وهو على صورة كلية البقر، فيه أكثر من مائتي مَنٍّ، وخاصيته إذا عدم المطر جعلوه على عجلة وأدخلوه مدينة أردبيل، فينزل المطر ويدوم، حتى يخرج ذلك الحجر إلى الميدان. فإذا خرج سكن المطر، وهو من عجائب الدنيا والله أعلم.

وفي بلاد دربند[202] باب الأبواب أمة يقال لهم الطبرسلان[203] فيهم أربعة وعشرون ألف رستاق (أ) في كل رستاق سرهنك[204] كبير، كالأمير، وهم مسلمون، اسلموا في زمان مسلمة بن عبد الملك[205]، لما بعثه هشام بن عبد الملك، حين ولي الخلافة، ففتح باب الأبواب، فأسلمت على يده أمم كثيرة،

(أ) كذا في جميع النسخ ما عدا (م) وفيه 25000 رستقاً.

Jaubert (A). voyage en Arminie : et en Perse (Paris, 1821, p. 166) Fraser (J.B.) Travels in the Pers. prov. on the south bank of the caspian sea (London, 1826, p. 292, sqq).

(202) ويسميها العرب أيضا «الباب» و«باب الأبواب» مدينة بإقليم داغستان الروسي على الساحل الغربي لبحر قزوين فتحها المسلمون منذ سنة 22 هجرية، ولكن مسلمة بن عبد الملك هو الذي وطد حكم المسلمين فيها حيث أسكن أربعة وعشرين ألفا من جنده الشاميين في هذه المنطقة. وقد بنيت حول المدينة أسوار وتحصينات كانت تحميها من هجمات العدو ومن هيجان البحر على السواء والكتب التي تتناول دربند في العصور العربية وبعدها وقبلها لا تكاد تحصى، ولكننا نختار من المراجع التالية : تقويم البلدان (ص 60، 71، 309، 404) كتاب البلدان للهمذاني (ص 286، 288، 291، 293) صبح الأعشى (الفهرس) صورة الأرض لابن حوقل (ص 291 ـ 292) معجم البلدان (1/302 ـ 306) كتاب الجغرافيا لابن سعيد الطبعة الثانية ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الفهرس) آثار البلاد للقزويني (ص 578، 595، 596) «معجم ما استعجم (ص 276) تاريخ الطبري (1/2928، 2/1562) فتوح البلدان للبلاذري (ص 207) أحسن التقاسيم للمقدسي (ص 367) المسالك والممالك للاصطخري (ص 148) الكامل لابن الأثير (12/252 وما بعدها) وانظر كذلك المقالة القيمة التي كتبها بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى مادة دربند) والتي استشهد فيها بهذا النص لأبي حامد الغرناطي، معتمدا على الفصل الذي ترجمه دورن التحفة، وتقدمت الإشارة إليه، وكذلك قائمة المراجع الأجنبية، ولا سيما الروسية التي أوردها في آخر المقال.

(203) كذا في مختلف النسخ، أورد الهمذاني هذا الاسم برسم طبران، وهو أيضا الشكل الذي اعتمده الاصطخري وأما ابن خرداذبة فقد ذكر هذا المكان باسم طبرسرانشاه.

(204) أنظر Mélanges asiatiques (4/699)

(205) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير قائد الجيوش كان من أبطال عصره، وقد وجهه أخوه، سليمان على رأس جيش تعداد مائة مقاتل لغزو القسطنطينية في سنة 96هـ، ثم ولاه أخوه يزيد امرة العراق، ولاه بعدها على ارمينية حيث لعب دورا مهما في تثبيت دعائم الاسلام، كما سبقت الاشارة، ولا سيما في منطقة دربند. قال عنه الذهبي إنه كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. انظر سيرته في دول الاسلام للذهبي (1/62) نهاية الأرب للقلقشندي (ص 339) مختصر تاريخ الدول لابن العبري (طبعة المطبعة الكاثوليكية ببيروت 1958 ص 114، 115)، رغبة الأمل (شرح كتاب الكامل للمبرد ـ للمرصفي ـ طبعة القاهرة، 1346 ـ 5/16-64، 118).

منهم أيضا اللكزان والفيلان والخيذاق (أ) والزقلان (ب) والغميق والدرهاه.

وفيهم في تلك الجبال سبعون أمة لكل أمة لسان. فلما أراد مسلمة الرجوع بعدما أسكن في دربند أربعة وعشرين ألف بيت من العرب، من الموصل ودمشق وحمص وتدمر وحلب وسائر بلاد الشام والجزيرة، قال له الطبرسلان : أيها الأمير، إنا نخاف إذا انصرفت عنا أن ترتد هذه الأمم ونشقى في مجاورتها.

فأخرج مسلمة سيف نفسه، فقال : سيفي بينكم، اتركوه هاهنا، فما دام بينكم لا يرتد من هذه الأمم أحد. فعملوا لسيفه كالمحراب من الصخر وأقاموه في داخله على تل حيث كان نازلا، وهو الآن باق في تلك الأرض يزوره الناس، من قصد إليه إن كان في الشتاء لم يمنع من لبس الثياب الزرق وغيرها. وإن كان في وقت الحصاد يمنع أن يزوره أحد إلا بثوب أبيض. فإن زاره بغير ثوب أبيض، جاء المطر الكثير، فيهلك الزرع وتفسد الفواكه، وهذا أمر مستفيض عندهم.

وبالقرب من دربند جبل عظيم في أسفله قريتان فيهما أمة يقال لها زرية كازان (ج) يعني صناع الدروع، يتخذون الآلات جميعها للحروب، من الدروع والجواشن والخوذ والسيوف والرماح والقسي والنشاب والخناجر، وأنواع آلات النحاس، جميع نسائهم وأولادهم وبناتهم وعبيدهم وإمائهم، يتخذون

(أ) في (ب) الحدان بدون نقط : في (م) : الخيذاف. في (و) : الحيذاف.

(ب) في (ب) الرفلان بدون نقط. وفي (م) : الرقلان.

(جـ) في الأصل : زرية كاران. في (ب) : زربة كاران. في (و) : زردية كان في (م) : ذرية كاران. هذه الفقرة ترجمها Barbier de Meynard, وأوردها في معجمه Dictionnaire géographique historique et littéraire de la Perse et des Contrées adjacentes (Paris, 1861, p. 69, note 1) وهو ينسب تحفة أبي حامد غلطا إلى المقري.

يتخذون هذه النصائع كلها، وليس لهم حرث ولا بساتين، وهم أكثر الناس خيرا ومالا، يقصدهم الناس بجميع النعم من جميع الآفاق، وليس لهم دين ولا يعطون جزية. وإذا مات لهم ميت، إن كان رجلا سلموه لرجال في بيوت تحت الأرض يقطعون أعضاء الميت، وينقون عظامه من اللحم والمخ، ويجمعون لحمه فيطعمونه للغربان السود، ويقفون بالقسي يمنعون غيرهم من الطيران، يأكلون من لحمه شيئا، وإن كانت امرأة سلموها إلى رجال آخرين يخرجون عظامها ويطعمون لحمها للحدأة ويقفون بالنشاب يمنعون غيرها أن يدنو من لحمها. وقد قلت للأمير أسفهسلار عبد الملك بن أبي بكر في دربند: كيف تكون هذه الأمة؟ لا يسلمون ولا يدفعون جزية ولا خراجا.

فقال: هم حسرة الملوك، وقد أمرني الأمير سيف الدين محمد بن خليفة السلمي، صاحب دربند، رحمه الله، وكنت رأيته وأكرمني، جازاه الله خيرا.

قال: فخرجت فجمعت أمما من الأتراك وغيرهم، وخرج الأمير في أهل دربند وجاءت الأمم من البلاد والجبال من اللكزان والفيلان وغيرهم، فكنا في عسكر كالبحر، وقصدنا تلك القريتين، وليس لهم حصن ولا قلعة، فأغلقوا أبوابهم، فأنا أول من دخل القرية الواحدة، فخرج من تحت الأرض جماعة رجال ليس عليهم سلاح، فوقفوا وأشاروا بأيديهم إلى الجبال وتكلموا بكلام لم أفهمه، ثم غالوا تحت الأرض، فأصابنا من الريح البارد والثلج العظيم بحيث لا نبصر شيئا، وكأن السماء سقطت علينا ثلجا وبردا، فانصرفنا، ولا ندري أين نذهب، لا أنا ولا غيري، وقتل بعضنا بعضا بصدم الفرس القوي للفرس الضعيف، فيقع هو وراكبه فيمشي العسكر عليه فيهلكه هو وفرسه، قال فضربني من لا أعرف بنشابه في منكبي الأيسر، فخرجت من تحت إبطي، فكدت أن أهلك، وتماسكت حتى بعدنا منهم فراسخ وانكشف عنا ذلك الثلج والبرد، وفقدنا من العسكر خلقا كثيرا، فأخرجت النشابة من منكبي، وبقيت منها مريضا أربعة أشهر، ولم نقدر أن نأخذ منهم رغيفا واحدا، ولا قاتلنا منهم أحدا، وما ذاك إلا سحر من أولئك الرجال الذين يخرجون عظام الموتى

ويجعلونها في البيوت، ويجعلون عظامهم أيضا في أكياس الأغنياء والسادات [و] أكياسهم من الديباج المذهب أو الرومي، والعبيد والإماء في الخام وشبهها من الثياب ويعلقونها في البيت ويكتبون على كل كيس اسم صاحبه، وهذا عجب عظيم (أ).

وفي قرب خوارزم(206) جبل عليه قلاع كثيرة وله رساتيق، وهو جبل عظيم طويل يمتد في بلاد الكفار إلى أن يصل إلى بلخشان(207) وبالقرب من خوارزم في ذلك الجبل شعب، فيه تل كبير على ذلك التل قبة كبيرة لها أربعة أبواب ازاج كبار فيها من لبنات الذهب الأحمر منضدة بعضها فوق بعض مالا يعد ولا يحصى ملء الأرض، ذلك الموضع الذي هو كالقبة على ذلك الجبل، يكون علو الذهب في رؤية العين أكثر من خمسة أذرع، وحول ذلك التل الذي عليه الذهب، ماء راكد كدر لا مادة له إلا من المطر والثلج، تظهر (ب) أرضه غثاء (ج) لا يقدر أحد أن يعبره [و] إن دخله أحد اختلط وغاص ولم يمكن أن

(أ) الفقرة التي تبدأ من دربند حتى هنا، نشر دورن ترجمة فرنسية لها في (303 ـ 698 VI/ Mélanges Asiatiques) كما نشر العالم الروسي برتولد (Berthold) نفس النص معتمدا على المخطوطة المحفوظة في بيتر سبورج في مجلة سنة 1900 ـ (01010 ـ 104 /III) iapiski Vostoc تحت عنوان «معلومات جديدة عن أصحاب العظام في سمرقند».

(ب) كذا في الأصل وفي بقية النسخ يظهر.

(جـ) كذا في بقية النسخ وفي (و) و(م) غشاء.

---

(206) انظر عن خوارزم: عجائب المخلوقات للقزويني (2/353 ـ 354) الذي نقل هذه الفقرة من تحفة أبي حامد كتاب البلدان للهمذاني (ص 237، 246، 297، 321، 324). تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 61، 477 المخطوط) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) كتاب الجغرافيا لابن سعيد الطبعة الثانية ـ الفهرس)، معجم ما استعجم (ص 515) صبح الأعشى (الفهرس) صورة الأرض لابن حوقل (ص 395) وقد عرف خوارزم بأنه اقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جهة، وحده متصل بحد الغزية، مما يلي الشمال والغرب وجنوبه وشرقه خراسان، وما وراء النهر وهي ناحية عريضة ومدن كثيرة، وهي آخر جيحون، وليس بعدها عمارة حتى يقع ماء النهر في البحيرة (بحيرة أرال Aralskoie Mare عند الروس) معجم البلدان (2/394 ـ 398) وانظر عن بحيرة خوارزم أو بحر آرال المذكور مقالة بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية مادة خوارزم.

(207) الاسم الشائع لهذه المنطقة هو بذخشان كما عند الهمذاني (ص 322) وعند أبي الفدا (ص 61، 471، 474 المخطوط) وهو ينقل عن ابن حوقل أنه اسم للإقليم والمدينة معا. ولبذخشان رساتيق كثيرة، ويرتفع من بذخشان اللازورد.

يخرج منه أبدا، وإن القي فيه زورق غاص في ذلك الماء، وأي شيء القي في ذلك الماء ذهب، ولا يقدر أحد على إخراجه.

وقد جاء إليه محمود صاحب غزنة،(208) وقام عليه ثلاث سنين، لم يترك أحدا من أهل الرساتيق وأهل خوارزم وجميع عسكره إلا حملوا إليه التراب والخشب والقصب والحجارة والزواريق فغاص الجميع في ذلك الماء ولم يؤثر فانصرف عنه آيسا وهذا من عجائب الدنيا.

وقد عبرت من بلد سخسين (أ)(209) بأرض الخزر والترك إلى خوارزم ثلاث مرات، ورأيت ذلك الموضع، وهو من عجائب الدنيا.

وقد أقام علاء الدولة خوارزم شاه أربعين سنة يحتال في أمره بكل حيلة، فلم يستطع له حيلة. وقد حدثني بعض علماء خوارزم بها.

قال: جاء رجل من رستاق خوارزم فدخل سوق الجوهر، فأخرج قطعة زمرد فائق ما رآى أحد مثلها، فأخذه الجوهريون وحملوه إلى خوارزم شاه، وقالوا يا مولانا، هذا الرستاقي جاءنا بهذه القطعة التي ما حسبنا أن في الدنيا مثلها، فسأله خوارزم شاه، بعد ما أنسه وأمنه وأحسن إليه وخلع عليه وطيب قلبه، فقال له:

(أ) ورد بتحريف في الأصل سجستان، وفي (و) سجسين.

---

(208) محمود بن سبكتكين الغزنوي السلطان يمين الدولة، فاتح الهند واحد كبار ملوك الاسلام كان سلطانه يمتد من أقاصي الهند إلى نيسابور. ولد في غزنة (أفغانستان) التي تقع بين خراسان والهند، في سنة 361هـ. واستولى على الإمارة في سنة 389هـ، وأرسل له القادر العباسي خلعة السلطنة، نزحف على خراسان وأخذها من الساسانيين، ثم واصل غزواته وافتتح بلادا واسعة حتى وافته المنية في غزنة بعد مرض عسير، في سنة 421هـ. انظر أخباره في الكامل لابن الأثير (139/9) العبر (362/4) البداية والنهاية (27/2) الجواهر المضيئة (158/2) وفيات الأعيان (175/5 - 182).

(209) ذكرها القزويني في آثار البلاد (ص 527) باسم سخسين أيضا. وأما الاسم الشائع بين الجغرافيين العرب فهو سقسين. ذكرها ابن سعيد ووصفها بالمدينة المشهورة وحدد موقعها حيث الطول سبع وستون درجة، والعرض ثلاثة وخمسون درجة. ومعلومات ابن سعيد هي التي نقلها أبو الفدا وأضاف أنها في كتاب الأطوال: سقس، بحذف الياء، وسقسين حسب المعطيات الحديثة تقع على نهر الدنيبر (Dnieper) على خط طول 67 شرقا، وخط عرض 53، شمالا (ويلاحظ أن هذا بالضبط هو الموقع الذي حدده لها ابن سعيد في القرن الثالث عشر) انظر كتاب الجغرافيا (ص 204 - 206) تقويم البلدان (ص 205 المخطوط) وانظر مقالة سقسين في دائرة المعارف الاسلامية (مادة سقسين).

ـ أين وجدت هذه القطعة ؟ فقال :

ـ ذهبت لأنظر مكان (أ) ذلك الذهب، فرأيت بالقرب منه قبة خضراء مبنية بحجارة مثل هذه القطعة، عالية كبيرة، فدخلت فيها، فرأيت قبرا عظيما عليه ضريح مبني بحجارة وألواح مثل هذه القطعة (ب)، وعلى الضريح قصاع (ج) كبار وأواني عظام من جنس هذه القطعة (د) لم أقدر أن أحمل منها واحدة لثقلها (هـ) ولم أجد منها أخف من هذه فأخذتها وجئت بها، ولا أدري ما هي، وقد علمت على أبواب القبة بعلامات، وجمعت عند كل باب تلا (و) من الحجارة.

فقـام خوارزم شاه وركب في خواصه (ز) وأصحابه، وحملوا الرستاقي معهم (ح) فوصلوا إلى الموضع، فرأوا العلامات كما قال، ولم يروا القبة.

فقال خوارزم شاه، هذه من أعمال الجن يحفظ الله بهم هذه الأموال حتى يأتي من قدرها الله عز وجل له، وهذه أيضا من عجائب الدنيا، وكم في هذه الدنيا من عجب أعجب وأعظم (ط) مما ذكرناه لم نصل إليه ولم نسمع به. وقد ذكرنا ما فيه الكفاية لذوي الألباب والحمد لله على نعمه وإحسانه وفضله وامتنانه.

(أ) كذا في الأصل وفي (و) (م) في بقية النسخ موضع.

(ب) سقطت كلمة القطعة في الأصل وفي (و) و(م).

(ج) وردت في الأصل وفي (و) و(م) بتحريف قطاع.

(د) سقطت كلمة القطعة في الأصل وفي (و) و(م).

(هـ) في (م) أو انقلها.

(و) كذا في الأصل وفي (و) و(م) وفي بقية النسخ ثلاثا.

(ز) في الأصل وفي (و) ركب هو وخواصه.

(ح) سقطت كلمة معهم في الأصل وفي (و).

(ط) كذا في الأصل وفي (و) و(ب) في بقية النسخ سقطت كلمة أعظم.

الباب الثالث

في صفة البحار وعجائب حيواناتها
وما يخرج منها من العنبر والقار
وما في جزائرها من أنواع النفط والنار

إعلم أن البحر المحيط الـذي أحاط بالدنيا والأرض في وسط البحر كالكرة في غدير ماء، وهو البحر الأسود (أ) الذي يعرف ببحر الظلمات، لا تدخله السفن، وبحر الهند خليج منه (ب) وبحر الروم[210] خليج، وبحر اللاذقية[211] خليج منه وبحر القلزم[212] خليج منه، وبحر فارس[213] خليج منـه يمتـد بعضـه إلى البصرة [و] إلى عبدان[214] وسيراف[215] وكرمان[216] والبحـرين[217] وجـزيرة قيس[218] والـديبـل (ج)[219] إلى بلاد الحبشـة إلى الزنج[220] وإلى سرنديب[221] والصوليان[222] (د).

(أ) كذا في الأصل وفي (ر) سقطت كلمة الأسود في بقية النسخ. والبحر الأسود هنا لا صلة له بالبحر الأسود المعروف بهذا الاسم حاليا.

(ب) سقطت الجملة التالية في الأصل.

(ج) سقطت كلمة الديبيل في (ر).

(د) في (ر) الصريات.

(210) البحر الأبيض المتوسط.

(211) الحوض الشرقي منه.

(212) البحر الأحمر.

(213) الخليج العربي الفارسي.

(214) مدينة في غربي إيران على الخليج، عدد سكانها 600 273 نسمة. مركز لتكرير النفط الإيراني وميناء لتصديره.

(215) بلدة في إيران على الخليج اشتهرت بحرارة مناخها وبتجارة اللؤلؤ والتوابل في العصور القديمة، خرب مدينتها الزلزال في سنة 367هـ.

(216) مدينة وإقليم في إيران يمتد في جنوب غربي صحراء لوط بين مكران وفارس شرع في فتحه أبو موسى الأشعري وأتمه ابن مسعود السلمي. وقاعدة الاقليم مركز تجاري ويبلغ عدد سكانها 62.000 نسمة.

(217) أكبر جزر دولة البحرين طولها 48 كلم، وعرضها بين 13 و16 كلم أشهر مدنها: المنامة، عالي، مدينة عيسى الرفاع الغربي الرفاع الشرقي العوالي.

(218) جزيرة فارسية في الخليج 120 كلم^2 اشتهرت في القديم بخصبها وأشجارها ومصايد اللؤلؤ فيها. تحدث عنها الجغرافيون العرب كثيرا.

(219) مرفأ قديم يقع على ساحل الهند الغربي، في جنوب مدينة بومباي.

(220) يطلق العرب اسم بحر الزنج على فرع المحيط الهندي المقابل لشواطىء إفريقيا الشرقية (تنزانيا).

(221) انظر الهامش المشير إليه.

(222) هي الجزر التي تحمل على الخرائط الحديثة اسم Coles du coromandel.

وكل هذه البحار التي ذكرتها وما لم أذكرها، إنما أصلها من البحر الأسود الذي يقال له البحر المحيط.

وأما بحر الخزر(223) وبحر خوارزم(224) وبحر أخلاط وبحر أرمية(225) والبحر الذي عنده مدينة النحاس(226) وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الأسود، ولذلك [فهي] ليس فيها جزر ولا مد، وإنما هي ماء له مادة من الأنهار الكبار. وأكبرها بحر الخزر. فأما البحر الأسود الذي يخرج منه بحر الروم(227) وبينهما مجمع البحرين(228) الذي عرضه ثلاثة فراسخ، وطوله عشرون فرسخا، والله أعلم. وفيه الجزر والمد من طلوع الشمس يعلو البحر الأسود، وينصب في بحر الروم من مجمع البحرين، حتى يفيض في بحر الروم ويخرج على جوانب البحر حتى يصل المد إلى خلف القسطنطينية، مسيرة شهور في ساعة واحدة حتى إلى وقت الظهر (أ) فإذا استوت الشمس في كبد السماء، غاص (ب) البحر الأسود فعاد ينصب الماء من البحر الأخضر(229) الذي هو بحر الروم في البحر الأسود إلى وقت مغيب

(أ) هنا تنتهي القطعة التي سقطت في الأصل، وهي عبارة عن ورقة (وجه وظهر).

(ب) في (م) غَاض.

---

(223) La mer Caspienne بحر داخلي بين الشواطىء الأوروبية والشواطىء الأسيوية ذو شكل مستطيل تمتد على ضفافه شواطىء إيران وروسيا. ويبلغ مستواه 28 متر فوق الصفر البحري. محيطه 430.000 كلم² وعلى الرغم مما ينصب فيه من مياه نهر الفولجا فإن مستوى مياهه في تناقص مستمر.

(224) La mer D'Aral عبارة عن بحيرة روسية كبيرة ملحة المياه يمتد مقابل شواطىء كزاكستان وأوزباكستان، ويبلغ دوره 67 000 كلم². ينصب فيه نهر سري داريا وأموداريا، ومع ضخامة موارد النهرين، فإن مستوى مياهه في انخفاض مستمر بسبب حدة التبخر.

(225) بحيرة Urmia.

(226) بحيرة تشاد، انظر على هذا التعرف Les cents et une nuit (Op. cit. p. 242 - 243).

(227) أي بحر الظلمات كما يسمي كثير من الجغرافيين العرب المحيط الأطلسي الذي يخرج منه بحر الروم، أي البحر الأبيض.

(228) مضيق جبل طارق الذي يتراوح عرضه بين 12 و20 كيلو متر.

(229) هذه هي المرة الأولى فيما أعرف، التي يطلق فيها أحد الجغرافيين العرب اسم البحر الأخضر على البحر الأبيض المتوسط.

الشمس فيستوى البحران ثم يعلو البحر الأسود فيعود الماء يجري في مجمع البحرين إلى بحر الروم إلى نصف الليل ثم ينصب أيضا في البحر الأسود إلى الصباح، يمد ويجزر كل يوم وكل ليلة مرتين. ذلك تقدير العزيز العليم.

وقد سئل عليه السلام، عن المد والجزر، فقال: «ملك على قاموس البحر إذا وضع رجله فيه فاض، وإذا رفعه غاض، ويخرج من البحر الأسود، وإنما يعرف بالأسود لأن ماءه في رؤية العين، كالحبر الأسود. فإذا أخذ الانسان منه في يده، فهو أبيض صاف، إلا أنه أمر من الصبر، مالح شديد الملوحة. فإذا صار ذلك الماء في بحر الروم، تراه أخضر كالزنجار. والله أعلم لأي شيء في ذلك.

وكذلك [يوجد] أيضا في بحر الهند خليج أحمر كالدم، وبحر أصفر كالذهب، وخليج أبيض كاللبن، وخليج أزرق كالنيل، والله أعلم، من أي شيء تتغير هذه الألوان في هذه المواضع، والماء نفسه أبيض، صاف كسائر المياه.

ويخرج من البحر الأسود أنواع السمك الكبار، يبعث الله عز وجل سباعاً من سباع البحر، فيخرجونها، وإلا فلا عدد لها، يخرجونها في مجمع البحرين [و] يصطادها الناس، وهي أنواع كثيرة [تزن] السمكة الواحدة مائة منٍّ ومئتا منٍّ أو أكثر أو أقل. ولولا أن الله عز وجل يسلط عليها سباع البحر لما خرجت فيخرجها رزقا لعباده.

ويخرج الله تعالى من البحر الأسود سمكا كبارا كالجبال يتبعها سمك أكبر منها ليأكلها، فتفر من بين يديه فتعبر في مجمع البحرين، وتأتي السمكة الكبرى لتعبر في طلبها فيضيق عنها مجمع البحرين لكبرها وعظم جسدها، فترجع إلى البحر الأسود، وعرض مجمع البحرين ثلاث فراسخ. ولقد كنت في مجمع البحرين في سفينة فخرجت سمكة من البحر، مثل الجبل العظيم، فصاحت صيحة لم أسمع قط أوحش منها، ولا أهول ولا أقوى منها فكاد أن ينخلع (أ)

(أ) في (م) ينخل.

قلبي، وسقطت على وجهي أنا وغيري، وألقت نفسها في البحر، واضطرب البحر علينا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق حتى نجانا الله عز وجل، وسمعت الملاحين يقولون : هذه السمكة تعرف بالبغل.

ورأيت في البحر أيضا سمكة كالجبل يبدو رأسها وظهرها وذنبها، ومن رأسها إلى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار، كل عظم في رؤية العين أكثر من ذراعين، وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ، فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار وإذا صادفت أسفل السفينة قسمتها نصفين.

وتخرج في ذلك البحر سمكة عظيمة يقال لها سمكة العنبر (أ) لأنها تأكل العنبر. وذلك أن العنبر يخرج من بحر الظلمات من عيون في جبال البحر كما يخرج القير، فتأكله تلك السمكة ومن كان مثلها من السمك. فإذا أراد الله تعالى أن يخرج ذلك العنبر من جوفها رزقا لمن شاء من عباده سلط الله عليها سمكة من سمك البحر (ب) أكبر منها تطردها من البحر الأسود حتى تخرجها إلى بحر الروم، إلى جانب من جوانب خليج من خلج البحر، فتلقي نفسها في موضع قليل الماء فلا يمكنها الحركة، فيدخل الناس إليها بالسفن فيشقون جوفها ويأخذون ذلك العنبر منه، وربما خرجت قطعة من العنبر الذي لم تأكله دواب البحر وقد اجتمع في بعض جبال ثم ضربته الأمواج فيخرج إلى البر كقطع كبار يكون وزن الواحدة قنطارا وأكثر وأقل، فيأخذها من قدرت له، وهو أطيب رائحة (ج) من العنبر الذي يوجد في بطن السمك، فيما يقال. والله أعلم.

وقد يخرج الله عز وجل، من البحر الأسود سمكا طوالا عظاما تعرف بالمنارة لطولها[230] يقال إنها تخرج في البحر إلى جانب السفينة الكبيرة، فتلقي نفسها على السفينة فتحطم السفينة وتهلك كل من فيها. فإذا أحس (د) بها أهل

(أ) في الأصل يقال إنها تأكل. في (و) سقطت كلمة : لأنها تاكل العنبر.

(ب) في الأصل وفي (و) : دابة من سمك البحر.

(ج) في الأصل : وهو أطيب من رائحة.

(د) كذا في الأصل وفي (ب) و(و). في بقية النسخ : أحسوا بلغة أكلوني البراغيث.

(230) انظر حول هذه السمكة، عجائب المخلوقات للقزويني (1/127).

السفينة قبل أن تلقي نفسها صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا (أ) الطبول ونفخوا الصور والبوقات والصنوج (ب) ونقروا الطوسوت والاسطال والأخشاب والألواح والتراس (ج) فربما إذا سمعت تلك الأصوات ونفرت وصرفها الله عز وجل عنهم بفضله ورحمته. وفي البحر من عجائب المخلوقات ما ليس له شبيه.

ولقد رأيت يوما في البحر وأنا على صخرة والماء تحت رجلي قد خرج ذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع تطلب أن تقبض على رجلي، فبعدت منها وأخرجت الحية رأسها كأنه رأس أرنب من تحت ذلك الحجر، فسللت خنجرا كبيرا كان معي، فطعنت به رأسها فأدخلت رأسها تحت الحجر، ثم قبضت على الخنجر فلم أقدر أن أخلصه منها، وكلما جررته وجذبته لم أقدر على تخليصه منها، فأمسكت مقبض الخنجر بيدي جميعا وجعلت أجره وألصقه بالحجر كأني أقطع به شيئا، فتركت الخنجر وخرجت من تحت الحجر وإذا بها خمس حيات، ورأس (د) واحد، فعجبت من ذلك فسألت من كان هنالك عن اسم هذه الحية، فقالوا: هذه تعرف بأم الحيات، وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وكأنها تقبض على السمك في البحر وتأكله (هـ) حتى تعظم (و) تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا، وأنها تقلب المراكب وتأكل كل من قدرت عليه من أصحابها، وأن الحديد لا يقطعها ولا يؤثر فيها.

ثم بعد ذلك وقعت واحدة من هذه الحيات في صنارة (ز) غلام كان معي فأخرجها إلى البر فرأيت منظرا عجبا: فمها تحت رأسها في الموضع الذي يمكن أن يكون فيه الدبر، وحشاها في دماغها، فأدخلوا سكينا في فمها وأخرجوا

(أ) في (ب) ونقروا.
(ب) سقطت في الأصل وفي (و) كلمتا: والبوقات والصنوج.
(ج) كذا في الأصل وفي (م) (م) سقطت كلمتا: التراس والألواح في بقية النسخ.
(د) في (م): في رأس.
(هـ) في الأصل وفي (و): وتاكلهم.
(و) في الأصل وفي (و) وتعظم.
(ز) في (م) سنارة.

حشوتها فماتت فسلخوا جلدها، فكان أرق من قشرة البصلة، خفيفا لينا، فكنت أجعله على يدي وأجر عليه السكين الحاد المرهف الذي يحلق الشعر فلا يؤثر فيه، ولا يعلق منه شيء، وكان لحمها عالية كالغنم المطبوخة ليس فيها عظم ولا يصلح للأكل، إلا إنهم يصطادون به السمك في الصنارة، فالسمك يحبه، ويصطاد به[231].

ولقد رأيت يوما وأنا على جانب البحر، وقد جزر الماء بعد الظهر وانكشف جبل في البحر قريبا من الساحل، فرأيت على صخرة من ذلك الجبل عددا من النارنج الطري الأحمر الذي كأنه قطع الآن من شجرة، فقلت في نفسي، هذا وقع من بعض السفن فذهبت إليه فقبضت منها واحدة، فإذا بها ملتصقة بالحجر، (أ) وإذا بها حيوان يضطرب في يدي ويتحرك، فتركته ونظرت إليه، وإذا فمه في موضع العرجون الذي يتعلق منه (ب) النارنج، وهو ثقب فيه خضرة كما يكون النارنج، وهو يتحرك ويفتح فمه وكأنه يأكل شيئا، وهو لين، فلففت كم ثوبي على يدي وقبضت عليه مرة أخرى وعصرته وجررته، فخرج من فمه مائية كثيرة وضم ولم أقدر أن أقلعه من مكانه، فأخرجت سكينا كان معي ورمت قلعه عن الحجر أو قطعه، فلم يؤثر السكين فيه شيئا، وعالجت كل واحدة منها، فلم أستطع لها على شيء، فتركتها عجزا عنها، وهي من عجائب خلق الله تعالى، ورأيت جميعها أحياء تتحرك، وليس لها عين ولا جارحة من الجوارح إلا الفم والله أعلم لأي شيء تصلح.

ولقد كنت مرة في زورق أنظر إلى ماء البحر إذ مرت بي قطعة شبكة مقدار ذراع في مثله، مفتولة الخيوط، مربعة العيون ظاهرة العقد، كأنها قطعة من شبكة صياد، فأخذتها من البحر، فاضطربت في يدي فألقيتها في البحر وسبحت وغاصت في البحر وهي من حيوانات البحر، فتعجبت من ذلك.

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : متصلة بالبحر.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : الذي يعلق التاريخ.

---

(231) انظر نفس المصدر (1/125).

ولقد وجدت يوما على جانب البحر، عنقودا أسود (أ) كبير (ب) الحب، أخضر العرجون كأنه قطف من كرمة الآن، فأخذته [وكان] ذلك في زمن الشتاء، وليس في تلك الأرض التي كنت فيها عنب، لأني كنت في بعض بلاد البربر يقال لها تمسامان[232] كانت لبعض قرابتي (ج) وكنت نازلا عنده، وهي على جانب البحر، فأخذت ذلك العنقود، وقد فرحت به (د) ورمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها، وهي لينة، ولكن لم أقدر أن أقلعها من العنقود، كأنها من الحديد قوة فتعجبت منه، وجذبت الحبة كثيرا فانسلخت قشرة الحبة [وهي] كقشرة حبة (هـ) العنب سوادا، وداخلها على هيئة حبة العنب إذا قشرت قبل أن تنضج بيضاء يبين في داخلها عجمها وتبين العروق (و) في لحم تلك الحبة لا يغادر من العنب شيئا، فقيل لي : هذا من عنب البحر، ورائحته كرائحة السمك، ويخرج من البحر إذا كان وقت الخريف، وهاجت الرياح، واضطربت الأمواج فيه، فيظهر الله على جانب البحر أحمالا من حيوان يشبه جامات الزجاج التي تكون في الحمامات، شديدة البياض، مدورة صافية (ز) ينفذ فيها البصر ثخانا لينة، فتتحرك ثم تموت بسرعة فتكون على شاطىء البحر أحمالا يترامى بها الصبيان فتتقطع ولا تصلح لشيء، والله أعلم أي منفعة فيها.

ويكون أيضا في البحر نوع من الحيوان يشبه رأسه رأس العجل، وله أنياب كأنياب السباع، وجلده له شعر كشعر جلد العجل، وله عنق وصدر

(أ) في الأصل : عنقود عنب، في (و) : عنقودا عنبا.
(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : كثير الحب.
(ج) في الأصل وفي (و) : قراباتي.
(د) في (ب) و(ت) و(ج) : فزجت. في (م) : خرجت.
(هـ) كذا في الأصل وفي (و) في (م) : لينة. وفي بقية النسخ : لبة.
(و) في (ب) العرجو.
(ز) كذا في الأصل وفي (و) سقطت كلمة صافية في بقية النسخ.

(232) انظر عن تمسامان كتاب المغرب للبكري (ص 90، 91، 99).

وبطن، وله رجلان كرجلي الضفدع، يثب عليهما كما يثب الضفدع، وليس له يدان (أ) يعرف بالسمك اليهودي، وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت، خرج من البحر وألقى نفسه في البر لا يتحرك ولا يأكل ولو قتل لم يدخل البحر (ب) حتى تغيب الشمس ليلة الأحد. فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته، وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فيبرأ، ولا يجد للنقرس ألما ما دام ذلك النعل في رجله، وهو من عجائب الدنيا.

وفي البحر أنواع من الحيوانات لها أجنحة تطير بها، ولقد رأيت سمكة سوداء بطول الذراع سوداء الظهر بيضاء البطن خرجت من البحر وطارت في الهواء ما شاء الله تعالى ثم ألقت نفسها إلى البحر فسألت عنها، فقالوا: اسمها الخطاف[233].

ويكون في بحر الروم سمك طويل يكون طول السمكة أكثر من مائة ذراع له أنياب كأنياب الفيل الصغير، تؤخذ أنيابه وتباع في بلاد الروم وتحمل إلى سائر الدنيا، وهو أحسن وأقوى من ناب الفيل، ويظهر في بعضه إذا شق نقوش عجيبة يسمونها الجوهر، ويتخذون من تلك الأنياب نصبا للسكاكين ورؤوسا للسياط (ج) ويسمونها العجم «دندان ماهي» (د) ينقشون فيه سائر النقوش، وهو مع قوته وحسن لونه وجوهريته ثقيل الوزن، كأنه الرصاص، ويدبغ الروم جلده، فيكون أبيض كالثلج لينا قويا، ويقدونه في عرض الأصبع كقد العنان، يكون طول الشراك الواحد عشرين باعا وأكثر وأقل، يبيعونه في بلاد البلغار وبلاد الصقالبة، وهو من أقوى الجلود، كأنه الحديد في القوة مع لينه ونعومته، ويأكلون لحم ذلك السمك، ويزعمون أن لحمه من أطيب لحوم السمك.

(أ) في (م): وله يدان الخ. بسقوط حرف النفي.

(ب) سقطت الفقرة التالية في الأصل.

(ج) كذا في (و). سقطت كلمة رؤساء للسياط في بقية النسخ.

(د) سقطت كلمات دندان ماهر في (و). والتعبير فارسي معناه «أسنان السمك».

---

(233) انظر نفس المصدر (1/12).

وفي بحر الروم سمك يسمى الرعاد [وتوجد هذه السمكة بنيل مصر على الصفة المذكورة، ومن خواصه أن يعمل من جلده طاقية وتلبس للصداع فيسكن] (أ) وإذا كان في شبكة، فكل من يحرك تلك الشبكة أو يضع يده عليها أو على حبل من حبالها، تأخذه الرعدة حتى لايملك من نفسه شيئا، كما يرعد صاحب الحمى إذا كان مفلوجا. فإذا أزال يده، زالت الرعدة عنه. وإن أعاد يده إلى الحبل والشبكة، أو شيء يتصل بتلك الشبكة، عادت إليه الرعدة وهي أيضا من عجائب الدنيا.

وفي البحر سمك صغير يكون كالذراع يسمى بُلْب إذا اصطادوه ومسكوه وبقي في أيديهم ما شاء الله لا يموت ولا يزال يتحرك ويضطرب فيقطعونه قطعا [ما بين صغار وكبار] (ب) وهو يثب (ج) ويضطرب، وإن جعلت منه قطعة على النار، وثب (د) إلى خارج النار، وربما أصابت وجه الإنسان. وإن جعلت في القدر في ماء حار كالنار، وهي مقطعة، وربما قلبت القدر، ويحتاجون إذا طبخوه أن يثقلوا القدر بحديد ثقيل أو صخرة ثقيلة حتى ينضج. ومهما لا ينضج لا يموت ولو قطع ألف قطعة. وهو من عجائب المخلوقات.

وفي بحر الروم (هـ) أيضا حيوان كأنه قلنسوة الأتراك البيض التي تتخذ في دربند، طوالا محددة الرؤوس من اللبد الأبيض تلبس لأجل المطر، كان ذلك الحيوان مثل القلنسوة وفي داخلها مثل المصارين كثيرة طوال متعلقة وليس لذلك الحيوان رأس ولا عينان ولا فم. وإذا وقع في شبكة اضطرب، فيخرج من مصارينه شيء أسود كالحبر يسود له الماء، ورائحة ذلك الماء كريهة. وإذا أصاب ذلك الماء الثوب صبغه، ولم يخرج بغسل ولا غيره، ويؤخذ لحمه ويؤكل، وهو

(أ) سقط ما بين القوسين المربعين في (و).
(ب) سقط ما بين القوسين المربعين في (و).
(ج) ورد بتحريف في (و). وهو يوثب.
(د) في (م) : وسب.
(هـ) نهاية القطعة الساقطة في الأصل.

كغضروف الجمل السمين، ولا تؤكل مصارينه، وهو من العجائب(234).

وفي مجمع البحرين على جانبه الشرقي في الصخرة التي وصل إليها موسى ويوشع ونسي عندها الحوت، وكان الحوت مشويا، قد أكلا نصفه الأيمن طولا مع نصف رأسه، وعينه الواحدة اليمنى، وأخبره الله تعالى أن موضع الخضر في المكان الذي يصير الميت فيه حيا. فلما وصل إلى الصخرة، عاد نصف السمكة المشوي والمأكول نصفها حيا وأنسل ذلك على صورة نصف السمكة بعين واحدة الجانب الأيمن كأنه قد أكل، بقي حشوته عليها شوك أضلاعها، وجلد رقيق يحفظها، والنصف الأيسر صحيح، وهو من أطيب السموك. والسمكة منه طولها أربعة أشبار في عرض شبر، ويكون صغارا وكبارا، ونسلها من مجمع البحرين، عند تلك الصخرة وقريبا منها تحمله اليهود والنصارى مقددا إلى بلادهم، ويتبركون به، وهو من أطيب السموك(235).

ويخرج من بحر الظلمات أنواع من سباع السمك لها عدوان كعدوان الذئاب والأسود الضارية، وأشد وأدهى وأضر منها نوع يسمى الكوسج(236)، يكون كالسمك طويلا. طوله عشرة أذرع وأقل، في فمه الحنك الأعلى، سبع صفوف أسنان أحد من المناشير الفولاذ وأقطع وأقوى، وفكه الأسفل أقصر من الفك الأعلى، وفيه صف واحد من الأسنان أحد من السيف المرهف، يقطع الأدمي نصفين، وأي حيوان ظفر به قطعه في أسرع من لمح البصر.

ويخرج أيضا من الأنهار الكبار، فيهلك من ظفر به من الناس، وأكثر ما يخرج إلى الأنهار في شدة الحر، في حزيران وتموز، حتى إن في نهر البصرة يقطع أرجل السقائين وأيديهم، إذا استقوا في الماء.

وهناك أيضا في البحر سبع من السمك يعرف بالتنين، أسود طويل كالثعبان العظيم، أحمر العينين، له أنياب كأسنة الرماح أشر من الكوسج،

---

(234) نفس المصدر (1/127).

(235) نفس المصدر (1/126).

(236) اسم فارسي (كوسة) معرب. انظر نفس المصدر (1/117).

وأشد وأقوى عدوانا [بحيث] يفر الكوسج منه[237]، فيما يقال، والله أعلم، وهو يثب (أ) من البحر على من كان في الشاطىء فيفترسه، وهو آفة عظيمة، وإذا أخذ وهو صغير ووقع في شبكة، قتلوه، ويطعمون لحمه لمن به الفالج ولمن غلب عليه البرد والرطوبة، فيستريح ويبرأ لحرارة لحمه.

وفي البحر أيضا أنواع من [السمك] السباع لا أعرف أسماءها، وبذلك البحر رأيت سمكة كأنها الترس العظيم، مدورة كبيرة بيضاء، لا شبه السمك ولها رأس في جسدها وفم وأنياب وذنب أيضا قصير عريض، وجانبان عريضان رقيقان كأنهما أجنحة لها وبهما تتحرك في الماء، وهي مدورة كالترس، ولها بطن كبير، رأيتها وقد شقوا بطنها وأخرجوا حشوتها، وفيه كبد كبيرة وقلب ورئة حمراء كحشوة الغنم الكبير السمين، ولها شحم كثير، ولحمها أبيض لا يشبه لحم السمك، فسألت عنها، فقالوا هذه تسمى البقرة[238].

وفي بحر الروم [من الجزائر كثير جداً، منها جزيرة تسمى بسردانية، وهي عظيمة جداً فيها أمة من الكفار خلق كثير شجعان، والبحر الذي هم فيه يقال له بحر اللاذقية، خلف القسطنطينية، متصل بالبحر الرومي الذي [يمتد] في قبلي بلد القسطنطينية] (ب).

وفي بحر الروم جزيرة يقال لها صقلية[239] فيها جبل قريب من البحر تخرج منه نار تضيء بالليل إلى عشرة فراسخ. وقد رأيت جزيرة صقلية لما ذهبت

(أ) في (م) وهو يسب.

(ب) سردانية في (ب).

---

(237) نفس المصدر وقد جاء فيه التعبير كما يلي: وهو كريه المنظر يفر منه الكوسج وغيره من الحيوان.

(238) ذكر القزويني نوعا من السمك يشبه الترس ولكن عباراته تختلف كثيرا عن عبارات أبي حامد. نفس المصدر.

(239) جزيرة إيطالية في البحر الأبيض المتوسط 708 25 كلم² يبلغ عدد سكانها حاليا 4870 نسمة، قاعدتها بالرم، أهم مدنها كتانيا، مينا، تريباني غزاها زيادة الله الأغلبي في سنة 212هـ. وظلت ردحا من الزمان مهدا للحضارة العربية ومركزا لنشر العلوم والآداب في أوروبا حتى بعدما استولى عليها النورمانديون والكتب عن صقلية كثيرة ومتنوعة ولكن أهمها بدون شك هو المكتبة العربية الصقلية الذي جمع فيه آماري جميع النصوص العربية المعروفة في عهده والتي تتعلق بتاريخ وجغرافية هذه الجزيرة (طبعة ليبسيك 1857).

إلى الاسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وأخبرني ببغداد الشيخ الإمام الزاهد العالم العلامة (أ)، أبو القاسم بن الحكم الصقلي حين سألته عن تلك النار. قال: إن تلك النار تضيء على عشرة فراسخ، [و] لا يحتاج أحد معه في تلك المواضع إلى ضوء ولا سراج في طريق، ولا في قرية لكثرة ذلك الضوء، ويخرج من تلك النار جمر كبار كاعدال القطن يتقطع (ب) فيقع بعضها في البر فيصير حجرا أبيض خفيفا يطفو على الماء لخفته. والذي يقع في البحر يصير حجرا أسود مثقبا يحك به الأرجل في الحمام، يطفو على الماء أيضا. وإن وقع جمر (ج) من تلك (د) النار على حجر أو رمل، احترق الحجر واشتعل كما يشتعل القطن حتى يقع ذلك الحجر ويصير غبارا كالكحل ولا يحرق (هـ) الحشيش ولا الثياب إلا الحجارة والحيوان. فهذه النار تشبه نار جهنم التي قال الله عز وجل: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ أعاذنا الله تعالى منها ومن عذابها، آمين، يارب العالمين (و).

وفي ذلك البحر جزر يسكنها (ز) المسلمون، وجزائر لا يسكنها أحد. وفيها جزيرة كبيرة يقال لها جالطة (ح) مملوءة بأغنام سمان مالها صاحب تقصدها السفن(240) يأخذون منها مالا نهاية له ويذبحونها ويملؤون السفن من لحومها ولا تفنى لكثرتها.

وأما في بحر الهند والصين، ففيهما آلاف من الجزائر الكبار، بعضها

(أ) سقطت في الأصل وفي جميع النسخ كلمة العالم العلامة ووردت في القطعة التي اقتبسها أماري من تحفة أبي حامد. نفس المصدر (ص 74 ـ 75).

(ب) في (ب) يتقلع.

(جـ) في الأصل وفي (و) و(م): حجر.

(د) في الأصل وفي (و) و(م): يتقطع ذلك.

(هـ) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ لا يتحرق.

(و) سقطت كلمتا يارب العالمين في الأصل وفي بقية النسخ ووردت في النص الذي اقتبسه أماري. نفس المصدر.

(ز) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ يسكنونها.

(ح) كذا في بقية النسخ، وردت في الأصل بنقطة تحت الجيم وأخرى فوقها مما يدل على أن هذا الحرف أشكل على الناسخ فلم يشأ أن يحسم برأي حول النقطة التي يضعها عليه.

---

(240) انظر اقتباس أماري في نفس المصدر (ص 199) من كتاب فتوح الشام للواقدي. وفيه أبو القاسم بن الحكم... الذي كان يسكن حرم الخليفة ببغداد الخ.

مسكونة وبعضها غير مسكونة، وفيها من أنواع النعم والنبات والحيوانات مالا يعد ولا يحصى[241].

وكنت بمصر سنة اثني عشرة وخمسمائة فاجتمعت بها بالشيخ أبي العباس الحجازي، وكان ممن أقام بأرض الصين والهند أربعين سنة وكان الناس يحدثون عنه العجائب فقلت له :

ـ يا أبا العباس، إني سمعت عنك أشياء كثيرة من العجائب والآن أريد أن أسمع منك شيئا من عجائب خلق الله تعالى، وكان الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري[242] حاضرا فقال أبو العباس :

ـ قد رأيت أشياء كثيرة ولا يمكنني[أ] أن أحدث بها لأن أكثر الناس يحسبون أنها كذب. فقال الشيخ أبو بكر : يكون ذلك من العوام الجهال. وأما العقلاء وأهل العلم، فإنهم يعرفون الجائز والمستحيل. وذكر عجائب خلق الله تعالى يستحب التحدث بها إظهاراً لقدرة الله تعالى في عجائب مخلوقاته. فقال له أبو العباس :

ـ دخلت جزيرة سرنديب،[243] وهي جزيرة عظيمة في وسطها جبل الراهون الذي نزل عليه آدم، عليه السلام، وحول ذلك الجبل أشجار كثيرة كبار وغياض كثيرة [و] في كل موضع من تلك الغياض بين تلك الأشجار حيات كبار كجذوع النخل، الحية تبتلع (ب) الآدمي والبقر والغنم وتلتف حول شجرة من تلك الأشجار العظام فتكسر في جوفها، عظام ذلك الحيوان الذي ابتلعته حتى تهضمه فلا يمكن لأحد من الناس أن يصل إلى ذلك الجبل. وكنت سمعت أن

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م) في بقية النسخ : لا يمكن.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م) في بقية النسخ : تبلع.

(241) قارن عجائب المخلوقات المصدر المذكور (1/124) وفيه وصف أوفى.

(242) ذكره ابن سعيد في المغرب (2/424) وقال إنه صحب أبا الوليد الباجي بسرقسطة وسكن الشام ومصر، وكان إماما عالما زاهدا توفي بالأسكندرية في سنة 520هـ، انظر ترجمته كذلك في البغية للضبي (طبعة مدريد 1884 ـ ص 125) الصلة لابن بشكوال (رقم 517) وفيه انه رحل إلى المشرق وحج وسكن الشام، وكان إماما عاملا زاهدا، وكذلك ترجم له العماد في الخريدة (الجزء الثاني الورقة 64)، والعماد في الشذرات (4/62) وابن فرحون في الديباج (276) وابن خلكان في وفيات الأعيان (4/262 ـ 265) وكذلك 828 .1 .5 و Brock 1.600 .

(243) انظر الهامش المشار إليه.

عند تلك الجزيرة دهنا إذا دهن به الانسان لا يعمل الحديد فيه شيئا فأهديت إلى أخت الملك هدية وتوسلت بها إلى الملك فأعطاني حجرين، كل واحد كالبيضة الصغيرة الواحد أبيض منقط بحمرة والآخر منقط بسواد، وقال : يؤخذ الشيرج فيغلى حتى يذهب نصفـه ويجعل هاذان الحجران في الدهن ومن دُهِن بذلك الدهن لم يؤثر الحديد فيه شيئا حتى يغسل جسده. ومن شرب من ذلك الدهن عشرة دراهم ولا يأكل لبنا ولا ما يتخذ من اللبن لم يضره الحديد البتة.

وقال : وكان لي خادم (أ) قد شرب من هذا الدهن، فكان أصحابي هؤلاء يجربون (ب) السكاكين (ج) على ذراعيه (د) وحلقه فلا يؤثر الحديد فيه شيئا.

وأعطاني ملك آخر من ملوك الصين دهنا آخر مثل الدبس، إذا دهنوا به جرحا زال ألمه والتحم في وقته قبل أن يخاط فتق مثله. فقلت، يا أبا العباس، فلم تأت منه بشيء، فإنه كان أنفع لك من كثير من المال. فقال :

ـ جئت منـه بكثير ولكنه ذهب في جملة، من أموالي ذهبت لي في بحر الصين والهند إلى أن وصلت إلى بحر القلزم عشر سفن، وإنما بقيت معي سفينة صغيرة كانت برسم المطبخ، وكان فيها جماعة من خدمي، فسلمنا الله عز وجل فيها، بعدما ذهبت ذخائري وأموالي. وكنت سمعت أنه أهدي لصاحب مصر، الأفضل بن أمير الجيوش(244) من أنواع ذخائر الصين ما لا يعرف له قيمة.

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م) في بقية النسخ : غلام.

(ب) كذا في جميع النسخ ماعدا (م) : يجرون.

(ج) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ. السكين.

(د) في (م) : ذراعه.

(244) أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه، الملقب بالملك الأفضل. كان أمير الجيوش المصرية ووطد الحكم للآمر بأحكام الله الفاطمي، صاحب مصر ودبر شؤون دولته. ولكن الأمر نقم عليه بعض الأمور ودس عليه من قتله في سنة 515هـ. انظر أخباره في العبر (4/70 وما قبلها) الكامل لابن الأثير (10/209) مرآة الزمان (8/104) وفيات الأعيان (في عدة مواضع، وخصوصا (2/448 ـ 451).

فقال له صاحب مصر : أريد منك أن تجمل بلدي . وسمعت أنه كان في جملة ما أهدي إلى الأفضل قطعة عود هندي أسود يختم كالشمع وزنتها خمسون منًّا لا قيمة لها ، وأهدى من قصاع الصين وأوانيها ما يشبه الياقوت حسنا من الجنس المحرم ، واتخذ أبو العباس في مصر والقاهرة (أ) حمامات وخانات ودكاكين ما يدخل عليه كل يوم جملة من المال ، وكان له سبعة أولاد من سبعة أنواع من الجواري ، صينية وهندية وحبشية وسرنديبية وصوليانية ، من جزيرة الصوليان ، وهي من أحسن جزائر الهند ، زمانها كله ربيع ، ليس فيها شتاء ولا صيف ، ولا تسقط أوراق الشجر فيها من نعم الله تعالى مالا نهاية له . وكان أولاده يتكلمون بألسنة جماعة ، وكان بعضهم يأنس بي وأعطاني من العود الفائق ومن ورق الصين أنواعا ، زُرقا وحُمرا كلها عليها تصاوير ذهب أحسن من الديباج الرومي رحمه الله ورحمهم .

و يكون في جزائر بحر الصين الرُّخ ،[245] ، يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع ، ذكر الجاحظ في كتاب «الحيوان» ، وكان قد وصل إلى المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصين في البحر وأقام بها مدة ، ووصل إلى بلده المغرب بأموال عظيمة ، وكان عنده أصل ريشة من جناح الرخ كان يسع فيها (ب) قربة من الماء ، كان الناس يتعجبون من ذلك ، وكان يعرف الرجل بعبد الرحيم الصيني ، وكان يحدث بالعجائب ، فذكر أنه سافر في بحر الصين والتقهم الريح إلى جزيرة عظيمة ، فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب ، فرأوا فيها قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع ، لها لمعان وبريق ، فتعجبوا منها . فلما دنوا منها ،

(أ) كذا في الأصل وفي (م) . وورد بتحريف في (و) : في مصر في القاهرة وفي بقية النسخ في مصر بالقاهرة .
(ب) كذا في الأصل وفي بقية النسخ ماعدا (و) : كان يسمع فيها صرير ماء .

(245) ذكر ابن سعيد الرخ في كتاب الجغرافيا وصفا يدعو إلى الاستغراب ولكنه قدم له بكلمة زعموا وهو يجعل جزيرة القمر (مدغشقر) موطنه . مما جاء في وصفه قوله : «إنه يغطي بظله سرية ، ويخطف بمخالبه فراخ الفيلة ويزقها فراخه ، ويصنعون من قصبته قناطر على مياههم يجوزون عليها . ووصفه في ألف ليلة وليلة يوحي بأنه أقرب إلى الطيور الخرافية منه إلى الحيوانات الحقيقية ومع ذلك ، فإن شهادات المسافرين والكتاب الذين ينتمون إلى مختلف الجنسيات والأقطار في العصور الوسطى تتفق حتى في التفاصيل في وصفه . عالجت هذا الطائر والروايات التي تتعلق بشيء من التوسع في كتاب الجغرافيا (ص 87 التعليق 35 ص 233 ـ 224) .

وإذا هي بيضة الرخ فلما دنوا منها جعلوا يضربونها بالفؤوس والخشب والحجارة حتى انشقت كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه فجروه، فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة عند علماني، خرج أصلها من لحم جناحه ولم يكُمل بعد خلقُه. قال : فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه ورحلوا. وقد كان بعضهم طبخ في الجزيرة قدرا وحركوها ببعض عيدان الحطب الذي طبخوا به، وكان فيهم مشائخ. فلما أصبحوا رأوا المشائخ قد اسودت لحاهم، ولم يشيبوا بعد ذلك اليوم من أكل من ذلك الطعام فكانوا يقولون إن ذلك العود الذي حركوا به القدر من شجرة الشباب والله أعلم.

قال : فلما طلعت الشمس رأوا الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة، وفي رجليه قطعة حجر كالبيت العظيم، أكبر من السفينة، فلما جارى (أ) السفينة ألقى ذلك الحجر، وكانت السفينة مسرعة بسعة من الأثقال عليها الشراعات، فوقع الحجر في البحر وسبقت (ب) السفينة، ونجانا الله عز وجل.

وفي جزائر الصين والهند الكركدن (ج) حيوان طوله مائة ذراع وأكثر وأقل، له ثلاثة قرون، قرن بين عينيه وقرنان على أذنيه يطعن [بهما] الفيل فيأخذه في قرنيه ويهلكه، ويبقى بين عينيه مدة، ويبقى (د) ولد الكركدن في بطن أمه أربع سنين إذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى في الشجر ما يصل إليه.

فإذا تم له أربع سنين وقع من بطن أمه، وفر (هـ) كالبرق حتى لا تدركه أمه (و) مخافة أن تلحسه بلسانها، لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ، إذا لحست

(أ) في الأصل وفي (و) و(م) : فلما حادى السفينة.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : وبقيت.

(ج) في (و) الكركدان. وفي (م) : الكركند.

(د) سقطت كلمة ويبقى في الأصل.

(هـ) كذا في الأصل وفي (و) في بقية النسخ : مر.

(و) سقطت الفقرة التالية من (و) وفي (م).

به حيوانا أزالت لحمه في لحظة واحدة. وملوك الصين إذا عذبوا أحدا سلموه إلى الكركدن ليلحسه، فتبقى عظامه ليس عليها من لحمه (أ) شيء.

وفي بلاد الزنج حُمر، كل حمار كأنه ثوت عتابي مخطط أبيض وأسود بخطوط (ب) مستوية أحسن سوادا وأحسن بياضا من الابرسيم في العتابي البغدادي أو الخراساني، وكان منها حمار بمصر فمات، وجلده عندهم محشو بالقطن يخرجونه في يوم الزينة، وهو من عجائب الدنيا.

وقرن الكركدن إذا شق طولا تخرج فيه أنواع من الصور كالطاووس والغزال وأنواع الطير والشجر وصورة بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سروج الملوك وفي مناطقهم. وهذا أيضا من أعجب العجائب.

وقال لي رجل شريف يعرف بالهاروني، من وُلد هارون الرشيد، إنه كان في بحر الهند فرأى طاووسا قد خرج من البحر أحسن من طاووس البر وأجمل ألوانا، فكبرنا لحسنه، وجعل يسبح في البحر وينظر إلى نفسه وينشر أجنحته وينظر إلى ذنبه ساعة، ثم غاص في البحر (ج).

وفي نيل مصر حيوان يعرف بالتمساح كبير، يكون طول جسده ستة أذرع وأقل وأكثر، وذنبه مثل ذلك وظهره وبطنه كالسلحفاة، ويداه ورجلاه قصار على صورة الضب وفي فمه ثمانون نابا، أربعون في الفك الأعلى، وأربعون في الفك الأسفل، يتحرك فكه الأعلى وفكه الأسفل، عظمه متصل بصدره، وليس له دبر، وله فرج ينسل ولا يتغوط، وهو شر من كل سبع في الماء، وإذا شبع وامتلأت معدته، خرج إلى بعض الجزائر واستقبل الشمس، وفتح فاه، فيدخل في معدته أنواع من العصافير كالقنبرة في رؤوسها عظام كالمناقير فيأكلون في معدته، فإذا شبعت خرجت ودخل غيرها، حتى لا يبقى في معدته

(أ) كذا في الأصل وفي (و) في بقية النسخ : اللحم.

(ب) في (م) : بخيوط.

(ج) ابتداء من هنا تقل أهمية النسخة (ب) حيث أن النص لم يعد مشكولا ولا منقوطا.

شيء وربما أطبق فمه على بعضها فيطعن في معدته برؤوسها التي فيها العظام، حتى يفتح فمه فيخرجون فسبحان الله العظيم، ما أكثر عجائبه، وهو كثير في نيل مصر[246].

وأيضا في نيل مصر طير أبيض الرأس أسود الشعر يقال عقاب الماء (أ) كأنه النسر في كبره يطير على النيل ثم يزج نفسه في الماء فيخرج وفي مخالبه سمكة كبيرة يقولون إنها من أطيب السمك الذي في النيل، فيصعد بها في الهواء، فيجتمع إليه الطير تأكل سمكته التي في مخالبه فيصيح ذلك العقاب : «الله ! فوق الفوق ! »، بكلام مليح يسمعه الناس من بعد، وهو نوع كثير على نيل مصر.

وأما بحر الخزر[247] الذي عليه طبرستان[248] ويمتد إلى ناحية جرجان، وإلى بلاد الترك إلى الخزر، ويمتد إلى باب الأبواب، فإنه بحر صغير يقال إن دوره ثلاثمائة فرسخ أو نحوها، ومادته من الأنهار العظام. وفيه جزائر جماعة منها جزيرة تعمرها الجن يسمع الناس فيها أصواتهم ولا يسكنها شيء من الحيوان، وجزيرة أيضا يسكنها الجن مملوءة من أنواع الحيات والطير يفرخ بين الحيات[249] ولا يضر فراخ الطير، وكنا نعبر عندها بالسفن فيخرج أهل السفينة يأخذون بيض ذلك الطير وفراخه من بين الحيات والثعابين ولا تؤذي أحدا.

(أ) في (م) في الفيل.

---

(246) قارن عجائب المخلوقات للقزويني (1/131).

(247) قارن عن بحر الخزر عجائب المخلوقات (1/137) ومسالك الممالك للاصطخري (ص 184) وصورة الأرض لابن حوقل (ص 278) وأحسن التقاسيم للمقدسي (ص 353، 355) كتاب البلدان للهمذاني (ص 292) تقويم البلدان لأبي الفدا، (ص 35) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (75، 196، 205) وصبح الأعشى (4/364، 388، 459) ومروج الذهب (1/262) والمسعودي يسميه «بحر الأعاجم» ومعجم البلدان (2/367 ـ 370) وخريدة العجائب لابن الوردي (ص 92 ـ 94) وكذلك : المصدر المذكور Barbier de Meynard.

(248) قارن عن بحر طبرستان الذي يسمى أيضا مازندران، تقويم البلدان (ص 35) معجم البلدان (4/13 ـ 15) كتاب الجغرافيا (الفهرس) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) معجم ما استعجم للبكري (ص 887) وكذلك (المصدر المذكور Barbier de Meynard, Dictionnaire.

(249) قارن عن جزيرة الحيات عجائب المخلوقات للقزويني (1/128) وأنظر Mélanges Asiatiques (IV/360).

وهناك جزيرة سوداء كالقير، يخرج منها ماء مر مالح منتن، ويخرج مع ذلك الماء حجارة مربعة كأنها الصفر الأصفر الجيد، يأخذها الناس مثاقيل للموازين. وفي مقابلة هذه الجزيرة على جانب البحر أرض سوداء كالقير ينبت فيها الحشيش، وفيها أنواع من الوحوش، ويخرج من تلك الأرض السوداء القير والنفط الأسود والأبيض. وهي قريبة من باكو (أ)، [250] من عمل شروان، ويظهر في الليل في تلك الأرض، والجزيرة نار مثل نار الكبريت زرقاء تشعل ولا تحرق الحشيش، ولا حرارة لها. وإذا نزل عليها المطر زادت واشتعلت وعلت، يراها الناس من بعيد، وليس لها في النهار أثر. يُصطاد الغزلان في تلك الأرض، فيقطعون لحم الصيد ويجعلونه في جلده ويشدون الجلد عليه على أنبوبة قصب مثقوبة ويدفنون الجلد باللحم في ذلك التراب الأسود، فيغلي ويخرج الزبد من تلك الأنبوبة، كما يخرج من القدر. وإذا نفذ الزبد نضج اللحم، فيخرجون ذلك الجلد صحيحا، واللحم نضجا حارا كما يكون في القدر (ب) ولا حرارة في تلك الأرض. وهذه من عجائب الدنيا، وتلك النار تشبه نار المعدة.

(أ) في الأصل باكوه في (م) بتحريف باكو وكرر الاسم في مصادر جغرافية عربية أخرى أيضا بالأشكال التالية باكه، باكوه باكويه.

(ب) كذا في الأصل وفي بقية النسخ : في الجلد.

(250) باكو أهم الثغور على شاطىء بحر قزوين وأول من وصف منابع النفط في باكو هو المسعودي، وياقوت الذي يسمي المدينة باكوية ويقول : «فيه عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها في كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عين أخرى تسيل بنفط أبيض كدهن الزيبق لا تنقطع ليلا ولا نهارا». ويصف المسعودي نفط باكو بقوله : إنه «لا مثيل له في العالم». وقدر الباكو في القرن التاسع الهجري (15 ميلادي) من كمية النفط المستخرجة من هذه المنابع بـ 200 حمل بغل في اليوم. وأول الجغرافيين العرب الذي ذكر باكو على أنها فرضة هو المقدسي في أحسن التقاسيم. كانت منابع النفط في مبدأ الأمر موقوفة على سكان دربند، ثم وقفت بعد ذلك على السادة الأشراف، والطبري وابن الأثير، لا يذكر كل منهما شيئا عن تاريخ باكو، ولو أنه عثر على نقش في مسجد المدينة يرجع تاريخه إلى سنة 471هـ، ولما وقعت المدينة تحت سلطان الروس انتقلت ملكية منابع النفط إلى التاج فكان انتاجها يباع بالمزاد العلني منذ سنة 1872، ولم تكد تحل سنة 1930 حتى كان إنتاج باكو يتراوح بين (75٪ و 80٪) من مجموع الإنتاج السوفياتي، في الوقت الذي كانت فيه آبار جروزني (Grozny) وما يكوب (Malkop) لا يتجاوز مجموع إنتاجها 15٪ من الانتاج الروسي على أن التوزيع الجهوي للإنتاج قد تغير كثيرا منذ ذلك الوقت، بحيث أصبحت منطقة باكو الآن لا تنتج إلا نصف مجموع إنتاج الاتحاد السوفياتي الذي بلغ في سنة 1981 ـ 600 مليون طن. وباكو الآن عاصمة جمهورية أذربيجان ويبلغ عدد سكانها 1.435.000 نسمة انظر : مروج الذهب (2/20 ـ 21 ـ 25 ـ 26) معجم البلدان (1/328) أحسن التقاسيم (طبعة دوخوية ص : 376) تقويم البلدان (ص 391 المخطوط) وردت فيه باسم باكوي، آثار البلاد (ص : 578) وردت فيه : باكوى عجائب المخلوقات (1/128) وكذلك المصدر المذكور : (ص 180 ـ 181) Le strange the Statesman year-Book (118 éd. 1981, 82, p. 1230).

ويوجد على ساحل البحر وجزائره حجارة محك الذهب أنواعا. وكان لي صديق من أهل استرباذ[251] يقال له أبو الحسن علي بن عبيدان [وهو] رجل معروف. دخل غلامه إلى جزيرة من تلك الجزائر التي فيها محك الذهب فأخرج منها حجارة كثيرة وكان منها حجر واحد مكتوب فيه محمد وعلي بخط أبيض من أحسن الخطوط وبذلت له فيه وزنه من ذهب فلم يفعل.

وينصبُّ في ذلك البحر نهر عظيم يسمى إِتِلْ يجيء من فوق بلغار من ناحية الظلمات، يكون مثل الدجلة مائة مرة أو أكثر، يخرج منه إلى البحر سبعون فرعا، كل فرع كالدجلة ويبقى منه عند سخسين (أ) نهر (ب) عظيم مشيت (ج) عليه في زمان الشتاء وقد جمد حتى صار كالأرض تمشي الخيل والعجل وسائر الدواب عليه، وكان عرضه ألف وثمانمائة ونيف وأربعين خطوة، وفيه أنواع من السمك، كل نوع لا يشبه الآخر، السمكة فيها مائة مَنٍّ وأكثر وأقل، وهو طويل له خرطوم فيه فمه صغير يسع الأصبع، ليس فيه شوك وليس له سن ولا له عظم، يخرج من معدته الفراء يحمل إلى جميع الآفاق ويشوى ويطرحون تحته الأرز، كما يكون تحت اللحم الأرز، كما يكون تحت الحمام، فيكون أطيب من كل لحم يؤكل في جميع الدنيا و[كذلك] (د) الأرز الذي يكون تحته أعذب من جميع الأرز الذي يكون تحت الدجاج المسمَّن، ودهنه ولحمه لا زفر فيه ولا رائحة البتة، وهو من عجائب الدنيا.

(أ) في الأصل وفي (م) : سجستان.
(ب) في جميع النسخ : بحر. والأولى تصحيح الكلمة وقراءة : نهر.
(ج) هنا تنتهي القطعة التي سقطت في المخطوطة (و).
(د) في الأصل وفي جميع النسخ : وذلك.

(251) في الأصل : استراباد، بالدال المهملة، وتأخذ عند مختلف الجغرافيين العرب أيضا شكل : استرباذ، وهي مدينة في شمال إقليم فارس الذي يحمل نفس الاسم، تقع على خط عرض 40° 30' شمالا وخط طول 2/1° 54' شرقا، بالقرب من بحر قزوين وفي الجنوب الشرقي، على ارتفاع 380 قدما فوق سطح البحر على جبال شاهقة العلو والكثيفة الغابات وهي متفرعة عن جبال البرس، وتنتهي أراضيها عند صحراء التركمان (قره قم) وقد كان القائد العربي، يزيد بن المهلب هو الذي فتح منطقة جرجان وطبرستان واسترباد في عام 98 للهجرة. انظر كتاب البلدان

ولما دخلت سخسين (أ) سنة خمس وعشرين [وخمسمائة] (ب)، اجتمع إلي الناس من أهل العلم وغيرهم، وفي جملتهم شيخ ضعيف له ثياب خلقة، فألقى عندي سوار ذهب وزنه أربعون مثقالاً، وقال : ما أصنع بهذا السوار ؟ فقلت لا أدري ما تصنع به لست بصائغ حتى أعلم ما تعلم به.

فقال، اشتريت سمكة بطسوج[252] فوجدت هذا السوار في بطنها. فقلت، عرفه، فقال، قد عرفته ثلاث سنين أشده عكازي وأدور به في المساجد والأسواق والبيوت والطرقات وفي دور الأمراء فلا أجد له من يدعيه. فقلت، خذه أنت، فإنه مال حلال وانفقه على نفسك.

فغضب من كلامي وقال، والله لا تراني آكله. فقلت لماذا تقول هذا الكلام ؟

قال، لأنني رجل صانع أعمل الخفاف وآخذ ما يكفيني، فقلت له، افتد به الأسرى من أيدي الترك. ففرح، فقال، بارك الله عليك، فرجت عني كربة. فقلت، وليس هنا من أهل العلم من يأمرك بمثل هذا ؟

فقال، ها هنا من أهل العلم من يقول أعنا إياه ونحن نعرف ما نصنع به، وإنما يريدون أكله.

وسمعت ببلغار[253] وهي مدينة في آخر بلاد الاسلام في الشمال، هي

(أ) في الأصل سجستان. في (و) : سجسين. في (م) : سحسين.
(ب) سقطت كلمة خمسمائة في الأصل وفي (و) و(م).

للهمذاني (ص 330) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 438، 439 مخطوط) صبح الأعشى (4/387، 407، 409)، معجم البلدان (1/174 ـ 175) مقالة سترك في دائرة المعارف الإسلامية (1/500) وكذلك المصدر المذكور ص 32).

(المصدر المذكور ص 374) Barbier de Meynard, Dictionnaire (le strange)

(252) هو نوع السمك المسمى «حفش» والذي بصنع من بيضه الكافيار.

(253) اسم شعب غير معروف الأصل على وجه التحقيق تكونت له دولتان في بداية القرون الوسطى، إحداهما على نهر أتل (الفولجا) والأخرى على ضفاف نهر الدانوب، وقد ورد اسم البلغار في التاريخ لأول مرة في القرن السادس الميلادي، وقد كان البلغار والخزر مرتبطين أوثق ما يكون الارتباط ولكنهما انفصلا في وقت لا تحدده الرواية، وبينما

فوق سقسين بأربعين يوما، يكون النهار في الصيف عشرين ساعة، والليل أربع ساعات، ويكون الليل في الشتاء عشرين ساعة، والنهار أربع ساعات. ويشتد البرد فيها حتى إذا مات لاحد ميت، لا يقدر أن يدفنه ستة أشهر لأن الأرض تصير كالحديد ولا يمكن أن يحفر فيها قبره.

ولقد مات لي بها ولد، وكان في آخر الشتاء، فلم أقدر على دفنه فبقي في البيت ثلاثة أشهر حتى أمكن دفنه ويبقى الميت كالحجر.

ويخرج التجار من بلغار إلى ولاية من الكفار يقال لهم إيسوى (أ) منه يجيء القندز (ب) الجيد، ويحملون إليهم السيوف التي تتخذ في أذربيجان نصالا غير مجلية تشتري في أذربيجان أربعة سيوف بدينار ويسقونها سقيا كثيرا حتى إذا علقوا النصل بخيط ونُقر، طنَّ كثيرا. فذلك الذي يصلح لهم فيشترون بها القندر. ويذهب أهل إيسوى بتلك السيوف إلى ولاية قريبة من الظلمات مشرفة على البحر الأسود، فيبيعون تلك السيوف منهم بجلود السمور، ويأخذون تلك النصول فيلقونها في البحر الأسود، فيخرج الله تعالى لهم سمكة كالجبل تتبعها سمكة أكبر منها أضعافاً تريد أكلها فتلقي نفسها قريبا من البر بحيث لا يمكنها الرجوع، فيدخلون إليها بالسفن (ج) ويقطعون من

(أ) كذا في الأصل في (و) : ايشو. في (م). إيسوني في (ب).

(ب) كذا في الأصل. في (و) : القتدر.

(ج) في (ب) غلطا : بالسيوف.

يرجع ذكر اسم البلغار لأول مرة إلى سنة 555م. فإن اسم دولة الخزر تاخر ذكرها إلى سنة 627م. باعتبارها حليفة لبيزنطة، وذلك في سياق حروبها مع الفرس على أن الطبري يذكر أن البلغار (بصفة عامة) كانوا أعداء كسرى أنوشروان. على أن ياقوت يفصل بين البلغار والخزر بوضوح ويذكر أن المسافة التي تفصل بين الشعبين، أو بعبارة أدق بين البلغار وبين أتل مدينة الخزر شهر. وكان البلغار قد أسلموا منذ عهد المقتدر العباسي (282 ـ 320هـ) وأرسلوا رسولا إلى الخليفة يطلبون إليه أن يوجه إليهم من يفقههم في الدين، فارسل إليهم احمد بن فضلان الذي ترك لنا تقريرا فريدا في بابه، وصف فيه ما شاهده في هذه الرحلة. اقتبس منه ياقوت كثيرا، في معجمه، وقد نشره فراهن (Ch. Frahn) كاملا في سانت بيترسبورج في سنة 1823، انظر تاريخ الطبري (1/895) تاريخ اليعقوبي (طبعة هونسما) (ص 203) مسالك الممالك للاصطخري (ص 225) احسن التقاسيم للمقدسي طبعة دوخوية (ص 361) معجم البلدان (1/485 ـ 488) تقويم البلدان لأبي الفدا. (ص 216 مخطوط)، وكذلك مقالة بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية (مادة البلغار) وقد استشهد فيها بنص ما سجله أبو حامد في التحفة.

لحمها شهورا حتى يملئوا بيوتهم ويدخرون من لحمها، ويقددون ما لا نهاية له (أ) ودهنها، وربما يكبر البحر فترجع تلك السمكة إلى البحر وقد ملأت مائة ألف بيت أو أكثر من لحمها.

وإذا كانت السمكة صغيرة يخافون أن تصيح إذا وصلوا في موضع القطع من لحمها إلى عظامها، يخرجون أولادهم ونساءهم إلى موضع بعيد من البحر حتى لا يسمعوا صوتها.

ولقد حدثني بعض التجار أنهم (ب) خرجت إليهم سنة من السنين سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وجروها فانفتحت أذنها وخرج من داخلها (ج) جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر، حمراء الخدين عجزاء، من أحسن ما يكون النساء ومن سرتها إلى نصف ساقها جلد أبيض كالثوب خلقه يتصل بجسدها يستر حيها وجسدها (د) كالازار دائر عليها، فأخذها الرجال إلى البر، وهي تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض ذراعها وثديها، وتصيح، وتفعل كما تفعل النساء في الدنيا حتى ماتت في أيديهم. فتبارك الله، ما أكثر عجائبه وخلقه، وما لم نشاهد أكثر، وما لم نسمع به أكثر.

وعلى بلغار ذهب ذو القرنين إلى ياجوج، فيما يقال، والله عز وجل أعلم. وهذا قليل من كثير، وقد اقتصرنا فيه، والله أعلم، وهو القادر على كل شيء لا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

* *

*

(أ) كذا في مختلف النسخ. في الأصل: ويقددون من لحمها الخ.

(ب) كذا في الأصل وفي (ب) و(و) في بقية النسخ: إنها.

(ج) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ: من أذنها.

(د) في الأصل وفي (و): يستر قبلها ودبرها.

الباب الرابع

في صفات الحفائر والقبور

وما تضمنته من العظام إلى يوم البعث والنشور

قال الله عز وجل : ﴿ثم أماته فأقبره﴾ . وقال عليه السلام : «القبر أول منزل الآخرة» (أ) . والقبور، وإن تساوت في الظاهر، فهي مختلفة الأحوال في الباطن. وقال، عليه الصلاة والسلام «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» . فهي للمؤمنين الذين سبقت لهم من الله الحسنى نعيم وراحة، ولمن ختمت له بالشقاوة عذاب ومحنة ونار مؤججة، وقد يظهر الله عز وجل، في الدنيا بعض ما أعده من العذاب وما أعده الله لأوليائه من الكرامات.

وسأنبئك، يا أخي (ب) بما شاهدته (ج) من كلام (د) الحاكين للفريقين :

أما كرامة الله عز وجل، فإن في بلدي الأندلس، واسم بلدي غرناطة، وهو بلد كبير عظيم، يقال إنه كان في مدينة دقيانوس[254]، ملك أصحاب الكهف[255].

وبالقرب من المدينة بثلاثة فراسخ مدينة صغيرة يقال لها لوشة (هـ) إلى جانبها جبل في حضيضه (و) مثل الغار كهف الشمس تزاور عن بابه ذات اليمين وإذا غربت تقرضه ذات الشمال، وفي داخله فتية (ز) عددهم سبعة موتى، ستة منهم نيام على ظهورهم، وآخر نائم على يمينه، وعند أرجلهم كلب، لم يسقط من أعضائهم ولا من شعورهم شيء (ح)، والناس يغطونهم بأنواع الثياب ويزورونهم من جميع البلاد. وعلى الكهف مسجد ولهم هيبة

(أ) في الأصل. وفي (و) : من منازل الآخرة.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : وساريك يا أخي ما يشاهد.

(ج) كذا في الأصل : وفي (و) و(م) في بقية النسخ : ما يشاهده.

(د) في الأصل : من كلا الحالتين : في (و) : من كلا الحالتين.

(هـ) في (م) : حوشة. في (ب) يوشه.

(و) في الأصل وفي (و) : في حظيظة، في (ب) في حنطيطة.

(ز) في (م) : فنيـة.

(ح) وردت كلمة شيء في الأصل وفي (و) وسقطت في بقية النسخ.

(254) Decius الامبراطور الروماني (248 ـ 251) اشتهر باضطهاده للمسيحيين.

(255) هم الذين ورد ذكرهم في القرآن في سورة الكهف (18 / 1 ـ 25).

عظيمة، وعلى الكهف نور عظيم كثير. والدعاء عندهم مستجاب وهذه كرامة الله ظاهرة لعباده في الدنيا، وهذه الكرامة الظاهرة تدل على إكرام الله تعالى لأرواحهم (أ) في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾. هذا للمقرب من المؤمنين بعد الموت وقبل القيامة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (ب) تعلف من ثمار الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش». وهذه كرامة للمؤمنين.

وأما ظهور الهوان والعذاب في حق الظالمين مما يظهر في قبورهم من النار والدخان. فقد رأيت في بلدي، غرناطة، قبر رجل من الأمراء، كان أميرا ظالما غاشما قاتلا ظلما وعدوانا. كان اسمه قداح (ج) وأنه لما مات بني على قبره قبة عظيمة وعمل على قبره ألواح من الرخام الأبيض كالعاج حُسنا فتقطع ذلك الرخام، واسود واحترق واسودت القبة من الدخان الذي كان يخرج من قبره حتى صار كالأتون، ولم يدفن أحد بقربه ميتا، وكنت أذهب مع الناس إلى قبره للاعتبار ونأخذ من سواد دخان قبره كما يؤخذ من الأتون السواد. وهذا عذاب ظاهر (د)، وأمثاله في الدنيا كثير.

وقد روي في الخبر أن عبد الله بن عمر[256] أراد سفرا فخرج وحده على

(أ) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ: تدل على إكرامهم وإكرام أرواحهم.
(ب) في (م): طير أخضر.
(ج) كذا في الأصل وفي (و). في بقية النسخ: قراح.
(د) في (م) وهذا ظاهر.

---

(256) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمان: صحابي نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة حيث ولد في سنة 10 ق.هـ، افتى الناس في الإسلام ستين سنة. وعقب مقتل عثمان عرض عليه جماعة مبايعته بالخلافة فأبى. اشترك في غزو افريقية مرتين. كف بصره في آخر حياته وتوفي بالمدينة وكان آخر من توفي بها من الصحابة، وذلك في سنة 73 هجرية. انظر أخباره في الإصابة (رقم 4825) معالم الإيمان للدباغ (تونس 1320هـ - 1/70) طبقات ابن سعد (4/105 - 138) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (القاهرة 1301 - 1/292).

ناقته في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، فعبر على بدر في الموضع الذي قتل فيه كفار مكة[257] قال عبد الله بن عمر[258] فانشقت الأرض وخرج منها آدمي أسود يشتعل نارا من قرنه إلى قدمه، وفي عنقه سلسلة يجرها خلفه وهو يصيح: يا عبد الله، إسقني، إسقني، فلا أدري هل عرفني أم كان ينادي على غير معرفة، فنفرتْ ناقتي منه، وخرج في إثره رجل في يده طرف السلسلة وجعل يجره إليه ويقول: يا عبد الله، لا تسقه، هذا عدو الله، أبو جهل، وجعل يضربه بسوطه حتى أدخله القبر، وانطبقت الأرض عليه، ففزع عبد الله بن عمر ورجع عن سفره وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما رآى، فنهى النبي ﷺ أن يسافر أحد وحده، وقال عليه السلام: «الواحد شيطان والثاني شيطانان والثلاثة ركب».

وقد وصل إلينا بسخسين (أ) سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (ب) شاب من أهل جيلان، ساحل طبرستان اسمه عبد الواحد بن علي، وكان من أهل الصلاح والدين، فلزم مسجدا بالقرب من محلتي التي فيها داري، فكان مشتغلا بقراءة القرآن والصوم والعبادة فقلت له:

- يا عبد الواحد، لم جئت إلى سخسين وتركت بلدك وأهلك ومالك (ج) وأنا أسمع من الغرباء أن أباك من أصحاب الأموال فقال:

- يا سيدي، حديثي عجيب (د)، كان لي ابن عم شاب كان يخدم أمير ولايتنا، فمات ابن عمي، فدفناه وحزنت عليه، وأصبحنا يوم ثاني دفنه لزيارة

(أ) في الأصل وفي (و): بسجستان.

(ب) سقطت كلمة خمسمائة في الأصل وفي (و).

(ج) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ. وملكك.

(د) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: عجب.

---

(257) وقعت معركة بدر في رمضان سنة 2 للهجرة.

(258) عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي كان أشد الناس عداوة للاسلام في بداية الرسالة، وكان من أبطال العرب ودهاتهم، استمر على عناده وكبريائه وكان يعمل للكيد للمسلمين وإيذائهم حتى وقعت معركة بدر فقتل فيها. انظر أخباره في دائرة المعارف الاسلامية (1/322) والمراجع التي أحيل إليها هناك. وكذلك الكامل لابن الأثير (1/23، 25، 26، 27، 32، 33، 38، 40، 45، 46، 47).

قبره، أنـا وإخـوتـه وأقـاربـه، إذ سمعنا في قبره صوتا، وكان صندوقه يضرب بالخشب، ففرحنا وقلنا كان قد أخذته ريح السكتة فدفناه حيا. فاجتهدنا حتى أخرجنا صندوقه، ففتحناه، وإذا بالشاب ملقى على ظهره، وكفنه عند سُرته قد اسود حتى صار كالليل البهيم، وقد خرجت عيناه على خديه، وعلى صدره حية سوداء، مقدار ذراعين في غلظ الساق، وفمها في فمه، وهي تحرك رأسها في فمه، كأنها تلقي في فمـه شيئا، وتضرب بذنَبها الصندوق يمينا وشمالا، فكان ذلك الصوت صوتَ ذنبها. فضربها أخو الميت بحربة فولاذ كانت بيده، فزلت عن الحية ولم تؤثر فيها شيئا، ودخلت الحية في صدر ذلك الشاب الميت وجميع بني عمه كل من كانت في يده حربة طعن تلك الحية فلم تؤثر فيها شيئا. فقال رجل من أهل العلم كان معنا: ويحكم! هذه ملك الزبانية، قد وكِّل بهذا الميت، فردوا عليه التراب، ففزعت وهربت من بلدي ودخلت سفينة ووصلت إلى هذه البلدة، ولا أرجع إلى بلدي أبدا، لما رأيته من إبن عمي من العذاب، فأقام عندنا مدة ثم ذهب إلى الحج، وكان من الصالحين رحمة الله عليه[259].

وقـد ذكـر الشعبي في كتاب «سيرَ الملوك» أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كان يوما جالسا بظاهر الكوفة إذ أقبل أعرابي من اليمن فسلم عليه وهنـأه بالخـلافـة وقال: يا أمير المؤمنين، جئت إليك من اليمن لتعلمني بما علمك مما أنتفع به في ديني.

فقال أمير المؤمنين: من أي بلاد اليمن أنت، يا أخا العرب؟

فقال: من حضرموت.

فقال له علي: أتعرف الأحقاف؟[260]

فقال: لعلك تريد حفيرة هود، النبي عليه السلام؟

فقال علي: نعم!

---

(259) هذه القصة ترجمها دورن (Dorn) ونشرها في المجلة الأسيوية (J.A. VI/208 – 210).

(260) أورد هذه القصـة في صيغـة مختلفة قليلا في مادة الأحقاف كل من البكري في معجم ما استعجم (طبعة السقا، 1949، ص 119) وياقوت في معجم البلدان (طبعة بيروت 1/115).

فقال : دخلتها يا أمير المؤمنين في حال شبابي، أنا وصاحب لي فنُزلنا مائة درجة محفورة في الجبل حتى أفضينا إلى أزج عظيم فيه سرير من الرخام عليه رجل كقطعة الجبل وجسده على هيئة الأحياء، لم يتغير، جميل الوجه مع عظم جسده، وعليه ثياب يمانية، وعند رأسه لوح رخام مكتوب فيه شعر [بسيط] :

هذا النبي المهتدي الهادي ... إلى الجبارة الغاوين من عاد
أن يعبدوا الله لا يبغونه بدلا ... ويرفضوا كل ذي ضد وأنداد
فخالفوه وردّوا قوله سفها ... وخوفوه بإرهاب وإبعاد
فأرسل الله ريحا في عجاجتها ... لها صرير بإبراق وإرعاد
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ... قد يذنب العبد والمولى بالمرصاد

ففرح به أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأكرمه وعلمه، وكان يأكل معه ولا يفارقه حتى انصرف، والله أعلم بكل شيء.

حفير شداد (أ) :

وحكي عن الشعبي، رحمه الله : أن في جبل حضرموت حفائر قبور الملوك المتقدمين من العاديين، وغيرهم من الجبابرة، وأن الله سبحانه وتعالى قد خص وُلد عاد بعظم الأجساد، وشدة البأس، وكثرة القوة وسعة الملك، فوجدت حفيرة شداد في الجبل ينزل إليها في أدراج محفورة، علو كل درجة عشرة أذرع، وهي أدراج كثيرة، فوصلوا إلى أزج تحت الأرض عظيم فيه سرير من رخام منقوش بالذهب وعليه شداد بن عاد كأنه قطعة من جبل مطليا بالمر والصبر والمغرة لم يسقط من جسده شيء، وعند رأسه لوح من ذهب فيه مكتوب شعرا :

[رمل]

أنا شداد بن عاد ... صاحب القصر العميد (ب)
وأخو الشدة والبأساء ... والعمر المديد
دان أهل الأرض طرا لي ... من خوف وعيدي

(أ) انفردت النسخة الأصلية بهذا العنوان.

(ب) في الأصل وفي (و) وفي (م). في بقية النسخ : المشيد.

وقهرت الناس جمعا — كلهم لي كالعبيد
وأتى هود برشد — فرددنا قول هود
وعصينا وأطعنا — كل جبار عنيد
فأتتنا صيحة تهوي — من الأفق البعيد
تركتنا مثل زرع — وسط بيداء في حصيد

فأخذوا لوح الذهب وانصرفوا وقد تعجبوا مما رأوا (أ).

حفيرة مرتد :

وحُكي أيضا أنهم وجدوا أزجا عظيما تحت الأرض بدرج فنزلوا فيه في درج كثير تحت الأرض ووجدوا فيه سريرا من رخام مزخرفا عليه رجل كأنه قطعة جبل لم يتغير من جسده شيء، على هيئة الأحياء وعند رأسه لوح فيه مكتوب بالشعر :

[كامل]

من كان ينكرني لطول زماني — بعد البلى وتغير الحدثان
فأنا ابن شداد الملك بعده — مائتين عاما بعدها مائتان
أيام أجنادي (ب) الصخار فجاسم (ج) — من بالعروض إلى ذرى سفوان (د)
وجَدِيسُنا المستأسدون وطَسْمُنا — أهل الحجاز إلى مصب عمان
فإذا ركبت رأيت حولي منهم — فوق الصوافي ألف ألف عنان
دانت لي الأمم الذين (هـ) تعاقدوا — من بعد شداد على الطغيان
وأهل المشارق والمغارب إذ بغوا — وتمسكوا بالكفر والعدوان
وجمعت مالاً لا يقادرُ قدره — فكنزته لنوائب الحدثان
في البحر تحت شراسه وقراره — أرجو الخلود ولات حين أوان

(أ) سقطت هذه الفقرة من (و).
(ب) في الأصل : أجناد.
(ج) في الأصل : فجاشهم.
(د) في الأصل : شفوان.
(هـ) كذا في الأصل : في (و) : لي الدنيا الذين.

ولسوف يبدو بعدنا لمعاشر ... متواصلين على التقى إخوان
يأتيهم ذو المكرُمات محمد ... بقوارع تتلى من القرآن
يا ليتني كنت المقدم قبله ... في كل معترك ويوم طِعان
يا من يراني ثاويا بحفيرة ... عش مؤمنا متجنب الكفران

ووجدوا في جبال مكة أزجا تحت الأرض فيه صورة رجل وامرأة من صخر من أجمل الصور، وعند رأسها لوح رخام مكتوب عليه هذه الأبيات ـ شعر :

[خفيف]

أنا مأوى الفخار ساف[261] بن عمرو ... وربيع الأنام في كل عصر
كنت في جُرهُم أعد رئيا ... وإذا ما أمرت فالأمر أمري
كان حكمي عليهم وعلى من ... حج ذا البيت في البرية يجري
فهويت التي ترون أمامي ... فتبطنتُها على غير مهر

وكان ذلك الرجل، ملك جرهم، عشِق نائلَة فزنى بها في الكعبة فمسخهما الله حجرين ليعتبر بهما، فأخرجتهما قريش فجعلوا ساف على ساف، ونائلة على المروة ليعتبر بهما من رآهما. فلما طال مكثهما عبدوهما، والله أعلم.

تنفرد النسخة (و) عند هذه النقطة عن النسخة التي اعتبرناها الأصل، وعن بقية النسخ بالزيادة التالية :

وحكي عن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الثمار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بين طسم وجديس يقال للقرية معنق بينها وبين الحجر ميل، وهم بقايا عاد، عزلهم تبع فقتلهم فوجدوا في حجر من الثلاثة حجرا مكتوب [عليه] هذه الأبيات :

يأيها الملك الذي ... بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا ... وعلى شؤون الناس شأنه
أقصر عليك مراقبا ... فالدهر مخذول أمانه
كم من أشم مصعب ... بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمان ... وكان ذا خفض جنانه

(261) ساف، اختصار للضرورة الشعرية لسيف بن عمر. انظر عن هذا الشخص دائرة المعارف الاسلامية (2/561) والمراجع المحال إليها هناك.

تجري الجداول حوله للجند مترعة جفانه
والدهر يعلق به يطحنه مفترسا جرانه
والناس شتى في الهوى كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ولقد يشرفه بيانه

ووجد في الحجر الثالث مكتوب هذه الأبيات :

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا بالبغي فينا وبدا الناس ناسونا
إن التفكر لا يجدي بصاحبه عند البديهة في علم له دونا
فضوا أموركم بالحزم إن لها أمور رشد رشدتم ثم منسونا (؟)
واستخروا في صنيع الناس قبلكم كما استبان طريق عنده هونا
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم بمسكن في حرام الله مسكونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا

ووجد على حائط قصرٍ بدمشق لبني أمية مكتوب هذه الأبيات :

يأيها القصر الذي كانتِ تحف به المواكب
أين المواكب والمضارب والنجايب والجنايب
أين العساكر والدساكر والمغايب والكتائب
أبا لهم يدفعوا (؟) ألما أتت عند النوائب

ووجد في الحائط الآخر مكتوب جواب هذه الأبيات :

يا سائلي عن ما مضى من دهرنا ومن العجائب
والقصر أودى فأضحى بعد منهد الجوانب
وعن الجنود أولى العقو د ومن بهم كنا نحارب
وبهم قهرنا عنوة بالمشارق والمغارب
هيهات لا ينجو من الـ موت الكتائب والمغايب

وبعد هذا تلتقي النسخة ببقية النسخ عند : ووجد بجبال مكة إلخ .

وكان شداد بن عاد قد أرسل إلى العراق ابن عمه ، الضحاك بن علوان في عشرة آلاف من الجبابرة ، وكان في جملة عسكره رجل مؤمن يكتم إيمانه ، قد آمن

بهود عليه السلام، يقال له لام بن عامر وكان الضحاك يعذب الناس ويطبخهم في القدور، فنهاه لام بن عامر، وقال له : إن هؤلاء الناس هم آدميون مثلنا، وقد فضلنا عليهم بالقوة والملك، والله تعالى لا يرضى بما تفعله. فغضب الملك الضحاك، وقال له :

أظن أنك على دين هود، وقد خالفت الملك في دينه. فخاف لام على نفسه، فخرج بأمواله وخدمه وأولاده إلى ناحية الشمال كأنه يطلب الصيد، فغفل عنه الضحاك مدة، وقد ذهب لام بن عامر حتى جاوزا صقالبة[262] وباشغرد، ووصل إلى أرض في مغرب بلاد الروم، قريبة من البحر الأسود في موضع كثير الأشجار والنبات والعيون والوحوش طيبة الهواء، ووجد فيها معادن الرصاص الأسود، فاتخذ قبة من الرصاص، كالجبل، وأمر أن يدفن فيها، وكتب على حجر عند رأسه هذه الأبيات بالعربية.

[خفيف]

أنا لام بن عامر المعتاص ... من ظلام الاشراك بالاخلاص
كنت بالله مؤمنا رب إدريس ... وهود مؤمنا بالقصاص
قائلا لا إله إلا هو ... ربي الذي إليه مناص
فأراد الضحاك ذو الكفر مني ... أن أضاهيه في العمى والحياص
فتركت البلاد طرا وخليت ... له عن محلتي وعراصي

(262) يطلق الجغرافيون العرب اسم الصقالبة و المفرد (صقلب وصقلبي) على البلاد المجاورة لبلاد الخزر والقسطنطينية وارض البلغار، ويشمل جنس السلاف بصفة عامة، وقد تعرف العرب على جنس السلاف منذ المعارك الأولى التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين حين كافق المرتزقة من السلاف يقيمون على حدود الولاية الشرقية. وكذلك وجد العرب فريقا من السلاف مستقرين في مملكة الخزر بين جبال القوقاز ومجرى الفولجا الأسفل. وقد وصف ياقوت الصقالبة بأنهم إخوة الأرمن واليونان والفرنجة ومن انحدروا من صلب يونان بن يافث. وقد كان الصقالبة يدخلون البلدان الإسلامية في معظم الحالات أرقاء وخصيانا، وكانت الفرق الخاصة وحرس الملوك كثيرا ما تتكون من هؤلاء الأرقاء الصقالبة وكثيرا ما تصادف حظوظهم في السلم والحرب ويتولى زعماؤهم أرفع المناصب او يسيطرون على أجهزة الدولة والأسرة الحاكمة.
واسم الصقالبة كان يطلق في الأندلس على الحرس الأجنبي الخاص لخلفاء قرطبة منذ وقت مبكر، كما لعب الصقالبة أدوارا هامة في مصر في عهد الفاطميين بمصر. انظر ناريخ الطبري (1/211) كتاب البلدان للهمذاني (ص 218) تقويم البلدان (ص 220 ـ 221) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 201) وفيه أن مدينة مشقة (= موسكو) وكان صاحبها من الصقلب واسع الملك ضخم العسكر، آثار البلاد للقزويني (ص 614) معجم البلدان (3/416).

وسكنت القفار دهرا طويلا خائفا هاربا من أهل المعاصي
وبنيت الذي ترون بعون الله ذي الطول من صفاح الرصاص
وأمرت البنين أن يدفنوني جوفها في ملاحفي وقماصي
سوف يأتي بعدي بدهر رسول من بني هاشم الذرى والمناص
فأنت عابد رؤوف رحيم باليتامى والبائسين الخماص
ليتني عمرت حتى أراه كي أنال المنى فضل الخواص

ثم إن الضحاك سأل عن لام بن عامر، فأخبروه أنه قد ذهب إلى ناحية الشمال بحشمه وأولاده، فأرسل خلفه أميرين مع كل أمير طائفة من الجبارين، فخرج أحدهما قاصدا إلى بلغار، والثاني خرج وذهب إلى باشغرد.

فلما قتل الضحاك، قتله افريدون، والله أعلم، أقام أولئك الجبابرة في أرض بلغار وفي باشغرد، وقد رأيت قبورهم في باشغرد سن أحدهم طولها أربعة أشبار، وعرض السن شبران. وقد كان عندي في باشغرد نصف أصل الثنية أخرجت لي من فكه الأسفل والنصف الثاني تقطع من القدم، فكان عرض نصف الثانية شبرا ووزنها ألف ومائتا مثقال، أنا وزنتها وهي الأن في داري في باشغرد، وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا.

وفي بيت أحد أصحابي في باشغرد عظم عضد أحدهم طوله ثمانية أذرع، وعرض أضلاعهم كل ضلع ثلاثة أشبار كاللوح الرخام. وأخرج لي نصف رصغ يد أحدهم قد تأكل بعضه بالأرض، والذي لي الرسغ الأسفل صحيح، فكنت لا أقدر أن أرفعه بيد واحدة حتى أرفعه بيدي جميعا.

وفي بلغاريا أيضا من عظامهم مثل هذا. وهو كما ذكره الشعبي في «سير الملوك»، والله عز وجل، قد قال: ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾.

ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طويلا كان طوله أكثر من سبعة أذرع، كان يسمى دنقى، كان يأخذ الفرس تحت إبطه، كما يأخذ الانسان الجمل الصغير، وكان من قوته يكسر ساق الفرس بيده ويقطع جسده وأعصابه كما يقطع باقة البقل.

وكان صاحب بلغار قد اتخذ له ذرعا يحمل على عجلة وبيضة لرأسه كأنها مِرجل، وكان إذا وقع القتال يقاتل بخشبة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده، لو ضرب بها الفيل قتله. وكان خيِّرا متواضعا، كان إذا التقاني يسلم ويرحب ويكرمني، وكان رأسي لا يصل إلى حِقوه، رحمه الله، ولم يكن ببلغار حمام يمكن أن يدخل فيها إلا حمام واحدة واسعة الأبواب، فكان يدخل فيها، وكان من أعجب بني آدم لم أشاهد قط مثله، وكان له أخت على طوله ورأيتها مرارا عديدة في بلغار، وقد قال لي في بلغار القاضي يعقوب بن النعمان(263) إن هذه المرأة الطويلة قتلت زوجها، وكان اسمه آدم، كان من أقوى أهل بلغار، ضمته إليها فكسرت أضلاعه فمات في ساعته(264).

ومن عجائب القبور والموتى

أن في أرض مصر بيتا تحت الأرض فيه رهبان من النصارى، وفي البيت سرير صغير من خشب تحته صبي ميت ملفوف في نطع قديم مسردق مشدود بحبل، وعلى السرير مثل البطانية الكبيرة من خزف مزجج (أ) أخضر، وفي البطانية أنبوب من نحاس فيه فتيل، إذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا، خرج من ذلك الأنبوب الزيت الصافي الحسن الفائق (ب) حتى تمتلىء تلك البطانية وينطفىء السراج بكثرة الزيت. فإذا انطفأ لم يخرج من الدهن (ج) شيء، وإذا أخرج ذلك الصبي الميت من تحت السرير، لم يخرج من الزيت

(أ) في (م) : مدجج.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : الرائق.

(ج) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ : الزيت.

(263) لم تسعفني المصادر التي في متناولي حاليا من التعرف على هذا الشخص، ولكن دورن صاحب ترجمة القطعة المشار إليها أعلاه من التحفة يعتقد أنه ربما كان هو صاحب تاريخ البلغار (أنظر Mélanges Asiatiques, VI / 715) وقد أحال إلى كتاب Ch. Frahn المعنون : Drei Munzen der Volga — Bulgaren (Petersbourg, 1830, p. 118, note 12) وقد نبه هذا العالم في ذلك الكتاب إلى أن اسم هذا القاضي قد ورد في بعض مخطوطات القزويني وجاء فيه : «ذكر القاضي البلغاري في تاريخ بلغار» وهذا الكتاب غير معروف لدينا ولم تظهر عنه معلومات أخرى منذ ذلك التاريخ.

(264) أنظر Mélanges Asiatiques (VI/714-715)، وفيه ترجمة هذه الفقرة بقلم دورن. وهذه الفقرة اقتبسها من التحفة أيضا المقريزي في خططه (طبعة Viet 136/3) وابن اياس في كتابه المعنون : نشق الأزهار في عجائب الأمصار (طبعة لانقلز Langlès باريس 1807، ص 75).

شيء. والبطانية يرفعها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب. وأولئك الرهبان يبيعونه، ويشتريه الناس منهم ينتفعون به، فيما يقال، وهذا من عجائب الدنيا[265].

وفي طريق قونيه[266] غار تحت الأرض يسكنه جماعة، وفيه بيت كبير فيه رجال موتى، بعضهم قيام، وبعضهم ركوع وبعضهم سجود، فلا يدرى من أية أمة منهم، وعليهم ثياب لا تبلى، والنصارى والمسلمون يتبركون بهم، وأمرهم شائع يراهم الناس. ولقد أخبرني رجل من أهل باشغرد اسمه دواد بن علي قال:

ـ دخلت ذلك الغار فرأيت هؤلاء الرجال فيه، فجئت إلى رجل منهم راكع، فأخذت بأسفل عنقه، ورفعته حتى استوى قائما ثم تركته فعاد راكعا كما كان. وعندهم بيت كبير في ذلك (أ) الغار موتى كثيرة من جملتهم امرأة عندها مهد فيه طفل قد انحنت عليه كأنها ترضعه وهي ميتة لم يسقط من جسدها شيء.

وفي زمان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حفر باليمن في صنعاء حفيرة فوجدوا رجلا جالسا عليه ثياب لم تبل، ويده على رأسه كهيئة الأحياء، فأزالوا (ب) يده عن رأسه، فسال الدم من جرح كان في رأسه، فتركوا يده فعادت على الجرح، وانقطع الدم، وفي يده خاتم من فضة مكتوب عليه: عبد الله بن الثامر (ج) فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كعب الأحبار عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا من جملة القوم الذين كانوا آمنوا بالحواريين الذين كانوا على دين عيسى، عليه السلام، وكان له أصحاب فأحرقهم ملك اليمن في الأخدود الذين ذكرهم الله عز وجل، في القرآن، فقال تعالى: ﴿أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون شهود﴾. وقتل عبد الله الثامر

(أ) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: في داخل.

(ب) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: فاشلو.

(ج) كذا في الأصل وفي (و) و(م). في بقية النسخ: عبد الله بن الشامر.

---

(265) هذه الفقرة اقتبسها المقريزي في الخطط (1/139).

(266) Iconium القديمة.

ودفن على هيئته، فأمر عمر أن يرد كما كان وأن يخفي مكانه حتى لا ينبشه الأعداء، ففعلوا.

وفي زمان عمر بن الخطاب أيضا، فتح أبو موسى الأشعري[267] رضي الله عنهما مدينة خراسان، فدخل مدينة السوس[268] فوجد في قلعتها بيتا عليه أقفال ففتحه، فوجد فيه صندوقا من رخام فيه رجل ميت صحيح الجسد، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فسأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار، فقال له ذلك، يا أمير المؤمنين، دنيال النبي عليه السلام، كان قد سباه بخت نصر، لما خرب بيت المقدس، وكان عنده حتى رأى بخت نصر رؤيا ففزع منها ونسيها فسأل عنها جميع العلماء، فقالوا لا علم لنا بالغيب، وأنت قد نسيتها، فكيف نعرفها نحن.

فقال له دنيال إن ربي قد أخبرني رؤياك وتأويلها. فقال بخت نصر، فأخبرني يا دنيال.

فقال: رأيت صنما رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، أعلاه من ذهب وصدره من فضة، وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من خزف، ورأيت حجرا صغيرا قد نزل من السماء على رأس الصنم، فحطم جميع جسد

(267) عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب، أبو موسى صحابي بن الفاتحين الشجعان، واحد الحكمين في النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية (والحكم الثاني هو عمرو بن العاص) عقب معركة صفين، ولد في زبيد سنة 21 هجرية، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة 33هـ، فافتتح أصبهان والأهواز ولما ولي عثمان أقره على ولايته ثم عزله ثم ولاه علي الكوفة إلى أن قتل عثمان، فأقره على ولايته ولما نشبت معركة الجمل أمر أبو موسى أهل الكوفة بالتزام الحياد فعزله علي، فأقام حتى وقت التحكيم فخدعه عمرو بن العاص، وبعد ذلك اعتزل السياسة حتى توفي سنة 44 هجرية، انظر أخباره في طبقات ابن سعد (4/79) والإصابة (رقم 4889) وحلية الأولياء (1/250) وفي غيرها من كتب السير والتاريخ.

(268) مدينة قديمة هي الآن خراب في إقليم خوزستان، اسمها القديم «شوش»، وقد افتتحها المسلمون في سنة 17هـ، على يد أبي موسى الأشعري الذي فتح خُوزستان بعد انتصاره على جيش كان يقوده هرمزان والجغرافيون العرب يشيدون بصفة خاصة بصناعة النسيج التي كانت مزدهرة في السوس. وقد ذاع صيت حرير السوس في كثير من البلاد، وكذلك اشتهرت بزراعة قصب السكر والليمون. ويقول المقدسي أنها كانت اطلالا وخرائب في عصره (القرن الرابع الهجري) انظر عن السوس: كتاب البلدان للهمذاني (ص 227، 236، 253) تقويم البلدان (ص 314)، معجم البلدان (3/280 ـ 281) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 124) صبح الأعشى (3/251، 265، و4/339؛ 341 و5/169، 174)، وانظر كذلك مقالة شترك (Streck) في دائرة المعارف الاسلامية والمراجع غير العربية التي أحال إليها.

الصنم، وخلط بعضه ببعض حتى صار ترابا، وعظم ذلك الحجر حتى ملأ ما بين السماء والأرض.

فقال : صدقت والله يا دنيال، فأخبرني ما تأويل هذه الرؤيا، فقال :

أمـا الصنم، فإنه ملككم، معاشر العجم، فالذهب الملوك، والفضة أتباعهم، والنحاس خدامهم، والحديد جنودهم، والخزف صغارهم، والحجر نبي اسمه محمد، صلوات الله عليه، يخرج في آخر الزمن يحطم ملككم حتى لا يبقى له أثر على وجه الأرض، ويملأ دينه وتملك أمته ما بين السماء والأرض.

فأطلقه بخت نصر وأطلق من كان معه من بني إسرائيل، وأحسن إليه، وكان لا يقطع أمرا دونه.

ثم إن بخت نصر رأى أيضا رؤيا فنسيها، فسأل عنها دنيال، فقال له دنيال :

- رأيت شجرة عظيمة لها سبعة أغصان، على كل غصن من أغصانها أنواع الحيوانات، ما لا يعد ولا يحصى، ثم رأيت ملكا نزل من السماء، فنزع أغصان تلك الشجرة وتركها جذعا قائما.

فقال له بخت نصر هذه رؤيا، فما تأويلها ؟ فقال له دنيال :

- أما الشجرة فإنها أنت، وأن الله تعالى سيمسخك على صورة كل حيوان كان على تلك الشجرة، وتبقى سبع سنين. وأول ما تمسخ على صورة العقاب، وآخر ما تمسخ على صورة الذبابة، ثم ترجع إلى قصرك ويردك الله على صورتك التي كنت عليها وتؤمن بي ثم تموت من ليلتك.

ففزع وقال بخت نصر، يا دنيال، ما علامة المسخ ؟ فقال :

إذا رأيت خضرة الريش (أ) على ذراعيك، فاستخلف ابنك على ملكك حتى تعود بعد سبع سنين (ب).

فلما كان ذات يوم، نظر بخت نصر إلى ذراعيه فرأى خضرة الريش تحت

(أ) في الأصل : إذا رأيت خضرة الروش التي للريش. في (و) : إذا ظهرت خضرة رؤوس الريش على ذراعيك، فاعلم ذلك، فلما نظر بخت نصر إلى ذراعه إلخ.

(ب) سقطت سبع سنين في الأصل وفي (و).

الجلد في ذراعيه، فخرج إليه قومه وأحضر أمراءه وابنه واستخلفه على مملكته وعهد إليه أن لا يفارقه دنيال حتى يعود، فإن دنيال أعلم أهل الدنيا، ثم انتفض فصار عقابا، وطار في الهواء والناس يرونه، فغاب عنهم سبع سنين يمسخ في سائر الحيوانات حتى مسخ ذبابة، فرجع إلى قصره، وجلس على سريره، وانتفض فصار آدميا كما كان، فسجد له أهل مملكته، وفرحوا برجوعه، فحمد الله وأثنى عليه، وشهد شهادة الحق، وآمن بدنيال، وآمن معه قومه، ودخل داره، فمات تلك الليلة، ومات بعد دنيال، فكانوا يستسقون بجسد دنيال. يخرجونه إذا قحطوا، فتعجب عمر مما حدث به، وكتب إلى أبي موسى أن يدفنه تحت الماء، بحيث لا يصل إلى جسده إنسان، فأمر أبو موسى بنهر السوس فحول من مكانه، وحفر في وسط ذلك النهر، وأطبق على ذلك الصندوق لوح رخام ملصق بالرصاص، وبنى عليه ضريحا محكما بالصخر والنورة، حتى لا يصل إليه الماء، ثم أجرى النهر على قبره، وبنى بقربه، على جانب الشط في محاذاة القبر مسجدا كبيرا يعرف بمشهد دنيال، وعلى قبر دنيال وحوله أنواع السمك، صغار وكبار، ولهم حد محدود إذا تعدته سمكة وأخذت لم يضر أخذها شيئا، وإذا أخذ منها سمكة في حرم دنيال، أصابت الآخذ آفة عظيمة. وفيها سمك كبار كالداوب، قد أنِسُوا بالناس وإذا دخل في ذلك الماء إنسان، أو أدخل يده، جاءت السمكة إليه تأخذ الخبز من يده. ويقولون إنها لا تأكل إلا ممن ماله حلال.

قال، فربما يجيء إليهم بعض الظلمة ويلقي إليهم الخبز، فيغوصون في أسفل النهر ولا يتعرضون له بلقمة، ويأتي الرجل الذي ماله حلال برغيف واحد فيتقاتلون على ذلك الرغيف، وقد تركوا أرغفة كثيرة من مال ذلك الظالم.

وفيها سمكة كبيرة كالغنمة الكبيرة في أذنها حلقة ذهب، فسألت عنها لم جعلوا في أذنها حلقة؟ فقالوا: جاء بعض الأمراء وألقى طعامه إلى السمكة، فنفرت ولم تأكل منه شيئا، فغضب وضرب هذه السمكة بحربة فجفت يده في الحال والوقت، فتاب إلى الله وتضرع إليه وخرج من المظالم، وقال إن صحت

يدي جعلت في أذن تلك السمكة قرطا من ذهب، وكانت تلك السمكة مجروحة معروفة بين السمك، فدخل بعدما صحت يده وأمسكوا له السمكة حتى جعل تلك الحلقة في أذنها، وذلك أيضا من عجائب الله عز وجل.

وذلك السمك لا يفر من الناس، وقد أنس بهم، يزورون مشهد دنيال من جميع المواضع، وعلى ذلك المشهد أوقاف كثيرة، وخادم يخدم الزائرين والغرباء المجاورين، والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

وفي المغرب الأعلى، قريبا من القيروان، قبرُ رجل صالح يقال له محمد المعلم، وكان من الزهاد، مستجاب الدعوة، وكل من مر على قبره يأخذ من ترابه شيئا، فإذا ركبوا على البحر، وهاج البحر وعصفت الرياح، وكثر الموج، أخرجوا من تراب قبره شيئا وألقوه في البحر، ودعوا الله تعالى يسكن البحر وزالت الرياح وسهل عليهم السفر، وهذا معلوم في أرض المغرب. وكان رجل من أصحابنا قد أخذ من ترابه وجعله مع ذهب كثير في هميان كان معه ودخل البحر فأخرج الهميان وهو على جانب السفينة، والشراع يطير بالسفينة كالطير، فطرحه في حجرة ونسيه وقام على غفلة فسقط الهميان في البحر، وذهب فصاح الرجل وبكى وانقطع به الاياس (أ) ولم يكن له في السفينة إلا ذلك الهميان. لأن أهل المغرب لا يتجرون في طريق الحج، وإنما يخرجون بالذهب للنفقة، فأيقن بالفقر وأيس من وجود ذلك الهميان لأنه في وسط البحر والسفينة مسرعة كالطير الطائر. فلما كان العشي رفعوا دقل السفينة، ووجدوا ذلك الهميان بذهبه ملفوفا على رجل السفينة، فأخذه صاحبه وفرح به وتعجب الناس، وقالوا هذا ببركة تراب قبر الزاهد، محرز رحمه الله[269].

(أ) سقطت كلمة الاياس في الأصل وفي (و).

---

(269) محرز بن خلف المعروف بالمؤدب، راجع أخباره رحلة التجاني (طبع تونس 1958، ص 251 ـ 321) وكذلك «المنتخبات التونسية للناشئة المدرسية لحسن حسني عبد الوهاب (تونس 1337هـ، ص 67 ـ 69) وفيه: الولي الصالح الكبير والواعظ محرز بن خلف بن زين، ويتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان يشتغل بتربية الصبيان وتعليمهم العربية وأصول الدين ومكارم الأخلاق حتى لقب بالمرب محرز، ومدرسته هي التي دفن بها المعروفة باسمه داخل مدينة تونس. وكان ورعا فاضلا-عالما جليلا وتوفي برد الله ثراه، على عهد الأمير المعز الصنهاجي، وقد تجاوز سنه سبعين عاما.

وفي وسط مصر (أ) مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان[270]، وهو بين طريقين في ركن وله شبابيك من حديد كل من مر به من الناس، يقول رحمك الله، يا عفان، فأعجبني ذلك وسألت علماء مصر عنه، فقالوا هذا عفان، كان رجلا خياطا، فاشترى يوما غلاما زنجيا شابا فجعل يخدمه، فلما كان يوما أمره عفان أن يسجر التنور ليخبز فيه، فسجر التنور وشهقت النار في التنور، ففرح الأسود، فطرب لشهيق النار، ومضى إلى ثياب عفان، التي كان يتجمل بها فألقاها في التنور وعمامته وكل ما كان له، فرأى عفان ما صنع العبد، فرزقه الله صبرا وحلما، فأخرج العبد وزوده وأعتقه وأشهد على عتقه، ورجع إلى البيت، وقد سمع الناس بما فعل الزنجي، وما فعل عفان في حقه، فوقع لعفان في قلوب الناس محبة لما يريده الله تعالى به من الخير، فجاء إليه رجل من كبار التجار، وقال إن لي بضاعة تصلح للهند، وقد اخترت أن تذهب بها، فما ربحت، فلك كذا وكذا، واتفقا وجهزه ذلك التاجر، وخرج عفان ومعه أموال كثيرة لذلك الرجل، ووصل إلى عدن وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم ركب في البحر وذهب إلى بلاد الهند، وباع ماله الذي كان معه وربح ثم انصرف، ونزل السفينة، فعصفت الريح عليهم فألقت السفينة إلى بلاد الزنج، فخاف التجار على أنفسهم واضطروا إلى الدخول خوفا من الغرق.

فلما وصلوا إلى البر استقبلهم الزنوج، وجعلوا يأخذون رجلا رجلا يحملونه إلى الملك، ويردونه إلى السفينة، ولا يكلمه الملك بشيء حتى أخذوا عفان فأدخل على الملك.

فلما رآه الملك قام إليه وقبل يديه ورجليه ووقف بين يديه، ففزع عفان. فقال الملك للترجمان: قل له، الست عثمان الخياط بمصر الذي اشتريت غلاما زنجيا وأحرق ثيابك وأعتقته وزودته، ولم تضربه ولم تؤذه، وقد أساء إليك؟

(أ) في الأصل وفي (و) «وفي مصر في وسط البلد».

(270) تعرف عالم الآثار بول كزانوفا P. Casanova على المكان الذي كان يقع فيه مسجد عفان الذي وصفه أبو حامد في مدينة الفسطاط. انظر كتابه Essal de Reconstruction topographique de la ville al-Fostat ou Misr (Le Caire 1913-1919 — TXXXV des mémoires de l'Institut Franc. d'Archéologie p. 38-43).

فقال عفان : نعم أيها الملك. فقال الملك : أنا عبدك الذي أعتقتني، وأعطاني الله هذه النعمة ببركة إحسانك إلي، وجميع هذه المملكة لك. فاجلس عندي وأنا ملك هؤلاء وأنت ملك علي. فحمد الله تعالى عفان، وقال : أيها الملك أنت لي كالولد، وبلادكم لا تصلح لي لكثرة الحر وعدم الجنس.

فأمر الملك له بسفينة وحمل معه من الأموال ما لا نهاية له ووهب الجميع له وبعث معه من عبيده من يوصله إلى بلاده، وخرج بها لا يدري نهايته.

وكان عفان رحمه الله لا يرد سائلا وعمل من الدور والخانات والدكاكين والحمامات كثيرا، وأوقف الكل على الفقراء المسلمين، وهذه داره جعل فيها هذا المسجد، وحفر فيها قبره، وكان يصلي في قبره كل ليلة، وجميع أمواله الآن وقف على قبره، في كل يوم اثنين وخميس وجمعة يحضرون الوكلاء ومعهم الثياب للرجال والصبيان والبنات والدراهم، ويدخلون المسجد ويأتون الفقراء من خارج الشبابيك الحديدية التي جعلت في حيطان المسجد، فيقسمون على الفقراء أموالا كثيرة، وكل من عبر عليه يقول : رحمك الله يا عفان، كل يوم وكل ليلة آلاف من النساء والرجال والصبيان، وكنت أقف عند قبره وأرى كثرة من يدعو له بالرحمة كل ساعة، حتى الصبيان الصغار، أبناء سنتين وخمس سنين، فكنت أتعجب مما سهل الله له من الخير حيا وميتا، ولقد حدثت عنه بمصر رجلا من أهل المغرب وصل إلى مصر وأراد الحج وأن يجاور بمكة، وكان عنده آلاف من الأموال، فجاء إلى إمام جامع عمرو بن العاص، وكان رجلا صالحا من العلماء، فقال له ذلك التاجر :

- يا سيدي، جئت إليك في حاجة لك فيها ثواب ولي فيها معونة، فأسألك أن تقضي حاجتي ولا تردني. فقال : أفعل إن شاء الله فقال :

- إني أريد الذهاب إلى الحج ومجاورة بيت الله تعالى، وعندي شيء من المال أودعه عندك حتى أرجع من الحج، فإني أخاف عليه إن كان معي.

فأخذه الفقيه ووضعه في مخزنه،. وذهب صاحب المال إلى الحج وكان للفقيه الإمام بنات كبار ولم يكن له مال يجهزهم به للاكفاء.

فقالت له زوجته إن هذا المال وديعة عندك تشري به عقودا وحليا لبناتك ونجهزهن به ويدخلن عند أكفائهن وتستريح من همهن. فإذا حصلن عند الأزواج(271) وجاء صاحب المال جمعنا ذلك الحلي والجوهر وجعلناه ذهبا وبقيت بناتك عند أزواجهن.

فما زالت به حتى فعل وزوج جميع بناته، وأخرج مع كل واحدة جملة الحلي والجواهر.

فلما كان بعد ثلاث سنين، جاء صاحب المال فدخل على الإمام في الجامع وسلم عليه ورحب به، وقال له :

- وديعتك غداً تأخذها.

فقال، متى شئت.

فرجع الإمام إلى داره مهموما، وقال لأهله :

- أما أنا فإني غدا في السحر، أخرج من مصر وأذهب إلى البادية بحيث لا يسمع لي خبر، فإن صاحب المال قد جاء وأنا أستحيي من الفضيحة.

فلما كان بالليل خرج الفقيه وأراد الذهاب على وجهه هاربا فجاء إلى درب عفان، وهو مغلق، ورأى مسجد عفان مفتوحا فدخل في المسجد، فخرج عفان من داره متنكرا، فدخل المسجد فجلس إليه وسلم عليه وكل واحد منهما لا يعرف صاحبه، فسأله عفان، من هو وما حاله ؟ فقال له الإمام، ومن أنت ؟ فقال عفان، رجل غريب.

فاطمأن الإمام وقال له، أنا إمام جامع عمرو بن العاص، وقد أصابتني مصيبة، ووصف له حاله، و[قال] قد عزمت أن أفر من هذه البلدة ولا أعود إليها خوفا من العار.

فقال عفان، أو يسهل الله تعالى لي ولك، خير من هذه ثم قام فخرج وأغلق باب المسجد من الخارج حتى لا يخرج الإمام، ودخل داره وأخرج على رؤوس العبيد أكياسا فيها من الذهب مثل ما كان عند الإمام وديعة، وقال للإمام :

(271) الضمائر كلها في هذه الفقرة وردت للمذكر في جميع النسخ من نجهزهم إلى أزواجهم.

ـ خذ هذا قرضا من عندي تؤديه إلى صاحب المال إلى أن تبيع أنت حلي بناتك بحيث لا يشعر أحد.

ففرح الإمام ورجع إلى داره والمال يحمل بين يديه، وهو يحمد الله تعالى ويدعو لعفان.

فلما كان بالغداة جاء المودع، صاحب المال، فأعطاه إياه، فقال:

ـ أيها الإمام هذا ليس عين وديعتي، وإن كان الوزن (أ) والعدد واحدا، ولكنني لا آخذه حتى تخبرني بما غيرت مالي وماذا ألجأك إلى هذا.

فأخبره بالقصة على وجهها، فقال المودع:

ـ أيها الشيخ: أما الوديعة فحق الله تعالى، كنت أطلب له مستحقا، وقد وجدتك، فالمال حقك، ولا شكر إلا لله تعالى.

ففرح الرجل وأهل بيته، وحمدوا الله تعالى، فخرج الإمام وحمل المال إلى عفان وأخبره بالخبر. فقال له عفان، الحمد لله الذي أراح سرك ووسع عليك. إن هذا المال لم أخرجه إليك ليرجع إلي، وإنما أخرجه هبة لك لأجل الله تعالى.

فصار الإمام من الأغنياء ببركة عفان، وكم لعفان مثل هذا وأكثر منه، سرا وعلانية!

وأمرُ عفان مشهور بمصر وفي جميع المغرب على ألسن المسافرين، و﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[272]، فهو ميت خير من الملوك الأحياء الذين يبخلون بالدنيا على أنفسهم، حكم الله لنا ولجميع المسلمين بالخير في الدنيا والآخرة.

ونختم هذا الكتاب بحكاية عجيبة في أمر أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وهي من أعجب الحكايات في قصة قبره عليه السلام،

(أ) تكرار كلمة الوزن في الأصل.

---

(272) القرآن (التوبة ـ الآية 121).

وظهوره بعد الثلاثين وخمسمائة في ناحية بلخ[273] في قرية كبيرة يقال لها الخير»[274].

رأى جماعة من أهلها الصالحين النبي ﷺ في النوم وهو يقول لهم، ابن عمي، علي بن أبي طالب في هذا الموضع، ويشير لهم إلى موضع قريب من القرية. وتواترت هذه الرؤيا عندهم، وكثر من رأى هذه الرؤيا حتى بلغوا أكثر من أربعمائة، كل واحد منهم من الصالحين من قرية الخير، ومن مواضع أخرى، فذهبوا إلى قماج، صاحب بلخ في زمان سنجر[275]، وحدثوه بما رأوا وما سمعوا من النبي ﷺ، فجمع العلماء وعرض عليهم ما قالوا وما شهدوا به.

(273) بلخ (= باختريش بالفارسية القديمة)، تقع على الشاطىء الجنوبي لنهر جيحون على رافده دهاس الذي لم يعد متصلا به في الوقت الحاضر في السهل الشمالي المنبسط على الطريق التجاري الهام الذي يصل الممرات الجبلية بنهر جيحون. كانت بلخ قاعدة ولاية خراسان قبل أن تصبح مركز الإشعاع الديني والثقافي لمملكة طخارستان. فتحها الأحنف بن قيس في سنة 31هـ. ولكن مسلم بن قتيبة هو الذي وطد الحكم الإسلامي فيها وقضى على الفتن والاضطرابات التي كانت فيها في سنة 90 هجرية، على أن المدينة قدر لها أن تشهد فتنا أخرى بين القبائل العربية انتهت بتخريبها، فأمر عبد الله القسري بإعادة بنائها في سنة 107 هجرية. وبلخ الحالية عبارة عن قرية ليس لها أهمية تذكر. انظر عن بلخ: مروج الذهب (4/47 وما بعدها) تاريخ الطبري (في عدة مواضع) الكامل لابن الأثير (الفهرس) رحلة ابن بطوطة (3/58 ـ 63) كتاب البلدان للهمذاني (ص 322 ـ 325) صورة الأرض لابن حوقل (ص 373 ـ 374) تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 60، 461 المخطوط) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 174) صبح الأعشى (4/313، 395، 396، 445) آثار البلاد للقزويني (الفهرس) معجم البلدان (1/479 ـ 480) وكذلك (المصدر المذكور ص 420، 432) Le Strange.

(274) ذكر هارتمان في مقالته في دائرة المعارف الإسلامية عن بلخ (1/635) أن قداسة المدينة بقيت ممثلة في مزار شريف الذي ذكر لأول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي. ويقال إن هذا المزار لعلي. ولكن التأكيد بأن قبر علي قد اكتشف في القرن الثاني عشر لا أساس له من الصحة، كما يدل على ذلك نص أبي حامد.

وأما قرية الخير المذكورة فهي تسمى أيضا خواجة خير وتبعد عن بلخ نفسها بثلاثة فراسخ (نحو 12 كيلو مترا) انظر Le Strange (المصدر المذكور ـ ص 423).

(275) هو السلطان سنجر آخر ملوك الأسرة السلجوقية (511 ـ 557هـ) كان أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان على خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل ودياربكر وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدولة كان من أعظم ملوك المسلمين همة وأكثرهم عطاء وأوسعهم ثراء. قال خازن ماله أنه اجتمع في خزانته من الأموال ما لم أسمع أنه اجتمع في خزائن أحد من ملوك الأكاسرة. ولم يزل أمره في اتساع حتى هزمه الغز الأتراك في سنة 547هـ. وأسروه. ثم أنه أفلت من أسره بعد خمس سنوات (واجتمع حوله أنصاره في مرو، وكاد يسترد ملكه لولا أن القضاء عاجله ومات هناك. انظر أخباره في الكامل لابن الأثير في عدة مواضع، وخصوصا في 10/141 ـ 265 ـ 268 ـ 347 ـ 350 ـ 367 ـ و11/27 ـ 29 ـ 143 ـ 148 ـ 176 ـ 183) (وفيات الأعيان: 2/427 ـ 428) وتاريخ أبي الفدا (3/312 وما بعدها) وكذلك (المصدر المذكور ص 401) Le Strange.

فقال العلماء، قال عليه السلام : «من رآني رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي».

فقال فقيه منهم أيها الأمير، هذا محال، ورسول الله، ﷺ، لا يقول المحال. علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قتل بالكوفة [و] اختلف الناس في قبره، فمنهم من قال دفن في جامع الكوفة، تحت المنارة، ومنهم من قال دفن في كوخ زادوه (أ)، ومنهم من قال دفن بالغري (ب)، وعليه بني المشهد، فكيف يجيء إلى بلخ، مسيرة ألف فرسخ، وأكثر هذا محال.

فانصرف الناس، فلما كان نصف الليل خرج ذلك الفقيه من داره ومعه أولاده وأصحابه، وهو يصيح، إلى أن جاء إلى دار الأمير قماج، وهو يصيح ويستغيث، فأدخل خبره على قماج، فأمر بإدخاله عليه، فقال له، ما أصابك ؟

فقال، أيها الأمير، أنظر إلى وجهي وجسدي، فنظروا إليه بالشمع، فإذا بوجهه قد أسود و[كذلك] جميع جسده من كثرة ما ضرب ولطم ولكم، وجعل يبكي.

فقال له الأمير قماج، أيها الشيخ الإمام، من فعل بك هذا ؟ قال، كنت نائما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين لهم ظفائر وشعور، وعليهم ثياب بيض، شباب وكهول وشيوخ وصبيان، وقالوا : أنت الذي تكذب رسول الله ﷺ، وتقول إن أمير المؤمنين ليس ها هنا ؟ فأخذوني وسحبوني، وهم يسبونني، حتى أوقفوني على قبر مفتوح فرأيت أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب جالسا في القبر أبيض الرأس واللحية، وقالوا : أليس هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؟ ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت، فقلت يا أمير المؤمنين إرحمني، فأشار إليهم علي عليه السلام بيده، فتركوني، فاستيقظت وجميع أعضائي كأنها مكسرة، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلته.

(أ) كذا في الأصل سقطت الكلمة في (و) في بقية النسخ بكر ذادوده.

(ب) كذا في الأصل في (و) الغز في (م) الغديرم لم أتمكن من التعرف على هذا المكان في جميع أشكاله.

فلما رأى الأمير ذلك، خرج بجميع عسكره إلى تلك القرية وحفروا في الموضع الذي أمرهم به رسول الله ﷺ فوجدوا القبر عليه لوحان من رخام، وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة، وكفنه صحيح، فرآه الأمير وجميع العلماء، ووجدوا تحت خده لبنة حمراء فيها مكتوب بالأصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه، فبني عليه مشهد عظيم، أحسن وأبهى من مشهد الغرى، وتلك اللبنة في كيس من ديباج معلقة في محراب المشهد، وأكثر أولئك الذين رأوا المنام بعد في الحياة. والناس يزورونه من جميع بلاد خراسان وبلخ وسمرقند. ومن عجائب الأمور أن يظهر قبر أمير المؤمنين في ناحية بلخ، ولا يعرف به إلا بعد الخمسمائة.

وقال بعض العلماء شعرا:

[كامل مرفل]

ما بالغري سوى المغيرة   والله أعلم بالسريرة
ما قبر حيدر بالعراق   ولا الشام ولا الجزيرة
الله أودع قبره   بالخير في أرض نظيره
بخ لبلخ إذا غدت   بجوار ملحده منيره
رؤيا رآها صالح   في أمة منهم كثيره
قال النبي لهم بها   هذا ابن عمي في الحفيره
هذا علي هاهنا   فلتجهدوا يا أهل خيره
فاحتفروا واجتهدوا   حتى بدا وجه الحظيره
فيها أمير المؤمنين   كالشمس وقت الظهيرة
لم يحتكم فيه البلى   حاشا له من أن يطيره
متوسدا بزبورة   فيها خطوط مستديرة
هذا محب محمد   ووصيه دون العشيره
هذا أبو (أ) أحبابه   ما زال في الدنيا نصيره

(أ) كذا في الأصل وفي (و) في (م) ولي.

هـذا مـبيـد عـداتـه هذا الـذي يدعى وزيره
هـذا خصـم علـومـه مولـى البرية ذي البصيره
هـذا أخـوه وصـهـره ولـيـه هـل مـن نظـيـره
[صـلـى علـيـه الهـنـا وأعان شبـر شبيـره (أ)

(ب) والحمد لله رب العالمين وصلوات الله على محمد وآله أجمعين، وسلم وشرف وكرم أبـدا. نجز هذا الكتاب بانقضاء هذا الباب، قال مؤلف هذا الكتاب في النسخة التي نقلت منها هذه النسخة، وهي بخط المؤلف، تغمده الله برحمته، كتبه جامعه العبد المعترف بعجزه وتقصيره الذي لم يحصل من العلم على عشر عشـير نقيره أو قطميره، محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي الغرناطي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين، ثم وجد بعد ذلك مكتوبا بغير خط المصنف، رحمه الله تعالى، سماعا بليغا، وذلك ما صورته، سمع جميع هذا الجزء من كتاب تحفة الألباب على مؤلفه الشيخ الإمام الأجل، العالم، ناصح الدين جمال الاسلام، أبي حامد، عبد الرحمان بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي الغرناطي، أدام الله أيامه، السادة الشيخ الامام العالم العارف، معين الدين شرف الاسلام، لسان الحقيقة

(أ) انفرد الأصل عن بقية النسخ بهذا البيت.

(ب) انفردت النسخة التي اعتبرناها أصلا بالخاتمة الطويلة الموضوعة بين القوسين المربعين بينما اختتمت النسخة التي رمزنا لها بحرف (و) والتي اعتبرناها النسخة الثانية بعد الأصل بالعبارات التالية :

«كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه وإخوانه وذريته وكافة المسلمين أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

وأما اسم ناسخ هذه النسخة فقد ورد في الصفحة الأولى التي تشكل الغلاف، كما يلي : كتبه العبد الفقير المحتاج إلى رحمة ربه القدير عبده الحاج أحمد بن الحاج حسين، عفا الله عنهما بمنه وكرمه آمين، وذلك بتاريخ أول شهر حجه الحرام عام 1227، ألف ومائتين وسبعة وعشرون (كذا) من هجرته عليه الصلاة والسلام.

وأما النسخة التي رمزنا لها بحرف (م) فتنتهي كما يلي : تم الكتاب وكان الفراغ من هذه النسخة يوم الثلاثاء المبارك عشرون شهر رجب الفرد من شهور سنة ألف ومائة وأربعين.

ابو حفص عمر بن محمد الخضر، أدام الله أيامه، والشيخ الامام العالم، شرف الدين، عز الأئمة، أبو حفص عمر بن نصر بن حسان، أدام الله أيامه والشيخ أبـو حفص عمـر بن أبي بكـر بن حفـاظ والشيخ إسماعيل بن محمد بن أبي الفضل، والشيخ أبو العز يوسف بن أحمد بن منيع بن حسان، والشيخ الزاهد، أبو طاهر بن أبي الحسن بن هذار، والشيخ العالم، عبد الرحمان بن عبد الواحد بن عبد الله البغدادي، ومحمد بن علي بن سالم الرحبي، خادم الشيخ المسموع عليه، وأبو الحسين بن منصور، وبن أبي البركات، وسمع الشيخ أبو الفتح نصر بن خير بن عبد الله أكثره، وأجاز له مسعود بن محمد بن علي ومحمد بن أبي بكر أبي الطاهر، ومحمود بن علي صاحب شرف الدين، وأبو العلا نصر بن صفي الدين بن أبي بكر بن نصر بن حسان، وأجاز لهم الباقي الشيخ الامام المسموع عليه المتقـدم ذكره وسمع سالم بن أبي الوفاء بن سالم بعضه وأجاز له الشيخ الباقي، وكاتب السماع هبة الله بن يوسف ابن عامر بن علي الزنجان، سمع جميعه، وذلك في مجالس آخرها في الثالث من ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل في زاوية الشيخ معين الدين شرف الاسلام، عمر بن محمد بن الخضر، أدام الله أيامه.]

انتهى الكتاب

ا. مقتبسات للقزويني من تحفة الألباب

(لم ترد في النسخ التي بين أيدينا أو وردت بصيغ مختلفة).

1. من كتاب عجائب المخلوقات:

(تحقيق ونشر وستنفلد ليبسيك 1848 في جزأين - جزء 1 صفحة 124)

بحر المغرب... فصل في جزائره

ذكر أبو حامد الأندلسي في كتابه الذي ألفه لابن هبيرة[276] أن بمجمع البحرين جزيرة فيها منار مبنية من الصخر الصلد الذي لا يعمل فيه الحديد، ولها أساس راسخ، وليس للمنارة باب، وعلى رأس المنارة صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب ويده ممدودة إلى البحر الأسود، كأنه يشير بأصبعه إلى شيء. وعلو المنارة أكثر من مائة ذراع، وقال غيره إن تلك الصورة طلسم عمله بعض الملوك صيانة لذلك الموضع من إتيان العدو، وأنه مأمون مادام ذلك الطلسم باقيا.

ومنها جزيرة تنيس[277] وهي في بحر الروم. ذكر أبو حامد الأندلسي أنها

---

(276) الكتاب المقصود هنا ليس هو تحفة الألباب بل كتاب آخر لأبي حامد لم يصل إلينا، وهو بعنوان المغرب عن بعض عجائب المغرب، ذكره اسماعيل باشا البغدادي في هداية العارفين (تصوير المثنى 1955 - 6/94) وقال أنه صنف المجموع المغرب في بعض عجائب المغرب، فرغ منه سنة 555هـ، ببغداد أثناء إقامته في ضيافة، الوزير ابن هبيرة.

(277) تنيس عبارة عن مدينة (مصر) في وسط بحيرة، والبحيرة في جزيرة. يضع ابن سعيد جزيرة تنيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وقد ذكر أن نوعا من الثياب العالية تنسب إليها. ذكر القلقشندي مدينة تنيس وقال أنها كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة. فاغرق ما حولها وصارت بحيرة وهي الآن قرية صغيرة بوسط البحيرة والماء محيط بها. وقد خصص المقريزي في الخطط مكانا مهما لمدينة تنيس التي يعزو بناءه إلى الملك فيلمون، قبل أن يغرقها البحر وحولها الزرع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للخمر وعمارة لم يكن أحسن منها. وقال عنها ياقوت أنها جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، وقال أن حالها كحال دمياط إلا أنها أجمل وبها تعمل الثياب الملونة والفرش البوقلمون، وقد تعرف علماء الحفريات في العصور الأخيرة في مدينة تنيس على مدينة أفاريس (Avaris) القديمة والتي كانت مقرا لأسرة رمسيس الفرعونية. وقد عثر فيها العالم الأثري مونتيت (Montet) على معبد وعلى عدد من قبور الفراعنة من ملوك الأسرتين الواحدة والعشرين والثانية والعشرين. انظر عن تنيس. كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 149) الخطط للمقريزي (طبعة دار صادر بالأوفسيت، 1/176 وما يليها) معجم البلدان (طبعة بيروت 2/51 - 54) وفيه رسم للجزيرة وضعها فيه بين دمياط والفرما، تقويم البلدان لأبي الفدا (ص 28، 108) صبح الأعشى (3/241، 384، 410، 490، 527) خريدة العجائب لابن الوردي (ص 90 - 91).

جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى كثيرة. ومن عجائبها أنه يخرج إليها من أنواع السمك ما لا يوجد في غيرها من ذلك البحر، ويقيم كل نوع عندهم أياما يصطادونه ويأكلونه ثم ينقطع ويجيء نوع آخر، وهكذا، أبدا، وهي مائة ونيف وثلاثين نوعا وسيأتي شرحها في فصل البلدان إن شاء الله تعالى.

ومنها ما ذكره صاحب تحفة الغرائب، قال: في بحر الروم جزيرة فيها أشجار وأزهار من شم منها شيئا ينام لساعته.

ومنها ما ذكره أبو حامد الأندلسي، أن على البحر الأسود من ناحية الأندلس جبلا عليه كنيسة من الصخر منقورة في الجبل[278] وعليها قبة كبيرة، وعلى القبة غراب مفرد لا يبرح في أعلى القبة. وفي مقابل الكنيسة مسجد يزورونه ويتبركون به، ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب، وقد شرط على القسيسين الذين يسكنون تلك الكنيسة استضافة كل مسلم يقصد ذلك المسجد، وكلما وصل أحد إلى ذلك المسجد أدخل الغراب رأسه في روزنة على أعلى تلك القبة التي على الكنيسة، ويصيح بعدد كل رجل صيحة، فيخرج الرهبان بالطعام إلى أهل المسجد ما يكفيهم، وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب. وزعم أولئك القسيسون أنهم مازالوا يرون غرابا على تلك الكنيسة ولا يدرون أين مأكله.

ومنها **جزيرة جالطة** قال أبو حامد الأندلسي رأيت في بحر الروم جزيرة يقال لها جالطة مملوءة بالغنم الجبلية مثل الجراد المنتشرة لا يمكنها الفرار من الناس. فإذا وصلت المراكب إليها أخذت منها ما لا يحصى، وهي أغنام سمان كبار ونعاج وحملان، وليس في تلك الجزيرة غير الغنم، وفيها عيون وحشيش وشجر وجبال، وهي على طريق الاسكندرية في البحر تقصدها السفن من كل جانب، وذكر أنه لو حملت كل سفينة في ذلك البحر منها لا تفنى لكثرة ما فيها (1/127).

(278) نقل ابن الوردي هذه القصة عن أبي حامد في خريدة العجائب المنسوب إليه (ص 91).

ومنها [من الحيوانات العجيبة] سمكة كبيرة إذا نقص الماء بقيت على الطين ولا تزال تضطرب إلى ست ساعات ثم تنسلخ من شدة اضطرابها وتململها، فيظهر لها جناحان من تحت جلدها، فتطير وتتحول إلى البحر، ذكرها أبو حامد الأندلسي (1 / 128).

بحر الخزر... فصل من جزائره

منها ما شاهدها أبو حامد الأندلسي، قال رأيت في هذا البحر جبلا من طين أسود كالقير، والبحر محيط به، وفي سنام ذلك الجبل شق طويل يخرج منه الماء، ويخرج مع ذلك الماء مثل صنجه الدانق من الصفر، وربما يكون أكبر وأصغر يحملها الناس إلى الآفاق للتعجب.

ومنها جزيرة الحيات قال أبو حامد إنها بقرب الجبل الأسود الذي ذكر، وهي جزيرة امتلأت من الحيات، وفيها حشيش كثير لا يقدر أحد أن يقع رجله على الأرض لكثرة ما فيها من الحيات الملتفة بعضها على بعض، وطير البحر يبيض في وسط الحيات، والحيات لا تؤذي بيضه، ورأيت الناس يأخذون في أيديهم القصب القوي والعصا ويزيلون به الحيات من الأرض حتى يضعوا أقدامهم ويمشوا بين الحيات ويأخذوا بيض الطير وأفراخه، والحيات لا تؤذي أحدا منهم.

جزيرة الجن قال أبو حامد هي جزيرة ليس بها أنيس ولا شيء من الوحش، وكانوا يقولون غلب عليها الجن ويُسمع فيها أصوات ولا يجسر أحد [أن] يقربها.

ومنها جزيرة سياكو(279).

قال أبو حامد هي جزيرة كبيرة بها عيون وأشجار وغياض ومياه عذبة وبها

(279) في المشترك لياقوت أن سياكوه (ومعناها بالفارسية الجبل الأسود) موضعان أحدهما جزيرة في بحر الخزر فيها مياه وشجر وخصب يحتلها قوم من الترك بمواشيهم وسياكوه جبل يتصل بمغارة خراسان الخ. المشترك (طبعة وستنفلد، جوتنجن 1846 ـ ص 393) وفي معجم البلدان أنها جزيرة كبيرة بها عيون وأشجار وغياض ومياه ومع ذلك لا أنيس بها. (3 / 292 ـ 293) ويلاحظ ياقوت رسمها في المشترك سياكوه بينما أعطاها في المعجم شكل سياه كوه وانظر تقويم البلدان (ص 218) وكذلك Barbier de Meynard (المصدر المذكور ص 331) Dorn, Mélanges Asiatiques (VI/365)

دواب وحش يرتفع منها الفوه ويحمل إلى سائر البلدان، وهي تقارب شرقي البحر. انتقل إليها قوم من الغزية الترك لاختلاف وقع بين قبائلهم، فانفردوا عنهم إلى هذه الجزيرة.

ومنها **جزيرة الغنم**(280) : قال سلام الترجمان، رسول الواثق بالله، أمير المؤمنين، إلى ملك الخزر : رأينا جزيرة فيها بين الخزر وبلغار فيها من الأغنام الجبلية، مثل الجراد لا يمكنها الفرار لكثرتها. فإذا وصلت السفن إلى تلك الجزيرة، اصطادوا منها ما شاء الله، وأنها نعاج وحملان سمان ما رأيت في تلك الجزيرة حيوانا غيرها. وفيها عيون وحشيش وأشجار كثيرة، فسبحان من لا تحصى نعمه (1/163).

جبل سبلان(281) : قال أبو حامد الأندلسي، هو جبل بأذربيجان، بقرب مدينة أردبيل، من أعلى جبال الدنيا. روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال : «من قرأ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله : وكذلك تخرجون كتب له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تسقط على جبل سبلان. قيل : وما سبلان يا رسول الله ؟ قال : «جبل بين أرمينية وأذربيجان، عليه عين من عيون الجنة، وفيه قبر من قبور الأنبياء». وقال أيضا : «على الجبل عين عظيمة، ماؤها جامد لشدة البرد، وحول الجبل عيون حارة يقصدها المرضى، وفي حضيض الجبل شجر كثير. وبين تلك الشجر حشيش كثير لا يستطيع شيء من الحيوان أن يأكل من تلك الشجر ورقة، ومتى أكل منها يموت من ساعته». قال : ولقد رأيت من البهائم الخيل والحمر والبقر والغنم تقصدها، فإذا قربت منها فرت، حتى العصافير وكنت أظن أن الجن تحميها.

(280) نقل ابن الوردي في خريدة العجائب النص الذي يتعلق بجزيرة الغنم ولكنه أورد تحت عنوان جزيرة جالطة التي يسميها خالطة، الخريدة (ص 91).

(281) قارن مراصد الإطلاع (تحقيق البجاوي، طبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة 1954 - 1/690) وفيه ضبطت شيلان وتقويم البلدان (ص 344) ومعجم البلدان (3/186) وفيه أنه جبيل عظيم مشرف على مدينة أردبيل من أرض أذربيجان وفي هذا الجبل عدة قرى ومشاهد كثيرة للصالحين ومعجم ما استعجم (ص 137، 720).

قال : وفي سفح الجبل قرية اجتمعت بقاضيها، أبي الفرج عبد الرحمان القصيري الأردبيلي، فقال، ما هي إلا عمل الجن. وذكر أنه بنى المسجد المعزوف في القرية، فاحتاج إلى قواعد الأعمدة للمسجد فأصبح يوما وعلى باب المسجد قواعد من الصخر المنحوت، محكمة الصنع، من أحسن ما يكون (1/193).

عين غرناطة : قال أبو حامد الأندلسي : بقرب غرناطة من أرض الأندلس، كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون يخرج الناس إليها ويقصدون تلك الشجرة في يوم معلوم من السنة، فإذا طلعت الشمس في ذلك اليوم، فاضت تلك العين بماء كثير ويظهر على الشجرة زهر الزيتون، ثم ينعقد زيتونا ويكبر ويسود في يومه، ويؤخذ من ذلك الزيتون ما قدر على أخذه، وكذلك من ماء تلك العين بماء للتداوي. قلت : أمَّا حديث شجرة الزيتون فمشهور، وإنما الكلام في محلها، فحدثني الفقيه سعيد بن عبد الرحمان الأندلسي إنها بشقورة. وقال أحمد بن عمر العذري، صاحب المسالك والممالك الأندلسية إنها بلورقة. وقال أبو حامد إنها بغرناطة، وكلهم من أهل الأندلس والجمع بين أقاويلهم [غير] ممكن.

2 ـ وفي كتاب آثار البلاد وأخبار العباد

(طبع دار صادر ـ بيروت 1969)

جالطة : (ص 175) جزيرة على مرسى طبرقة من أرض إفريقية، طولها ثمانية أميال، وعرضها خمسة أميال. بها ثلاث أعين عذبة الماء، وبها مزارع وآثار قديمة، وبها من الأيل ما لا يحصى. حدثني الفقيه، سليمان الملتاني، أن بها عنزا كثيرة أنسية توحشت، إذا قصدها قاصد أهوت نفسها من جبل شاهق، ووقفت على قوائمها بخلاف الأيل، فإنها تقف على قرونها.

جيزة : (ص 182) ناحية بمصر. قال أبو حامد الأندلسي : بها طلسم للرمل، وهو صنم، والرمل خلفه، إلى ناحية المغرب، مثل البحر، تأتي

به الرياح من أرض المغرب، فإذا وصل إلى ذلك الصنم لا يتعداه، والقرى والرساتيق والمزارع والبساتين بين يدي ذلك الصنم. والرمل العظيم خلفه. وكـان مكـان ذلـك الـرمل مدن وقرى علاها الرمل وغطاها. وتظهر رؤوس الأعمدة الرخام والجدر العظام في وسط ذلك الرمل، ولا يمكن الوصول إليها.

قال: وكنت أصعد بعض تلال الرمل بالغداة، إذ تلبد الرمل بالطل في الليل، فرأيت الـرمل مثل البحر، لا يتبين آخره البتة، ورأيت مدينة فرعون موسى عليه السلام، [وهي] مدينة عظيمة بنيانها وقصورها أعظم وأحكم من مدينة فرعون موسى، عليه السلام، والرمل قد غطى أكثرها. فظهر رؤوس الأعمدة التي كانت في القصور، وهناك سجن موسى عليه السلام في جوف حائط باب قصر الملك، والحائط منحوت من الصخر، فصعدت في درج في نفس الحائط، كدرجات المنبر، من الصخر إلى غرفة في نفس الجدار، مشرفة على النيل، وسطح تلك الغرفة وسقفها من ألواح الصخر المنحوت مثل الخشب.

وفي الغرفة باب يفضي إلى بيت عظيم تحت الغرفة، وهو سجن يوسف عليه السـلام وعـلى جدار الغرفة مكتوب: هـهنا عبر يوسف الرؤيا، حيث قال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾(282).

سبـتـة(283): بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر. وهي ضاربة في البحر داخلة فيه. قال أبو حامد الأندلسي: عندها الصخـرة التي وصل إليها موسى، وفتاه، يوشع عليه السلام، فنسيا الحوت المشوي، وكانا قد أكلا نصفه فأحيا الله تعالى، النصف الآخر، فاتخذ سبيله إلى البحر عجبا، وله نسل إلى الآن في ذلك الموضع، وهي سمكة طولها أكثر من ذراع، وعرضها شبر، وأحد جانبيها صحيح، والجانب الآخر شوك وعظام وغشاء رقيق على أحشائها. وعينها واحدة، ورأسها نصف رأس، فمن رآها من

(282) سورة: (يوسف: 41).
(283) انظر أقوال الجغرافيين العرب عن سبتة في كتابنا معجم الحواضر الإسلامية في المغرب.

هذا الجانب استقذرها ويحسب أنها مأكولة ميتة، والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المحتشمين، واليهود يقددونها ويحملونها إلى البلاد البعيدة للهدايا.

عين شمس (ص 225) : ومن عجائب عين شمس أن يحمل منذ أول الاسلام حجارتها إلى غيرها من البلاد وما تفنى. وبها زرع البلسان وليس في جميع الدنيا شجرته ويستخرج منها دهنه. قال أبو حامد الأندلسي : بعين شمس تماثيل عملتها الجن لسليمان عليه السلام، بها منارة من صخرة واحدة من الرخام الأحمر منقوط بسواد، ومربعة أكثر من مائة ذراع، على رأسها غشاء من النحاس، والوجه الذي إلى مطلع الشمس من ذلك الغشاء، فيه صورة آدمي على سرير، وعلى يمينه وشماله صورتان كأنهما خادمان، ويترشح من تحت ذلك الغشاء أبدا ماء من تلك المنارة. ينبت الطحلب الأخضر على موضع مسيله من تلك المنارة، وينزل مقدار عشرة أذرع، ولا يتعدى ذلك القدر، ولا ينقطع نهارا ولا ليلا.

قال : وكنت أرى لمعان الماء على تلك الصخرة وأتعجب من ذلك، فإنه ليس بقرب تلك المدينة نهر ولا عين، وإنما كان شربهم من الآبار، والله أعلم بالأمور الخفية.

(ص 284) الفقرة التي سبق اقتباسها من كتاب عجائب المخلوقات والتي تتعلق بجبل سبلان.

أردبيل (ص 291) : ومن عجائبها ما ذكره أبو حامد الأندلسي : قال : رأيت خارج المدينة في ميدانها حجرا كبيرا كأنه معمول من حديد أكبر من مائتي رطل، إذا احتاج أهل المدينة إلى المطر حملوا ذلك الحجر على عجلة ونقلوه إلى داخل المدينة فينزل المطر مادام الحجر فيها، فإذا خرج منها سكن المطر.

والفأر بها كثير جدا، بخلاف سائر البلاد، وللسنانير بها عزة، ولها سوق تباع فيه، ينادون عليها : إنها سنورة صيادة مؤدبة، لا هرابة ولا سراقة ! ولها تجار وباعة ودلالون، ولها راضه وناس يعرفون.

خوارزم (ص 526) : وبها جبل على ثمانية أميال من المدينة . قال أبو حامد الأندلسي هذا الجبل فيه شعب كبير، وفي الشعب تل عال، وعلى التل شبه مسجد عليه قبة له أربعة أبواب آزاج كبار. ويتراءى للناظر كأن بنيان ذلك المسجد من الذهب ظاهره وباطنه، وحوله ماء محيط بالتل راكد لا مادة له إلا من ماء المطر، والثلج زمان الشتاء، وأن ذلك الماء ينقص ويزيد ذراعا في الصيف والشتاء في رؤية العين والماء ماء عفن نتن عليه طحلب لا يستطيع أحد أن يخوضه . ومن دخل في ذلك استلبه الماء ولا يظهر أثره البتة، ولا يُدرى أين يذهب. وعرض الماء مقدار مائة ذراع .

غرناطة (ص 547) : وهي نفس قصة الكنيسة التي اقتبسناها سابقا من «عجائب المخلوقات» والقصة أوردها ابن الوردي بصيغة مختلفة قليلا (ص 91) .

مدينة النحاس (ص 561) : وقال أبو حامد الأندلسي : دور مدينة النحاس أربعون فرسخا وعلو سورها خمسمائة ذراع ، فيما يقال، ولها كتاب مشهور، في كتابها أن ذا القرنين بناها، والصحيح أن سليمان بن داود عليه السلام، [هو الذي] بناها، وليس لها باب ظاهر، وأساسها راسخ ، وأن موسى بن نصير وصل إليها في جنوده، وبنى إلى جانب السور بناء عاليا متصلا به ، وجعل عليه سلما من الخشب متصلا بأعلى السور، وندب إليه من أعطاه مالا كثيرا ، وأن ذلك الرجل لما رآى داخل المدينة ضحك وألقى بنفسه في داخل المدينة،، وسمعوا من داخل المدينة أصواتا هائلة ، ثم ندب إليه آخر، وأعطاه مالا كثيرا وأخذ عليه العهد أن لا يدخل المدينة ويخبرهم بما يرى، فلما صعد وعاين المدينة ضحك وألقى نفسه فيها، وسمعوا من داخلها أصواتا هائلة أيضا . ثم ندب إليه رجلا شجاعا وشد في وسطه حبلا قويا، فلما عاين المدينة ألقى نفسه فيها فجذبوه حتى انقطع الرجل من وسطه . فعلم أن في المدينة جنا يجرون من علا على السور، فأيسوا منها وتركوها .

وذكر أبو حامد الأندلسي في وصف مدينة النحاس قصيدة منها :

وتقبـل الملكـوت ريعـي حيثمـا ... فلـك البـروج يجـر في سجداتـه
أرض بخيـرة التـي دانـت بهـا ... جـن الفـلا والطيـر في غدواتـه
والريـح يحملـه الرخـاء فإنمـا ... شهريـن مطلعهـا إلـى روحاتـه
كالطـود مبهمـة بـأس راسـخ ... أعيـا البريـة مـن جميـع جهاتـه
والقطـر سـال بهـا فصاغ مدينة ... عجبـا بجـار الوهم دون صفاته
حصن النحاس أحاط من جنباتها ... وعلى غلـو السهـم فـي غلواتـه
فيـهـا ذخـائـره وجـل كـنـوزه ... والله يكـلأهـا إلـى ميقـاتـه
في الأرض آيـات فلا تك منكرا ... فعجـائـب الأشيـاء في آيـاتـه

موغـان (ص 564) : ولاية واسعة بها قرى ومروج بأذربيجان، على يمين القاصد من أردبيل إلى تبريز. . . قال أبو حامد الأندلسي : رأيت بها قلعة عظيمـة لها رسـاتيق كثيرة، وقـد هرب عنها أهلها لكثرة ما بها من الثعابين والحيات. وقال رأيت عند اجتيازي بها شجاعا عظيما ففزعت منه.

باكويه (ص 578) : مدينة بنواحي دربند بقرب شروان، بها عين نفط عظيمة. . . من عجائبها ما ذكره أبو حامد الأندلسي، أن بها أرضا ليس في ترابها حرارة كثيرة يجدها الانسان، والناس يصيدون الغزلان وغيرها ويقطعون لحمها ويجعلونها في جلودها مع الملح، وما شاءوا من الأبازير، ويأخذون أنبوبة من القصب الغليظ النافذ، ويشدون القصب على جلد الصيد ويدفنونه تحت ذلك التراب ويتركون القصب خارجا فتخرج مائية اللحم كلها من القصبة. فإذا نفذت المائية، علموا أن اللحم قد نضج فيخرجونه وقد تهرأ.

زره كران (ص 595) : معناه : صناع الدروع : قريتان فوق باب الأبـواب على تل عال، وحـواليه قرى ومزارع ورساتيق، وجبال وآجام. . . وحكى أبو حامد الأندلسي أنه سمع أهل دربند أنهم جهزوا ذات مرة العساكر وذهبوا إلى زره كران، فذهبوا حتى دخلوا القرية، فخرج من تحت الأرض رجال دخلوا تلك البيوت، فهبت ريح عاصف، وجاء ثلج كثير حتى لم يعرف أحد

من تلك الغساكر صاحبه، فجعل بعضهم يقتل بعضا، وضلوا عن الطريق وهلك منهم خلق كثير، ونجا بعضهم بعدما عاينوا الهلاك.

بلغار (ص 612) : مدينة على ساحل بحر مانيطش. قال أبو حامد الأندلسي : هي مدينة عظيمة مبنية من خشب الصنوبر، وسورها من خشب البلوط، وحولها من أمم الترك ما لا يعد ولا يحصى وبين بلغار وقسطنطينية مسيرة شهرين، وبين ملوكهم قتال : يأتي ملك بلغار بجنود كثيرة ويشن الغارات على بلاد قسطنطينية، والمدينة لا تمتنع منهم إلا بالأسوار.

قال أبو حامد الأندلسي : طول النهار ببلغار يبلغ عشرين ساعة، وليلهم يبقى أربع ساعات. وإذا قصر نهارهم ينعكس ذلك. والبرد عندهم شديد جدا، ولا يكاد الثلج ينقطع عن أرضهم صيفا وشتاء.

حكى أبو حامد الأندلسي : أن رجلا صالحا دخل بلغار وكان ملكها وزوجته مريضين يائسين من الحياة، فقال لهما : إن عالجتكما تدخلان في ديني ؟ قالا : نعم ! فعالجهما فدخلا في دين الاسلام، وأسلم أهل تلك البلاد معهما، فسمع بذلك ملك الخزر فغزاهم بجنود عظيمة. فقال ذلك الرجل الصالح : لا تخافوا، واحملوا عليهم، وقولوا : الله أكبر ! الله أكبر ! ففعلوا ذلك وهزموا ملك الخزر، ثم بعد ذلك صالحهم ملك الخزر، وقال : إني رأيت في عسكركم رجالا كبارا على خيل شهب يقتلون أصحابي. فقال الرجل الصالح : أولئك جند الله ! وكان إسم ذلك الرجل بلار، فعربوه فقالوا : بلغار. هكذا ذكر القاضي البلغاري في تاريخ بلغار، وكان من أصحاب إمام الحرمين. وملك بلغار في ذلك البرد الشديد يغزو الكفار ويسبي نساءهم وذراريهم. وأهل بلغار أصبر الناس على البرد، وسببه أن طعامهم العسل ولحم القندز والسنجاب.

وحكى أبو حامد أنه رآى بأرض البلغار شخصا من نسل العاديين الذين آمنوا بهود عليه السلام، وهربوا إلى جانب الشمال، كان طوله أكثر من سبعة أذرع. كان الرجل الطويل [وهو يصل] إلى حقوه، وكان قويا يأخذ ساق الفرس فيكسرها، ولا يقدر غيره أن يكسرها بالفأس، وكان في خدمة ملك البلغار،

وهو قربه واتخذ له درعا على قدره وبيضة كأنها مرجل كبير، ويأخذ [ما] معه في الحروب على عجلة، لأن الجمل ما كان يحمله، ويمشي إلى الحزب على عجلة كيلا يتعب من المشي، ويقاتل رجلا بخشبة في يده طويلة لا يقدر الرجل الواحد على حملها، وكانت في يده كالعصا في يد أحدنا، والأتراك يهابونه وإذا رأوه مقبلا إليهم انهزموا، ومع ذلك كان لطيفا مصلحا عفيفا.

وفي كتاب سير الملوك أن القوم الذين آمنوا بهود، عليه السلام، وهربوا إلى بلاد الشمال، وأمعنوا فيها، توجد بأرض بلغار عظامهم.

قال أبو حامد : ورأيت سنا واحدة عرضها شبران وطولها أربعة أشبار، وجمجمة رأسه كالقبة. وتوجد تحت الأرض أسنان مثل أنياب الفيلة، بيض كالثلج، ثقيلة في الواحدة منها مائتا من، لا يدرى لأي حيوان هي، فلعلها سن دوابهم، تحمل إلى خوارزم.

والقفل متصلة من بلاد البلغار إلى خوارزم إلا أن طريقهم في واد من الترك، ويُشترى من تلك، الأسنان في خوارزم بثمن جيد تتخذ منها الأمشاط والحقاق وغيرهما، كما تتخذ من العاج، بل هي أقوى من العاج، لا تنكسر البتة.

وحكي من الأمور العجيبة أن أهل ويسو ويورا إذا دخلوا بلد البلغار، ولو في وسط الصيف يبرد الهواء، ويصير كالشتاء يفسد زروعهم، وهذا مشهور عندهم، لا يخلون أحدا يدخل بلغار من أهل تلك البلاد.

وبها نوع من الصبر لم يوجد في غيرها من البلاد، قال أبو حامد : هو طير ذو منقار طويل، يكون منقاره الأعلى مائلا إلى اليمين ستة أشبار، وإلى اليسار ستة أشبار، مثل لام ألف، وعند الأكل ينطبق. ذكر أن لحمه نافع لحصاة الكلي والمثانة، وإذا وقعت بيضته في الثلج والجمد أذابته كالنار.

يورا (ص 620) : بلاد بقرب بحر الظلمات. قال أبو حامد الأندلسي : قال بعض التجار : النهار عندهم في الصيف طويل جدا حتى أن الشمس لا تغيب عنهم مقدار أربعين يوما. [و] في الشتاء ليلهم طويل جدا

حتى تغيب الشمس عنهم مقدار أربعين يوما. والظلمات قريبة منهم. وحكي أن أهل يورا يدخلون تلك الظلمة بالضوء، فيجدون شجرة عظيمة، مثل قرية كبيرة، وعليها حيوان يقولون إنه طير. وأهل يورا ليس لهم زرع ولا ضرع، بل عندهم غياض كثيرة، وأكلهم منها ومن السمك والطريق إليهم في أرض لا يفارقها الثلج أبدا.

وحكي أن أهل بلغار يحملون السيوف من بلاد الاسلام إلى ويسو، وهي سيوف لم يتخذ لها نصال، بل تصل كما تخرج من النار وتسقى، فإن علق السيف بخيط ونقر بأصبع سمع له طنين، فذلك السيف يصلح أن يحمل إلى بلاد يورا ويشتريه أهل يورا بثمن بالغ، ويرمونه في البحر المظلم. فإذا قطعوا ذاك، أخرج الله لهم من البحر سمكة مثل الجمل العظيم، تطردها سمكة أخرى أكبر منها، تريد أكلها، فتهرب منها حتى تقرب من الساحل، فتصير في موضع لا يمكنها الحركة فيه، فتتشبث بالرمل، فيعرف أهل يورا، فيذهبون إليها في المراكب، فكل من ألقى بالسيف يجتمع عليها ويقطع من لحمها. وربما يكثر ماء البحر بالمد، فترجع السمكة إلى البحر بعدما قطع منها من اللحم ما يملأ ألف بيت، وربما تبقى عندهم زمناً طويلا مؤنتهم فيقطعون منها، وإذا لم يبق في البحر من تلك السيوف لم تخرج لهم السمكة، فيكون عندهم الجدب والقحط.

وحكي أن في بعض السنين خرجت عليهم هذه السمكة، فاجتمع القوم عليها وثقبوا أذنها، وجعلوا فيها حبلا ومدوها إلى الساحل، فانفتحت أذن السمكة وخرجت من داخلها جارية تشبه الآدميين، بيضاء حمراء سوداء الشعر عجزاء من أحسن النساء وجها، فأخذها أهل يورا، وأخرجوها إلى البر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح. وقد خلق الله تعالى في وسطها جلدا ضعيفا كالثوب من سرتها إلى ركبتها لتستر عورتها، فبقيت عندهم مدة، وأهل يورا إن لم يلقوا السيف في البحر لا تخرج السمكة، فيجوعون لأن قوتهم من هذا.

* *

*

II . مقتبسات ابن الوردي من التحفة

1 . في كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب

(طبع القاهرة 1300 هـ)

جزيرة الكنيسة (كذا) (ص 91) :

ذكر أبو حامد الأندلسي أن بهذه الجزيرة جبلا على شاطىء البحر الأسود عليه كنيسة منقورة في الصخر وعليها قبة عظيمة ، وعلى تلك القبة طائر غراب يطير ويحط ولا يزال عليهما ، ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على أهل تلك الكنيسة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين . فإذا قدم زائر للمسجد أدخل ذلك الغراب رأسه إلى داخل الكنيسة وصاح صيحات بعدد الزوار ، إن كان واحدا فواحدة ، أو اثنين فاثنتين أو عشرة فعشر ، لا يخطىء أبدا فينزل أهل تلك الكنيسة بالضيافة إليهم على عددهم لا يزيدون ولا ينقصون ، وذكر القسيسون أنهم مازالوا يرون ذلك الغراب ولا يدرون من أين مأكله ومشربه ، وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب[284] .

فصل في بحر الخزر (ص 93) :

وبهذا البحر عجائب كثيرة ، منها ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان ، رسول الخليفة إلى ملك الخزر ، قال : لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوما قد اصطادوا سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب

(284) هي الكنيسة التي تقوم على الرأس المعروف باسم «الرأس المقدس» (Cape St. Vincent) يبدأ ابن سعيد وصفه للجزء الأول من الإقليم السادس من هذه الكنيسة التي يقول أنها مشهورة عند أهل البحر . ووصفها الإدريسي بقوله : وهذه الكنيسة من عهد الرومان إلى اليوم لم تتغير عن حالها ولها أموال يتصدق عليها وكرامات يحملها الروم الواردون عليها . وهي في قرطيل خارج في البحر ، وعلى راس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها ولا عهد زوالها وقسيسو تلك الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بغرائب يتهم المخبر بها ، ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة تلك الكنيسة ، ضريبة لازمة وسيرة دائمة لا ينتقلون عنها الخ . انظر المغرب وأرض السودان (ص 180 ـ 181) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 178 وتعليقنا رقم 225 ـ ص 252) . تقويم البلدان لأبي الفدا الذي يكتفي بنقل وصف ابن سعيد (ص 169) .

والحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرجت منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر سوداؤه حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر المبدر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وفي وسطها غشاء لحمي كالثوب الضيق من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها، فما زالت كذلك حتى ماتت.

فصل في بحر المغرب (حوت موسى) (ص 92) :

قال أبو حامد : رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبتة، وهو الحوت المشوي الذي صحبه موسى ويوشع حين سافرا في طلب الخضر عليه السلام، وهي سمكة طولها ذراع وعرضها شبر، وأحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق، على أحشائها. ورأسها نصف رأس بعين واحدة. فمن رآها من هذا الجانب استقذرها. ونصفها الآخر صحيح بهيج، والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء، سيما اليهود.

وسمكة كأنها قلنسوة سوداء، قال أبو حامد : رأيت هذه السمكة وفي جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء، فإذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخاني، وأظنه من مرارتها، فيؤخذ ذلك الماء ويكتب به في الورق وهو أحسن من الحبر وأعظم سوادا وأثبت وجودا، وأبيض منه.

جبل سبلان (ص 111) :

قال أبو حامد الأندلسي : على رأس هذا الجبل عين عظيمة، مع غاية ارتفاعه ماؤها أبرد من الثلج، وكأنها شيب بالعسل لشدة عذوبته. وبجوف الجبل ماء يخرج من عين يسلق البيض لحرارته، يقصدها الناس لمصالحهم، وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع، وشيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته. (وبعد هذا أورد ما ذكره القزويني عن نفس الحشيشة التي ذكر أنه رآها وسأل عنها قاضي المنطقة واسمه أبو الفرج عبد الرحمان الاردبيلي).

III ـ مقتبسات أحمد بن علي القلقشندي :

1 ـ صبح الأعشى للقلقشندي :

(62/5) وقد وصف محمد بن عبد الرحمان الاقليشي هذه المملكة (الهند) في كتابه «تحفة الألباب» فقال : «الملك العظيم والعدل الكثير، والنعمة الجزيلة، والسياسة الحسنة، والرضا الدائم، والأمن الذي لا خوف معه في بلاد الهند. وأهل الهند أعلم الناس بأنواع الحكمة والطب والهندسة والصناعات العجيبة. ثم قال : وفي جبالهم وجزائرهم ينبت شجر العود والكافور وجميع أنواع الطيب، كالقرنفل، والسنبل، والدار صيني، والقرفة والسليخة والقاتلة، والكبابة، والبسباسة، وأنواع العقاقير، وعندهم غزال المسك، وسنور الزباد، هذا مع ما لهذه المملكة من اتساع الأقطار، وتباعد الأرجاء وتنائي الجوانب.

الفهارس

معجم الآيات القرانية والأحاديث الشريفة

ا- القران الكريم:

II ـ الحديث النبوي الشريف :

معجم الأعــلام

* حــرف الألــف :

*** حرف الباء :**

*** حرف التاء :**

*** حرف الجيم :**

*** حرف الحاء :**

* حرف الخاء :

* حرف الدال :

* حرف الذال :

* حرف الراء :

* حرف الزاي :

* حرف السين :

*** حرف الشين :**

*** حرف الصاد :**

*** حرف الضاد :**

*** حرف الطاء :**

*** حرف الظاء :**

*** حرف العين :**

*** حـرف الغين :**

*** حـرف الفـاء :**

*** حـرف القـاف :**

* حـرف الكاف :

* حـرف اللام :

* حـرف الميم :

*** حــرف النـون :**

*** حــرف الهاء :**

*** حــرف الواو :**

* **حـرف الياء :**

معجم الأماكن والبلدان

*** حرف الألف :**

* **حرف الباء :**

*** حـرف التاء :**

*** حـرف الثاء :**

*** حـرف الجيم :**

*** حـرف الحاء :**

*** حـرف الخاء :**

* حرف الدال :

* حرف الراء :

* حرف الزاي :

* حرف السين :

*** حرف الشين :**

*** حرف الصاد :**

*** حرف الطاء :**

* حـرف الظاء :

* حـرف العين :

* حـرف الغين :

* حـرف الفاء :

* حـرف القاف :

*** حرف الكاف :**

*** حرف اللام :**

* حـرف الميم :

* حرف النون :

* حرف الهاء :

* حرف الواو :

* حــرف الياء :

فهرس الدول والقبائل والمجموعات

فهرس الأشعار

※ قال الشاعر:

※ قال عمارة اليمني :

※ قال الأعشى:

الفهرس

كتب أخرى للمؤلف

I ـــ الشؤون الدولية والاقتصادية :

1) التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب (طبعة ثانية).
2) التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المشرق (طبعة ثانية).
3) التكتل والاندماج الاقتصادي بين الدول المتطورة (طبعة ثانية).
4) التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية (طبعة ثانية).
5) هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة (طبعة ثانية).
6) فصول في العلاقات الدولية في القديم والحديث.
7) الهيئات الدولية والمنظمات الاقليمية دساتيرها ووظائفها : مخطوط.
8) هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في الدول النامية.
9) دول العالم الثالث الواجهة الاقتصادية مخطوط.
10) العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر.
11) الأسس الاقتصادية للحضارة الاسلامية في المغرب. (مجموعة محاضرات).

II ـــ التاريخ والجغرافيا :

1) دولة بني زيري ملوك غرناطة.
2) دراسات في تاريخ الجزائر الحديث.
3) المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر طبعة ثانية.
4) العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر.
5) دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة : دار الغرب الاسلامي.
6) المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي.
7) جدول المطابقة بين التقويم الهجري والتقويم الميلادي (بالاشتراك مع الدكتور عبد القوي).
8) الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية : الدار العربية للكتاب.
9) معجم الفرق والمذاهب الاسلامية : دار الآفاق الجديدة.
10) حول العالم ـــ مع رواد المجهول من المعمورة.
11) عواصم بني زيري ملوك أشير والقلعة وغرناطة وبجاية والمهدية.
12) دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية.

13) فردريك نيتشه ـــ حياته وفلسفته (بالانجليزية).
14) المقومات الاقتصادية للحضارة الاسلامية وفي المغرب : مخطوط.
15) تاريخ الصراع من أجل المواد الأولية بين دول العالم الثالث والعالم الرأسمالي.
16) دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية.
17) الصحراء الكبرى وشواطئها : الجزائر.
18) معجم الحواضر الاسلامية بالمغرب. (مخطوط).
19) معجم الحواضر الاسلامية بالاندلس : (مخطوط).
20) بحوث ومحاضرات في تاريخ الأندلس والجزائر القديم والحديث : مخطوط.
21) دور العرب في تقدم الجغرافيا والفلك.
22) الرحالة والمستكشفون المسلمون.
23) حاضر الدول الاسلامية في القارة الافريقية.
24) نماذج من روائع الأدب العالمي (4 أجزاء).
25) العجيب والغريب في روايات الرحالة والجغرافيين العرب : مخطوط.
26) معجم الجغرافيين والفلكيين العرب : مخطوط.
27) تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر.
28) المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الجزائري (طبعة 2).
29) الرحلة والاستكشاف في افريقيا وآسيا وأمريكا : مخطوط.
30) بنو زيري وبنو حماد وأبحاث اخرى في التاريخ الجزائري والأندلسي : مخطوط.

III ـــ تحقيق التراث :

1) كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (الطبعة الثانية).
2) سير أبي زكرياء.
3) سير مشايخ المغرب لأبي الربيع الوسياني (القرن 4 هـ).
4) كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة (في تاريخ المذهب الأباضي) لمؤلف عماني مجهول : مخطوط.
5) القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي).
6) نتيجة الاجتهاد (أو سفارة أحمد بن الغزال ورحلته الى الأندلس).
7) تقويم البلدان للملك الصالح اسماعيل أبي الفداء (مقارنة نسخ باريس ولندن) : دار الآفاق الجديدة.
8) تاريخ الأندلس لابن القوطية.
9) رسالة في الجغرافيا، منسوبة الى الخليفة العباسي المامون : مخطوط.
10) كتاب سير الأئمة الرستميين وأخبارهم لأبي زكرياء يحيى : الطبعة الرابعة.
11) العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع للرئيس ابراهيم الأندلسي، (القرن العاشر الهجري) : مخطوط.

12) المقتبس في أخبار الأندلس لأبي حيان : دار الآفاق الجديدة.

13) رسالة في الجغرافيا لمؤلف أندلسي مجهول من القرن (6 هـ) : مخطوط.

IV ـ الترجمة :

1) الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا الجوزيف رينو : دار الحداثة.

2) كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (من العربية الى الفرنسية).

3) مذكرات الكلونيل سكوت الانجليزية عن اقامته في رمالة الأمير عبد القادر.

4) الاسلام في مجده الأول لموريس لومبار : دار الآفاق الجديدة.

5) العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1876 ـ 1816) لراي ايروين : الجزائر.

6) مذكرات أسير الداي، كاثكارت، قنصل الولايات المتحدة في المغرب : الجزائر.

7) الدراسات العربية في الجزائر خلال قرن من الاحتلال الفرنسي لماسي وآخرين : الجزائر.

8) قصر الحمراء في الأدب والتاريخ لواشنطون ايرفينج : دار الرائد العربي.

9) سقوط غرناطة آخر معاقل الاسلام لواشنطون ايرفينج : الجزائر.

10) الثائرة : (قصة مترجمة).

11) أحلام رجل بورجوازي (قصة مترجمة).

الناشرون :

وزارة الثقافة السوريّة دمشق ـ المطبعة التجارية (بيروت) ـ دار الآفاق الجديدة (بيروت ـ المغرب) ـ دار الغرب الاسلامي (بيروت) ـ دار الرائد العربي (بيروت) ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر) ـ ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) ـ دار الحداثة (بيروت) ـ الدار العربية للنشر والتوزيع (تونس) ـ الهيئة المصرية العامة (مصر) ـ دار المعارف المصرية (مصر) ـ دار الخانجي (مصر).

من منشورات دار الآفاق الجديدة
المغرب

• اشكالية إصلاح الفكر الصوفي :
عبد المجيد الصغير.

• الموطأ (4 أجزاء) :
مالك بن أنس.

• السياسة والمجتمع في العصر النبوي :
إبراهيم حركات.

• السياسة والمجتمع في العصر الأموي :
إبراهيم حركات.

• المقتبس في تاريخ الأندلس (275هـ/300هـ) :
ابن حيان.

• آلهة مصر العربية (جزآن) :
علي فهمي خشيم.

• البيان بالقرآن (جزآن) :
كامل مصطفى المهدوي.

• ملامح المسرحية العربية الإسلامية :
عمر الطالب.

• تقويم البلدان لابن أبي الفدا :
تحقيق : إسماعيل العربي.

• معجم الفرق والمذاهب الإسلامية :
إسماعيل العربي.

- **كتاب الزكاة :**

علي مفتاح سيور.

- **الإسلام في مجده الأول :**

موريس لومبار.

- **البديع في وصف الربيع :**

أبو الوليد الحميري.

- **لماذا أنهارت الشيوعية :**

عبد الكريم غلاب.

- **السياسة الشرعية :**

ابن تيمية.

- **كتاب الحج والعمرة :**

علي مفتاح سيور.

- **الغد والغضب (رواية) :**

خناتة بنونة.

- **تحفة الألباب للغرناطي :**

تحقيق : إسماعيل العربي.

- **كيف يرى الوضعيون الفلسفة :**

الدكتور نجيب الحصادي.

- **أحكام شرب الخمر في الشريعة الإسلامية :**

الأستاذ المنير أحمد لوكه.

- **تاريخ التشريع الإسلامي :**

الدكتور عبد المجيد الذبياني.

- **حي بن يقظان لابن طفيل :**

تحقيق : الدكتور فاروق سعد.

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الإيداع القانوني رقم 1993/440